

عبد الرحمن الرافعي

**تاريخ الحركة القومية  
في مصر القديمة**  
من فجر التاريخ إلى الفتح العربي

www.alkottob.com



عبد الرحمن الرفاعي

ولد في ٨ من فبراير سنة ١٨٨٩ - وتوفي في ٣ من ديسمبر سنة ١٩٦٦

تصميم الغلاف : محمد أبو طالب

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة الطبعة الثانية

ظهرت الطبعة الأولى من كتاب تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة سنة ١٩٦٣ ، وها هي ذى دار المعارف تخرج الكتاب في طبعته الثانية مطابقة تمامًا للطبعة الأولى . وبعد فوات أكثر من ربع قرن ، ندعو الله أن ينفع به من يريد أن يرجع إلى تاريخ مصر قبل الميلاد بألاف السنين . والله ولي التوفيق .

سنة ١٩٨٩م

كريمات المؤلف

## تقديم الكتاب

قبل أن أعرض لكتاب « تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة . من فجر التاريخ إلى الفتح العربي » . أحب أن أشير إلى الدوافع التي دفعت أستاذنا عبد الرحمن الراجحي إلى إخراج هذا الكتاب ، وبحكم التصاقى به ، وقربى منه منذ أن كنت طالباً بكلية الحقوق في السنة الثانية سنة ١٩٣٧ م ، وكنت عضواً بلجنة شباب الحزب الوطني ، ثم بعد تخرجى سنة ١٩٤٠ م من كلية الحقوق جامعة فؤاد الأول ( جامعة القاهرة ) والتحاقى بمكتبه محامياً تحت التمرين ، ثم إلى خطوات حياتى العائلية معه ، والعملية والحزبية باللجنة الإدارية للحزب الوطنى ، وفى غير ذلك من المجالات الأخرى . فإن ما دفع الراجحي إلى إخراج هذا الكتاب هو توفقه عن كتابة تاريخ مصر الحديث بعد سنة ١٩٥٩ م .

وبعد أن أخرج كتاب ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ فى سبع سنوات ، الذى أنهى هذه المؤلفات بدءاً بالحملة الفرنسية وعصر المماليك وهى منشورة كلها فى نهاية هذا الكتاب ، وكل كتاب أعادت طبعه دار المعارف .

وأفضى إلى الراجحي بأن ثورة ٢٣ يوليو بدأت تغير من اتجاهاتها ومبادئها . وأن سليات كثيرة ظهرت فى خطوات رجالها ، وأنه يحسن التريث فى تسجيل تاريخها بعد ١٩٥٩ ، حتى تتكشف الأمور أمامه واضحة فيسجل التاريخ - كعادته - سليماً وفى حياد تام دون أى هوى أو غرض ، وتلك سمته الظاهرة فى مؤلفاته كلها . ولكن شأنه شأن الباحث الكاتب المدقق يصعب على نفسه أن يقف كلمة عن الكتابة ، فرجع إلى الوراء البعيد يسجل تاريخ مصر القديم ، منذ أن بزغ نور الشمس على أرضها ، فكان هذا الكتاب الذى أخرجه برغم معارضة أقرب الناس إليه من عائلته اللصيقة به ، ونصحته حرمه - وكانت على جانب كبير من الثقافة تشاركه أحياناً كثيرة فى رأى ، ومراجعة مؤلفاته معه - أن ابتعد عن تاريخ الفراعنة حتى لا تصيبك لعنتهم ، وهل ياترى تحقق هذا التفكير فكان أنه أصيب بالشلل فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٦٤ ، وأدى هذا المرض به إلى الوفاة فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٦٦ ، ولكل أجل كتاب موقوت .

إن الراجحي بإخراجه هذا الكتاب برغم أنه يُعد فى نظرى كتاباً مختصراً . إذا قيس بالآلاف السنين التى جمعها ، ولكنه غطى هذه الحقبة الطويلة من تاريخ مصر حتى الفتح العربى .

ثم كان أن بدأ قبل مرضه وفى أثناء مرضه أن يكمل حلقات التاريخ كلها ، منذ الفتح العربى حتى عصر المماليك والحملة الفرنسية على مصر فى كتابيه « تاريخ الحركة القومية » الجزء الأول والجزء الثانى نهاية بدء عصر محمد على . فكان تفكيره إلى كتاب تاريخ مصر القومى من الفتح



العربي حتى عصر المقاومة والحملة الفرنسية ؛ ونخرج هذا الكتاب بعد وفاة الراجي بمعاونة الأستاذ الحنبل الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور أستاذ التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة ، ولولا جهده وما بذله لتكتملته بل صياغة أجزاء من الكتاب لما خرج إلى النور .

وبإخراج هذا الكتاب يكون الراجي قد أرخ لمصر تاريخها كله ، قديمه وعصوره الوسطى والحديثة ، خلال تلك الآلاف من عمر مصر ، وهو ما لم يستطع مؤرخ في العالم أن يؤرخ لبلده في كافة العصور والأزمان ، وأكفى هنا ببعض هذه الدوافع التي دفعت الراجي إلى قطع سلسلة مؤلفاته في تاريخ مصر الحديث من سنة ١٩٥٩ ، لأنها كثيرة ، ولا مجال هنا لذكر تفصيلاتها . ونشير إلى تقديم الكتاب بإبراز الناحية الشعبية ، وجهاد المصريين ، وظهور الحركة القومية لمصر ، وفي سبيل تكوين مصر الحرة المستقلة ، وإظهار الثورات التي ظهرت دفاعاً عن الشعب عن كيانها ، ويكفي أنه يرجع القارئ إلى هذه المقدمة الممتعة التي خطبها الراجي بقلمه في صدر الطبعة الأولى من الكتاب ، والتي نعيد تسجيلها هنا .

ويجمع الكتاب في فصله الأول الوحدة القومية ، والدولة القديمة ، وحضارة المصريين خلال عصر هذه الدولة ، حيث اكتشفوا التقويم السنوي ، والقراءة والكتابة ، وفن الطب وعلمه . وإقامة الأهرام ، ثم الفصل الثاني يتحدث الراجي عن الثورة الاجتماعية في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد ، والحملة في فلسطين وسوريا ، وظهور رجل من صفوف الشعب يتولى حكم البلاد . هو امنحات - هذا يدل على اتجاه الراجي نحو اعتناقه الحرية وجهاد الشعب ، وأثره في الكفاح والنضال لا كفاح الملوك والحكام !!

والفصل الثالث عن الدولة الوسطى ، وما ظهر فيها من إنشاء جامعة عين شمس مدينة النور والعلم والمعرفة ، وشق قناة تصل النيل بالبحر الأحمر ، وما ظهر من أعمال جليلة في شئون الري والعمارة ، وإنشاء خزان بحيرة موريث ، ويجمع الفصل الرابع ثورة الشعب على الهكسوس ، وتحرير مصر منهم ، وهذا يؤكد اتجاه الراجي في إبراز جهاد الشعب وكفاحه ، ثم الفصل الخامس عن الدولة الحديثة من الأسرة الثامنة عشرة إلى الأسرة الثلاثين . والفصل السادس أبرز الراجي أوج مجد مصر في عهد تحتمس الثالث ، ثم الفصل السابع عن إخناتون وثورته الدينية ، والفصل الثامن عن رمسيس الثاني وحروبه الدفاعية ، والتاسع عن الدفاع عن كيان مصر في عهد خلفاء رمسيس الثاني ، والفصل العاشر عن تحرير مصر من الاحتلال الآشوري على يد شعب مصر ، والفصل الحادي عشر عن ثورات الشعب على الغزو الفارسي ، والفصل الثاني عشر عن الإسكندر الأكبر وجلاء الفرس عن مصر ، ثم ثورات الشعب المصري على البطالمة ، جمعها الراجي في الفصل الثالث عشر . ثم تكلم في الفصل الرابع عشر عن مقاومة مصر للاستعمار الروماني وعصر الشهداء ، وانتهى إلى الفصل الخامس عشر عن الفتح العربي لمصر .

هكذا بين صدق الراجي فيما سجله في هذا الكتاب من وقائع وأحداث شرح أسبابها ووقائعها

ورتائجها ورأيه في كل ذلك معتقاً أفكار الحرية وكفاح الشعب المصري على مدى هذا العصر القديم من حياته .

وقد لقي هذا الكتاب رواجاً كبيراً لأنه جمع تاريخ الشعب المصري وحكامه خلال هذه الآلاف الطويلة من السنين ، وكان مرجعاً هاماً للباحثين في هذا التاريخ ، وسيلقى الراجي في جنات الخلد جزء ما قدمه لمصر وشعبها ، في أمانة وصدق ، وأسلوب هادئ بسيط . والله المستعان .

المستشار حلمي السباعي شاهين

نائب رئيس هيئة قضايا الدولة الأسبق

## مقدمة الكتاب

عندما كنت أؤرخ للحركة القومية في العصر الحديث ، رأيت أن عظمة مصر القديمة - مصر الفرعونية - تستهوى الباحث لاستقصاء تاريخها ، وخاصة حين طالعت ما نشره علماء الحملة الفرنسية منذ أوائل القرن التاسع عشر عن أمجادها ومفاخرها ، وما رسموه في مجموعاتهم ومصورتهم ، من آثارها الخالدة ، ولقد كان هؤلاء العلماء أول من كشفوا عن هذه الآثار كشفاً علمياً ، وكنت وأنا أطلع هذه الكشوف أتساءل : ألم تكن في مصر القديمة حركة قومية يصح أن تكون أساساً لتاريخها ، على غرار الحركة القومية في تاريخها الحديث ؟

\*\*\*

لقد كنت موقناً بأن ما بلغته مصر القديمة من التقدم والحضارة والعظمة ، لا بد أن يكون له أساس قومي هو عماد الحركة القومية ، وهذا ما يقتضى البحث عنه وتدوينه ، ولكني أرجأت هذا البحث حتى أستوفى تاريخ الحركة القومية في العصر الحديث ، فلما أتممته بعون الله ، عاودتني فكرة التأريخ للحركة القومية في مصر الفرعونية ، فأخذت أعيد النظر فيما كنت أقرؤه عنها ، وأتعمق في دراسة المسائل التي تتصل بها ، وأرجع إلى المصادر التي طالعتني بها قراءاتي السابقة وأزيد عليها مشاهداتي اللاحقة ، وخلصت لي من ذلك كله صورة واضحة المعالم لهذا التاريخ ، أود أن أعرضها في هذا الكتاب ، وإذا شاءت عناية الله فسأتبعها بصور أخرى للحركات القومية التي تعاقبت على البلاد حتى قبيل العصر الحديث .

\*\*\*

والحركة القومية كما قصدتها وعينتها ، هي الجهود التي بذلها الشعب المصرى بمختلف طبقاته في سبيل تكوين مصر الحرة المستقلة ، والذود عن كيانها ، والدفاع عن استقلالها ، والثورة على كل من يعتدى على هذا الاستقلال ، ومقاومته بكل ما أوتيت من حول وقوة .

والتاريخ القومي للأمة لا يستكمل مداه إلا إذا كان مدروساً ومعروضاً على ضوء الحركة القومية ، فهي أساس وجودها ، ومبعث نهوضها وتطورها .  
وإذا كان هذا هو جوهر الحركة القومية ، فأجلد بمصر القديمة أن يكون لها النصيب الأوفى والأول في هذا التاريخ .

\*\*\*

فلقد كانت أسبق الأمم إلى تحقيق استقلالها ، وتأسيس حكومة نظامية ترعى هذا الاستقلال وتضطلع بمقومات الحضارة منذ عصور متناهية في القدم ولا غرو فتاريخها هو تاريخ الإنسانية .

ولقد حقت وحدتها القومية سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد، حين استطاع الملك ( مينا ) أن يضم  
الوجهين البحرى والقبلى، ويجعل منهما دولة موحدة كانت أعرق الوحدات القومية ظهوراً فى  
التاريخ .

ومن يومئذ تتابعت الأسرات الملكية فى ظل الوحدة، وسارت بالبلاد قدما إلى الأمام، ولم  
يسكت الشعب عن ضيم أصابه، وظل طوال القرون يناضل عن استقلاله، ويرد عنه كيد المعتدين  
والغاصبين، وهذا أول ما عتيت يبرازه فى صحائف هذا الكتاب .

يخصى المؤرخون الأسرات الملكية المصرية بثلاثين أسرة، يقسمونها إلى ثلاثة عهود هى :  
الدولة القديمة، تليها الدولة الوسطى، ثم الدولة الحديثة، وقد سرت على مده التسمية فى إبراز  
الحوادث الهامة التى لها علاقة بالحركة القومية .

ففى أواخر عهد الأسرة السادسة من الدولة القديمة قامت ثورة اجتماعية شعبية ظهرت لها  
نتائجها وآثارها على تعاقب السنين .

وسقوط الأسرة العاشرة بدأت الدولة الوسطى، من الأسرة الحادية عشرة إلى السابعة عشرة،  
ثم تلتها الدولة الحديثة من الأسرة الثامنة عشرة إلى الأسرة الثلاثين .

وفى عهد الأسرة الثالثة عشرة رزقت البلاد بالغزو الهكسوسى الذى عصف باستقلالها،  
واستمر يعيث به رذحا من الزمن، ثم لم تلبث مصر أن نهضت من كبوتها، وخاضت معركة الحرية  
وطردت الهكسوس سنة ١٥٧٠ قبل الميلاد على يد (أحمس) الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة .

وكان تحرير البلاد من الهكسوس قد غرس فى النفوس روح القومية، وحفزها إلى غزو معاقلم  
فى فلسطين وسورية ولبنان، فشنت مصر عليهم وعلى حلفائهم فى عهد الدولة الحديثة حروبا  
دفاعية بقيادة (توتمس الثالث) بطل معركة « مجدو » سنة ١٤٧٩ قبل الميلاد، واستمرت  
هذه الحروب عدة سنين حتى اطمأنت مصر على كيانها، ومن ثم اتسعت رقعتها، فامتدت  
حدودها من أعالي الفرات شمالا إلى الشلال الرابع على النيل جنوبا .

ثم ظهرت أطماع الدول المعادية لها، وأخذوا ينتقصونها من أطرافها وبنايون من وحدتها ..  
حين اتسوا منها ضعفا وانقساماً فى جبهتها الداخلية، فثبتت لهدم المحاولات، وامتاز عهد رمسيس  
الثانى بحروبه الدفاعية فى سبيل حفظ كيان الدولة المصرية، وسار على نهجه خلفاؤه .

وتجددت الأطماع . واستطاع الآشوريون أن يغيروا على مصر ويحتلوها .  
ثم لم يلبث الشعب أن أجلاهم عنها فى عهد ( إسماتيك الأول ) . وعادت لها حريتها  
واستقلالها .

وظلت على ذلك إلى أن نكبت سنة ٥٢٥ ق . م . بالغزو الفارسى . ولم يكن هذا الغزو الذى  
قاده قمبيز بمضيق كيان مصر، أو مضعف لمكانتها التى نالتها على تعاقب القرون، فإذا قارنا  
هذا الغزو بما أصاب الإمبراطورية الرومانية حين استهدفت فى القرن الخامس بعد الميلاد لغزوات  
أقوام من الهمج انقضوا عليها فدمروها ودكوا معالمها ومزقوا أوصالها، نجد أن مصر على العكس  
قد صمدت للغزو الفارسى واحتفظت بكيانها وطابعها القديم، ولم تستسلم للمحتل المغير، بل  
ثارت عليه المرة بعد المرة، إلى أن جاء الإسكندر المقدونى بحارب الفرس ويصادق المصريين،  
فهزم دولة الفرس وقوض أركانها واستولى على عاصمتها .

وهناك احتلالان، قرأت فى بعض كتب المؤرخين أن مصر القديمة استهدفت لهما، فقالوا  
عنها إنها خضعت يوماً للحكم الليبى، ويوما آخر للحكم الأثيوبى، ولم يكن قولهم هذا قرين  
الحق والصواب، فقد زعموا أن الأسرة الثانية والعشرين التى أسسها ( شيشنق ) فى القرن العاشر  
قبل الميلاد هى أسرة ليبية أجنبية حكمت البلاد زمناً طويلاً، والصحيح أن ( شيشنق ) هذا وإن  
كان من أصل ليبى، ولكنه تمصر ومن قبله تمصر أسلافه منذ عدة فرون، ومضت عليهم بعد  
أن تمصروا أجيال وأجيال، فصاروا من صميم المصريين، وقد كان حكم ( شيشنق ) مصرياً  
خالصاً لمصر أعاد إليها بعض ما كان لها من عز وسؤدد، واحتل فلسطين واستولى على أورشليم  
( بيت المقدس )، واستخلصها من اليهود، واستردت البلاد بفضل حملاته الموقفة نفوذها فى  
آسيا، وورد اسمه فى التوراة لمناسبة حروبه مع الإسرائيليين .

وقال بعض المؤرخين أن ( بيغنخى ) أسس فى القرن الثامن قبل الميلاد الأسرة الخامسة  
والعشرين، ووصفوه ووصفوا أسرته بالإثيوبيين وزعموا إن إثيوبيا حكمت مصر فى عهدهم .  
والحق أن ( بيغنخى ) هو من النوبة لا من إثيوبيا وأصل أسرته من كهنة طيبة الذين هاجروا  
إلى الجنوب، والنوبة جزء لا يتجزأ من مصر، وفيها الآثار الخالدة للفراعنة، التى يتحدث عنها  
العالم المتحضر كل حين، فهم إذن من صميم المصريين، فلا هم إثيوبيون، ولا النوبة من إثيوبيا،  
وأسرتهم مصرية لا شك فى مصريتها، والقول بأن إثيوبيا حكمت مصر يوماً يتعارض مع الحقائق  
التاريخية والجغرافية، وإطلاق اسم إثيوبيا على النوبة هو خطأ اتساق إليه بعض الرحالة الإغريق .

ولكن كان الحديث عن مصر القديمة أو مصر الفرعونية ينتهى على أرجح الآراء بالغزو  
الفارسى . فتاريخ مصر الخالدة يقتضى أن استطرذ إلى ذكر الثورات المصرية التى شبت فى وجه  
الفرس، ثم استمرار هذه الثورات فى عهد البطالمة، ثم فى عهد الرومان، إلى أن حررها الفتح  
العربى من الاحتلال الرومانى سنة ٦٤١ م . ( ١٨ هـ ) وبه ينتهى هذا الكتاب .  
وأرى من واجبي أن أتوه بفضل العلماء المصريين والأجانب الذين سبقونى إلى الكتابة فى  
تاريخ مصر القديمة، وقد ذكرت بعض مؤلفاتهم فى مراجع البحث اعترافاً بفضلهم وتقديراً

## سلسلة تاريخ الحركة القومية في العصر الحديث

نذكر هنا خلاصة مباحث المجلدات الستة عشرة التي ظهرت في تاريخ الحركة القومية

### تاريخ الحركة القومية الجزء الأول

ظهور الحركة القومية في تاريخ مصر الحديث  
والمقاومة الأهلية التي اعترضت الحملة الفرنسية  
وتاريخ مصر القومي في هذا العهد

الفصل الأول	: نظام الحكم في عهد المماليك
الفصل الثاني	: تطور نظام الحكم في عهد الحملة الفرنسية
الفصل الثالث	: نظم الحكم التي أسسها نابليون في مصر
الفصل الرابع	: المجمع العلمي
الفصل الخامس	: المقاومة الأهلية في عهد الحملة الفرنسية ، في الإسكندرية
الفصل السادس	: في البحيرة - معركة شبراخيت - نهب القرى
الفصل السابع	: في القاهرة - واقعة إمبابة أو معركة الأهرام
الفصل الثامن	: عود إلى الإسكندرية - واقعة أبو نير البحرية - ديوان الإسكندرية
الفصل التاسع	: في رشيد
الفصل العاشر	: عود إلى البحيرة ورشيد
الفصل الحادى عشر	: في القليوبية والشرقية
الفصل الثانى عشر	: عود إلى القاهرة - سياسة الخنلات
الفصل الثالث عشر	: ثورة القاهرة الأولى سنة ١٧٩٨
الفصل الرابع عشر	: في المنوفية والغربية
الفصل الخامس عشر	: في الدقهلية ودمياط
الفصل السادس عشر	: المقاومة في الوجه القبلى
الفصل السابع عشر	: استمرار المقاومة في الوجه القبلى
الفصل الثامن عشر	: وثائق تاريخية
الفصل التاسع عشر	: مراجع البحث

للجهود التي بذلوها لإثارة السبيل لمن يجيئون بعدهم ، وإذا كان الموضوع الذى عالجه مقصورا على تاريخ الحركة القومية ، فإن ما كتبه واستقصوه كان شاملا لكل نواحي التاريخ ، فلهم الفضل أولا وآخر .

هذه نظرة عامة على الكتاب ، قصدت منها التعريف به إجمالا ، وسيجد القارئ في فصوله توضيحا ما أجملت ، وتفصيلا لما أوجزت .  
والله ولي الهداية والتوفيق .

مايو سنة ١٩٦٣م

عبد الرحمن الرفاعي

الحرب فى سورية والأناضول :	الفصل الثامن
معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ ومركز مضر الدولى :	الفصل التاسع
دعائه الاستقلال - الجيش :	الفصل العاشر
الأسطول :	الفصل الحادى عشر
التعليم والنهضة العلمية :	الفصل الثانى عشر
أعمال العمران والحالة الاقتصادية :	الفصل الثالث عشر
نظام الحكم فى عهد محمد على :	الفصل الرابع عشر
الحالة الاجتماعية :	الفصل الخامس عشر
شخصية محمد على والحكم على عصره :	الفصل السادس عشر
إبراهيم باشا :	الفصل السابع عشر

### عصر إسماعيل تاريخ مصر القومى فى عهد خلفاء محمد على

#### الجزء الأول

الرجعية فى عهد عباس الأول :	الفصل الأول
النهضة الوطنية فى عهد سعيد باشا :	الفصل الثانى
عصر إسماعيل - سياسته الخارجية :	الفصل الثالث
قناة السويس :	الفصل الرابع
السودان فى عهد إسماعيل :	الفصل الخامس
الجيش :	الفصل السادس
البحرية :	الفصل السابع
حروب مصر فى عهد إسماعيل :	الفصل الثامن
التعليم والنهضة العلمية والأدبية :	الفصل التاسع

#### الجزء الثانى

أعمال العمران :	الفصل العاشر
مأساة الديون :	الفصل الحادى عشر
الحركة الوطنية والحياة النيابية :	الفصل الثانى عشر
خاتمة النزاع بين الخديوى إسماعيل والدائنين :	الفصل الثالث عشر
نظام الحكم فى عهد إسماعيل :	الفصل الرابع عشر

#### الجزء الثانى

### من إعادة الديوان فى عهد نابليون إلى انتهاء الحملة الفرنسية ومن جلاء الفرنسيين إلى ولاية محمد على

إعادة الديوان فى عهد نابليون - نظام الديوان الجديد :	الفصل الأول
الحملة على سورية :	الفصل الثانى
الحالة فى مصر أثناء الحملة على سورية ، بوادر الثورة فى الأقاليم :	الفصل الثالث
سياسة نابليون فى مصر بعد عودته من سورية - معركة أبو قير البرية :	الفصل الرابع
اضطراب الأحوال فى فرنسا ورحيل نابليون :	الفصل الخامس
قيادة الجنرال كليبر :	الفصل السادس
معاهدة العريش :	الفصل السابع
نقض المعاهدة ومعركة عين شمس :	الفصل الثامن
ثورة القاهرة الثانية سنة ١٨٠٠ :	الفصل التاسع
مقتل الجنرال كليبر :	الفصل العاشر
قيادة الجنرال منو :	الفصل الحادى عشر
هزيمة الفرنسيين وجلاؤهم عن مصر :	الفصل الثانى عشر
نتائج ظهور العامل القومى على مسرح الحوادث السياسية - المناداة بمحمد على واليا على مصر - السيد عمر مكرم روح الحركة - ختام الثورة :	الفصل الثالث عشر
وثائق تاريخية :	الفصل الرابع عشر

#### عصر محمد على

### تاريخ مصر القومى فى عهد محمد على

الزعامة الشعبية فى السنوات الأولى من حكم محمد على :	الفصل الأول
الحملة الإنجليزية سنة ١٨٠٧ وفشلها :	الفصل الثانى
اختفاء الزعامة الشعبية من الميدان :	الفصل الثالث
انفراد محمد على بالحكم :	الفصل الرابع
تحقيق الاستقلال القومى - حروب مصر فى عهد محمد على :	الفصل الخامس
فتح السودان :	الفصل السادس
حرب اليونان :	الفصل السابع



الفصل الخامس	: اتفاق لندن لتسوية شؤون مصر المالية سنة ١٨٨٥
الفصل السادس	: مفاوضات درومند ولف بشأن الجلاء سنة ١٨٨٥ - ١٨٨٧
الفصل السابع	: مسألة قناة السويس ومعاهدة الآستانة سنة ١٨٨٨
الفصل الثامن	: مسألة السودان واستقالة شريف باشا
الفصل التاسع	: إخراج السودان ووزارة نوبار
الفصل العاشر	: اقتسام أملاك مصر في السودان
الفصل الحادى عشر	: مصر والاحتلال إلى انتهاء حكم الخديو توفيق
الفصل الثانى عشر	: النتائج العامة للاحتلال الأجنبى
الفصل الثالث عشر	: وثائق تاريخية

### مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية

( تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٨ )

الفصل الأول	: نشأة الفقيد والعصر الذى ظهر فيه
الفصل الثانى	: المرحلة الأولى من الجهاد
الفصل الثالث	: المرحلة الثانية من الجهاد
الفصل الرابع	: جهاده سنة ١٨٩٥
الفصل الخامس	: جهاده سنة ١٨٩٦
الفصل السادس	: جهاده سنة ١٨٩٧
الفصل السابع	: حادثة فاشودة وجهاد الفقيد سنة ١٨٩٨
الفصل الثامن	: جهاده سنة ١٨٩٩
الفصل التاسع	: ظهور اللواء سنة ١٩٠٠ والجهاد الأكبر
الفصل العاشر	: الاتفاق الودى بين فرنسا وإنجلترا سنة ١٩٠٤
الفصل الحادى عشر	: نادى المدارس العليا وتطور الأفكار سنة ١٩٠٥ و ١٩٠٦
الفصل الثانى عشر	: حادثة دنشواى سنة ١٩٠٦
الفصل الثالث عشر	: جهاد الفقيد عام سنة ١٩٠٧
الفصل الرابع عشر	: تأسيس الحزب الوطنى - حزب الجلاء
الفصل الخامس عشر	: القضاء المحتوم سنة ١٩٠٨
الفصل السادس عشر	: الخديو عباس حلمى الثانى
الفصل السابع عشر	: مصطفى كامل والخديو عباس الثانى
الفصل الثامن عشر	: مصطفى كامل وتركيا
الفصل التاسع عشر	: مجلس شورى القوانين

الفصل الخامس عشر	: الحالة المالية والاقتصادية
الفصل السادس عشر	: الحالة الاجتماعية
الفصل السابع عشر	: شخصية الخديو إسماعيل

### الثورة العربية والاحتلال الانجليزى

الفصل الأول	: حالة مصر فى أوائل حكم الخديو توفيق
الفصل الثانى	: مقدمات الثورة العربية وأسبابها
الفصل الثالث	: بدء الثورة : واقعة قصر النيل
الفصل الرابع	: أوج الثورة : واقعة عابدين
الفصل الخامس	: وزارة شريف باشا
الفصل السادس	: إنشاء مجلس النواب
الفصل السابع	: أزمة يناير سنة ١٨٨٢
الفصل الثامن	: وزارة البارودى
الفصل التاسع	: دستور سنة ١٨٨٢
الفصل العاشر	: أعمال مجلس النواب
الفصل الحادى عشر	: ظهور الفتن بعد انفضاض مجلس النواب
الفصل الثانى عشر	: مذبحه الإسكندرية
الفصل الثالث عشر	: مؤتمر الآستانة
الفصل الرابع عشر	: ضرب الإسكندرية
الفصل الخامس عشر	: القتال والمعارك فى الحرب العربية
الفصل السادس عشر	: التسليم
الفصل السابع عشر	: محاكمة العربيين
الفصل الثامن عشر	: شخصيات زعماء الثورة
الفصل التاسع عشر	: لماذا أخفقت الثورة العربية ؟

### مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال

( تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٨٩٢ )

الفصل الأول	: سياسة إنجلترا فى السنوات الأولى للاحتلال
الفصل الثانى	: إلغاء الرقابة الثنائية وتعيين مستشارو مالى بريطانى
الفصل الثالث	: إلغاء مجلس النواب
الفصل الرابع	: إنشاء المحاكم الأهلية سنة ١٨٨٣

الفصل العشرون :	مصطفى كامل ومعاصروه
الفصل الحادى والعشرون :	شخصية الزعيم
الفصل الثانى والعشرون :	نماذج من خطب الفقيد

### محمد فريد رمز الإخلاص والتضحية ( تاريخ مصر القومي من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٩ )

الفصل الأول :	نشأة الفقيد العائلية الوطنية
الفصل الثانى :	المرحلة الأولى من الجهاد
الفصل الثالث :	المرحلة الثانية من جهاده
الفصل الرابع :	جهاد الفقيد سنة ١٩٠٩
الفصل الخامس :	جهاد الفقيد سنة ١٩١٠
الفصل السادس :	مؤتمر بروكسل سنة ١٩١٠
الفصل السابع :	محاكمة الزعيم وجهاده سنة ١٩١١
الفصل الثامن :	جهاد الزعيم عام سنة ١٩١٢
الفصل التاسع :	الزعيم فى منفاه
الفصل العاشر :	نادى المدارس العليا والحركة التعاونية
الفصل الحادى عشر :	جهاد الفقيد سنة ١٩١٣ وتطور الحياة النيابية
الفصل الثانى عشر :	جهاد الفقيد سنة ١٩١٤
الفصل الثالث عشر :	جهاد الفقيد أثناء الحرب العظمى الأولى
الفصل الرابع عشر :	مرضه ووفاته
الفصل الخامس عشر :	رثاء الزعيم وحفلات التأبين
الفصل السادس عشر :	صلى بالفقيد
الفصل السابع عشر :	شخصية الزعيم

### ثورة سنة ١٩١٩

( تاريخ مصر القومي من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١ )

### الجزء الأول

الفصل الأول :	مصر فى أثناء الحرب العظمى الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨
الفصل الثانى :	أسباب الثورة
الفصل الثالث :	تأليف الوفد المصرى وتطور الحوادث

الفصل الرابع :	مقدمات الثورة
الفصل الخامس :	الثورة
الفصل السادس :	الثورة فى الأقليم
الفصل السابع :	ذكرياتى عن الثورة
الفصل الثامن :	مواجهة الثورة

### الجزء الثانى

الفصل التاسع :	مهادنة الثورة
الفصل العاشر :	استمرار الثورة
الفصل الحادى عشر :	محاكمات الثورة
الفصل الثانى عشر :	لجنة ملنر والحوادث التى لا يستها
الفصل الثالث عشر :	مفاوضات ملنر
الفصل الرابع عشر :	استشارة الأمة فى مشروع ملنر
الفصل الخامس عشر :	التبليغ البريطانى بأن الحماية علاقة غير مرضية
الفصل السادس عشر :	هل نجحت الثورة ؟ وفيم نجحت ؟

### فى أعقاب الثورة

### الجزء الأول

( تاريخ مصر القومي من سنة ١٩٢١ إلى سنة ١٩٢٧ )

الفصل الأول :	الانقسام الداخلى سنة ١٩٢١
الفصل الثانى :	الموقف السياسى بعد قطع مفاوضات عدلى
الفصل الثالث :	تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢
الفصل الرابع :	وزارة ثروت سنة ١٩٢٢
الفصل الخامس :	مصر فى مؤتمر لوزان ١٩٢٢ - ١٩٢٣
الفصل السادس :	وزارة محمد توفيق نسيم
الفصل السابع :	دستور سنة ١٩٢٣
الفصل الثامن :	الانتخابات العامة والبرلمان الأول سنة ١٩٢٤
الفصل التاسع :	وزارة سعد زغلول
الفصل العاشر :	وزارة زيور والانقلاب الأول
الفصل الحادى عشر :	اجتماع البرلمان من تلقاء نفسه وعودة الحياة الدستورية

الفصل الثالث	: وزارات الموظفين
الفصل الرابع	: أسباب الثورة
الفصل الخامس	: فاروق يمهد للثورة

### ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢

الفصل الأول	: شوب الثورة وانتصارها
الفصل الثاني	: الثورة في الحكم
الفصل الثالث	: إعلان الجمهورية وسقوط أسرة محمد على
الفصل الرابع	: محاكمات الثورة
الفصل الخامس	: الثورة والإخوان المسلمون
الفصل السادس	: أزمة مارس سنة ١٩٥٤ . واستقرار الثورة
الفصل السابع	: حلف بغداد والسعي في عزل مصر
الفصل الثامن	: مؤتمر باندونج
الفصل التاسع	: صفقة الأسلحة التشيكوسلوفاكية
الفصل العاشر	: الجلاء عن أرض الوطن
الفصل الحادى عشر	: سياسة الحياد
الفصل الثانى عشر	: دستور ١٦ يناير سنة ١٩٥٦
الفصل الثالث عشر	: تأميم قناة السويس
الفصل الرابع عشر	: العدوان الثلاثى على مصر . وإخفاقه
الفصل الخامس عشر	: مصر بعد فشل العدوان عليها
الفصل السادس عشر	: الجمهورية العربية المتحدة
الفصل السابع عشر	: السياسة الاقتصادية للثورة
الفصل الثامن عشر	: السياسة الاجتماعية للثورة
الفصل التاسع عشر	: وثائق تاريخية

الفصل الثانى عشر	: الوزارات الائتلافية
الفصل الثالث عشر	: شخصية سعد زغلول
الفصل الرابع عشر	: الدستور والحكم المطلق

### الجزء الثانى

#### (تاريخ مصر القومى من وفاة سعد زغلول سنة ١٩٢٧) إلى وفاة الملك أحمد فؤاد سنة ١٩٣٦

الفصل الأول	: استمرار الائتلاف بعد وفاة سعد زغلول
الفصل الثانى	: نقض الائتلاف وتعطيل الدستور - الانقلاب الثانى
الفصل الثالث	: مفاوضات محمد محمود - هندرسن
الفصل الرابع	: وزارة إسماعيل صدقى وإلغاء الدستور - الانقلاب الثالث
الفصل الخامس	: الجمعية الوطنية وعودة الحياة الدستورية
الفصل السادس	: شخصية الملك فؤاد
الفصل السابع	: النهضة الاقتصادية
الفصل الثامن	: النهضة الاجتماعية

### الجزء الثالث

#### (تاريخ مصر القومى من سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٥١)

الفصل الأول	: الحالة السياسية فى أوائل عهد فاروق
الفصل الثانى	: معاهدة ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦
الفصل الثالث	: إلغاء الامتيازات الأجنبية
الفصل الرابع	: وزارة محمد محمود الثانية
الفصل الخامس	: مصر فى الحرب العالمية الثانية
الفصل السادس	: حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ووزارة مصطفى النحاس
الفصل السابع	: وزارة أحمد ماهر
الفصل الثامن	: مصر بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية
الفصل التاسع	: الوفد فى الحكم - عودة الحكم المطلق

#### مقدمات ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢

الفصل الأول	: إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ والكفاح فى القناة
الفصل الثانى	: حريق القاهرة ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢



## الفصل الأول

### الوحدة القومية والدولة القديمة

تم على يد الملك ( مينا ) توحيد الوجه القبلي والوجه البحري وجعلهما دولة واحدة ، وهذا العمل الجليل هو أساس الحركة القومية ونواتها ، والغرض منه هو وحدة الوطن .  
حدث هذا التوحيد حوالي سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد، فتأسست بذلك الدولة المصرية الموحدة .  
وكان ( مينا ) أول من حكم أرض مصر مجتمعة ، وهو أول ملوك الأسرة الأولى<sup>(١)</sup> .  
كانت مصر قبل الوحدة مؤلفة من عدة ولايات أو أقاليم صغيرة ، يحكم كلّا منها أمير مستقل ، ثم تكونت منها مملكتان إحداهما تشمل الوجه البحري ( أو مصر السفلى ) ؛ والثانية تشمل الوجه القبلي ( أو مصر العليا ) .  
وكان ( مينا ) من ملوك الوجه القبلي ؛ نشأ في مدينة ( طيبة ) - تينيس - بالقرب من العراة المدفونة<sup>(٢)</sup> بجوار جرجا .

وكان رجلا عظيما ، يجمع بين الكفاية الحربية والمقدرة السياسية فاستطاع أن يخضع الوجه القبلي لحكمه ، ثم تمكن من غزو الوجه البحري ، وضمه إلى ملكه ، وألف من الوجهين القبلي والبحري دولة مصرية عظيمة ، كان هو أول الفراعنة الجالسين على عرشها . واتخذ ( طيبة ) عاصمة لها ، وكانت القوة سندًا له في هذا العمل القومي المجيد .  
ولا يغض من الوحدة أن القوة كانت سبيلها . فإن معظم الوحدات الهامة في التاريخ كان عمادها القوة ، وكان الإرغام سبيلها إلى التقدم والعظمة ، ولولا تأليف هذه الوحدات لظلت الأمم التي اتحدت فريسة الطامعين والمستعمرين .

فالوحدة الألمانية قد تألفت بقوة بروسيا ، والوحدة الإيطالية تمت أولاً بقوة البيمونت ، ووحدة الولايات المتحدة الأمريكية قد تدخلت فيها القوة لدوامها واستقرارها ، إذ نشب القتال فعلا بين الولايات الشمالية والولايات الجنوبية في القرن التاسع عشر بعد الميلاد ، وأرادت الولايات الجنوبية أن تنفصل عن الشمالية ، فلم تقبل الولايات الشمالية هذا الانفصال ، وفي سبيل الوحدة حاربت الولايات الجنوبية حربا استمرت أربع سنوات ، من سنة ١٨٦١ إلى سنة ١٨٦٥ ميلادية ،

(١) كانت هناك وحدة سابقة لم تدم طويلا . والوحدة التي تألفت سنة ٣٢٠٠ ق . م . هي التي استقرت واستمرت .

(٢) الآن بمركز البليبا مديرية جرجا . والعراة المدفونة هي ما يسميه المؤرخون اليونانيون ( أيبندوس ) .

وانتهت بانتصار الولايات الشمالية على الجنوبية ، وبذلك استقرت وحدة الولايات المتحدة الأمريكية ، فالقوة كان لها الفضل الأكبر في بقاء هذه الوحدة .

وانتقد أحرز ( مينا ) شرف توحيد الدولة وتشبيد دعائم القومية المصرية ، ولولا هذا التوحيد لظلت مصر مفككة الأجزاء ، يحارب بعضها بعضاً ، ويطمع فيها الأقوياء .

كان هذا الحادث عملاً قومياً رائعاً ، جعل من مصر دولة موحدة متماسكة مرهوبة الجانب ، تسير بالبلاد في سبيل التقدم والحضارة والمتعة .

ولا يقل هذا التوحيد شأنًا عن الوحدات التي تمت في التاريخ الحديث . كالوحدة الألمانية ، أو الوحدة الإيطالية ، أو الوحدة الأمريكية ( الولايات المتحدة ) .

كانت هذه الوحدة هي البداية الحقيقية للأسرات الملكية التي صارت عوناً لمصر القديمة وتاريخها المجيد .

وقد أحصى المؤرخ المصري ماتيتون<sup>(١)</sup> هذه الأسرات بثلاثين أسرة .

والأسرة الأولى - أسرة ( مينا ) وخلفائه - هي أول أسرة حكمت مصر مجتمعة موحدة .

### تأسيس مدينة منف

تولى ( مينا ) شؤون الدولة الموحدة ، وأدارها إدارة حكيمة حازمة وظلت تينيس ( طينة ) عاصمة الدولة الموحدة .

على أنه أراد أن يقترب من الوجه البحرى ليكفل الإشراف عليه وحسن إدارته ، فأنشأ مدينة منف<sup>(٢)</sup> أو منفيس كما يسميها اليونانيون .

وبدأ بإقامة قلعة اشتهرت باسم ( القلعة البيضاء ) ، التي صارت نواة للمدينة التاريخية العظيمة التي عرفت باسم ( منف ) ، واتخذها مركزاً لإدارة الدلتا ، وموقعاً حربياً هاماً . وفي سبيل إنشائها أقام جسوراً لتجفيف بعض المناطق التي كان يغمرها الفيضان شرقى موقعها ، وكان النيل يجرى لجهة الصحراء الغربية ، وتختلف عن هذا العمل فضاء واسع ، أنشأ به المدينة الجديدة ، وأقام حولها جسراً هو المعروف الآن بجسر « قشيشه » .

(١) ماتيتون Manethon كاهن مصرى وعالم مؤرخ من سنود . وقد كلفه بطليموس الثانى بكتابة تاريخ مصر القديمة ، فكتبه باللغة اليونانية فى القرن الثالث قبل الميلاد ، وقد فقد هذا المرجع الهام ضمن حريق مكتبة الإسكندرية سنة ٤٨ ق . م . ولم يبق منه إلا شذرات القطفة بعض للتوحيين القدماء من اليونانيين واليهود . هذا ، ويجب استبعاد الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة من إحصاء ماتيتون ، لأنها من العكسوس ، أى إلهما أسرتان غاصبتان تمثلان الاستعمار اليغىض ( انظر الفصل الرابع ) . ويجب أيضاً استبعاد الأسرة الحادية والثلاثين ( قميز وخلفائه ) لأنها تمثل الاحتلال الفارسى .

(٢) البدرشين وميت رهينة .

ولا ريب أن إقامة الجسور على مجرى النيل يدل على مبلغ تقدم المصريين فى العلوم الهندسية . يقول المؤرخ برستد Breasted: إن الفضل فى رقى القطر المصرى فى عهد الأسرات الأولى ، الذى يقدر بحوالى أربعة قرون ، يرجع إلى ضم سائر جهاته تحت حكم الملك ( مينا ) وسلالته ، الذين اتخذوا مركزهم فى بادئ الأمر بمدينة ( طينة ) ، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى منف - منفيس - وارتقت فى هذه المدة حضارة البلاد ، وزاد عمراتها ، وقوى نفوذها ، فسمى الأثريون هذا العهد ( الدولة القديمة ) . وصارت مدينة (منف) عاصمة البلاد فى عهد ملوك الأسرات الثالثة إلى السادسة الذين تربعوا فى دست الحكم قرابة خمسة قرون سنة ٢٩٨٠ إلى سنة ٢٤٧٥ قبل الميلاد تقريباً<sup>(١)</sup> .

ويقول الدكتور أحمد بدوى عن تطور حياة مصر وسياستها بعد الوحدة : أخذت النظم السياسية تتطور منذ أيام الاتحاد ، فهى قد كانت مقبولة على التطور مدفوعة إليه دفعاً قوياً ، وأخذت قوة السلطان الجديد التي أقامت راية الاتحاد ورفعتها تجمع فى يدي أصحابها عنصرين أساسيين من عناصر النظم والسياسة والإدارة التي كانت تتبع فى قطرى الوادى ، ( الوجه البحرى والوجه القبلى ) قبل أيام الاتحاد ، وما ندرى ماذا قتر ( مينا ) وأصحابه من تطور لأنظمة هذه المملكة المتحدة ، فهم كانوا أصحاب الغلبة وأرباب النصر والسلطان ، ومن حق الغالب أن يأخذ المغلوب بنظامه وأن يفرض سلطانه عليه فرضاً ، ولكن ( مينا ) وأصحابه فيما يظهر ، قد رأوا عند أهل الشمال ( الوجه البحرى ) من مظاهر الحضارة ومن النظم السياسية المستقرة ما أعجبهم فأبقوا عليه وأخذوا بها وأقروها ، ولعلمهم قدرها أيضاً ما قد يكون لعملهم هذا من أثر فى إرضاء خواطر المغلوبين ، وتطبيب نفوسهم مما ينسبهم مرارة الهزيمة وذلل الانكسار ، فجمعت راية الاتحاد دولتين عظيمتين إحداهما فى الجنوب والأخرى فى الشمال ، وأخذت الأمور تجرى بكل من الدولتين على سنتها الخاصة ومنهجها القديم ، فنظام للجنوب ، ونظام للشمال ، وإدارة للجنوب وإدارة للشمال ، ووزير للجنوب ، ووزير للشمال ، وسلطان واحد فوق هذا كله يدير الأمر من القصر فيشقى بذلك كله ، ويعالج مشاكله ويعانى متاعبه وربما يلقى من ذلك أوانا من العنت والمشقة<sup>(٢)</sup> .

### الحضارة المصرية قبل الوحدة

إن الحضارة المصرية أسبق من الوحدة ، وكانت ولا ريب من أسبابها الممهدة لها ، وجاءت الوحدة تثبيتها لها ، وتوسيقاً لآفاقها .

(١) برستد - تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الغزو الفارسى ص ٨ .

(٢) تعريب الدكتور حسن كمال - ورقم الصفحة يشير إلى التعريب .

(٢) أحمد بدوى : فى موكب الشمس ( فى تاريخ مصر الفرعونية ) ج ١ ص ١٢٣ .

بدأت الحضارة الإنسانية في وادي النيل، نشأت على ضفافه منذ عصور متناهية في القدم، ولا سبيل إلى تحقيق الزمن الذي بدأت فيه .

وأقرب الآراء إلى التقدير الوسط أنها ترجع إلى حوالي سبعة آلاف سنة قبل الميلاد .

وهي على أي تقدير سابقة على الوحدة، وسابقة على عهد الأسرات الملكية الذي جاء نتيجة مباشرة لرفى وتقدم تدريجي في حضارة الزمن السابق .

دخلت الحضارة مصر يجريان النيل فيها، فهي وليدة النيل، وهو مصدر الحياة والخير لها، والماء الذي يتدفق منه كل عام في أوقات معلومة يجلب معه الرخاء والرفاهية، ويغرس فيها أصول الحضارة، وما يحويه من الطمي يهب الأرض خصوبة وإنتاجاً، ولقد استشر المصريون من قديم الأزمان أن لابد لهم من حكومة ونظام للرى والأمن، يسهران على الاستفادة من مياه النيل بشق الترع والقنوات، وتقوية جسور النيل وإنشاء السدود، وحفظ الأمن، وتوزيع الماء بين الناس بالعدل والقسطناس، وإبتكار هندسة الري من أقدم العصور، وخاصة لأن مصر لا تعيش على الأمطار ولا تعتمد في حياتها المعاشية والاقتصادية إلا على النيل، فشعور المصريين بأنهم في حاجة إلى حياة متقدمة منظمة جعلهم أسبق الأمم إلى إيجاد مقومات الحضارة في بلادهم، هذا إلى ما طبعوا عليه من المواهب الفطرية، والاعتدال في المزاج، وحب الوطن، والدفاع عنه، والميل إلى التقدم في أسباب المعيشة، والبعد عن حياة الهمجية والضرارة. ولذلك مارس المصريون القدماء قبل عهد الأسرات الملكية مبادئ الحضارة، كالزراعة والصناعة واستخراج المعادن وقطع الأحجار، والملاحة والتجارة، وبناء السفن، والآداب والفنون، وما إلى ذلك .

ومن ناحية أخرى فإن طبيعة مصر الجغرافية، وانحصار الوادي المسكون بين صحراوين كبيرتين جعل أهلها أقرب إلى التعاون والتضامن على تنظيم شؤونهم .  
وهذه النواحي كلها كان لها أثرها في سبقها الأمم الأخرى إلى الحضارة والتنظيم .

### المصريون أول من اكتشفوا التقويم السنوي

يقول العلامة برستد Breasted في عرض الحديث عن العصر السابق للوحدة: إن مملكة الوجه البحري امتازت على الوجه القبلي بسرعة تقدمها في الحضارة؛ وقد اهتمت في سنة ٤٢٤١ قبل الميلاد أن السنة الشمسية تتكون من ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً، وهذا التاريخ - أي سنة ٤٢٤١ قبل الميلاد - هو أقدم تاريخ ثابت معروف للآن على ظهر البيضة<sup>(١)</sup> .

(١) برستد: تاريخ مصر من أقدم العصور - المرجع السابق ص ٧ - وأود بهذه المناسبة أن أشير إلى أنني سأقتل كثيراً عن برستد وغيره من المؤرخين الأجانب ما نقله عن المؤرخين المصريين، مما يبرز فضل مصر، لأن آراءهم أبعد عن مظنة الميل أو الانحياز وأقرب إلى الحيطة في الحكم. وهي بالتالي أدعى إلى تأييد المؤرخين المصريين في آرائهم وأحكامهم .

ويقول توضيحاً لذلك: إن سكان الوجه البحري تنبهوا في القرن الثالث والأربعين قبل الميلاد<sup>(١)</sup> إلى أن السنة الشمسية تتكون من ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً، وأرخوا مبتدئين بالسنة التي ظهر فيها نجم الشعرى اليمانية مع شروق الشمس، ودلت المباحث الفلكية على أن هذا الحادث حصل حوالي سنة ٤٢٤١ قبل الميلاد، ويعتبر هذا الكشف الميقاتي واستعماله في اليقون الدينيوة خطوة كبيرة نحو الرقي، وشرقاً عظيماً للوطن الذي كشف فيه، ولم تستكشف بحولة من دول العالم منذ أقدم الأزمنة حتى مبدأ العصر الأوربي المتوسط. توقيتاً سنوياً مثله، وأن يوليوس قيصر عاهل الرومان هو أول من أدخل التوقيت المصري امبراطوريته، ثم عم استعماله العالم، من ذلك يتضح أن استعمال التوقيت المصري عمر مدة سنة آلاف سنة تقريباً، وأن الفضل في ذلك يرجع إلى سكان الوجه البحري الذين عاشوا في القرن الثالث والأربعين قبل الميلاد<sup>(٢)</sup> .

ويقول عن الحضارة المصرية عامة: لا يخفى أن العالم الغربي مدين بكثير من علومه وآدابه إلى أهالي وادي النيل، كيف لا وهم الذين زدوا أوروبا الجنوبية بالمدنية والمعارف، فأخذت هذه تنتشر شمالاً متبعة سير النيل إلى أقاليم البحر الأبيض المتوسط<sup>(٣)</sup> .

### وأول من اكتشفوا القراءة والكتابة

ويقول برستد أيضاً: « وزيادة على ما بلغه هؤلاء القدماء من مبادئ المدنية والرقى فإنهم نجحوا في اختراع الكتابة والقراءة، واستدل من المباحث التي عملت لكشف طريقة التوقيت المصرية على أن قدماء المصريين استعملوا الكتابة منذ نحو خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، وأن كتاب الأسرة الخامسة الذين أتوا بعد ذلك بألف سنة دونوا طائفة كبيرة من أسماء ملوك الوجه البحري، وبعض ملوك الوجه القبلي، من الذين يرجع تاريخهم إلى ما قبل حكم الأسرات، ودليلنا على ذلك أن الخط الهيراطيقي كان مستعملاً في مبدأ الأسرة الأولى وهو كما لا يخفى اختزال للخط الهيروغليفي » .

وقال في موضع آخر: « والفضل في كشف حروف الهجاء يرجع إلى قدماء المصريين الذين توصلوا إلى معرفتها منذ نحو ألفين وخمسمائة سنة قبل سائر الأمم »<sup>(٤)</sup> .

ويقول جون ويلسن John Wilson: إن الكتابة قد ظهرت في مصر في فترة الانتقال بين عصر ما قبل التاريخ والعصر التاريخي، وأن الكتابة الهيروغليفيية في مصر ظهرت على الحجر وعلى

(١) أي قبل قيام الأسرة الأولى بنحو ألف سنة .

(٢) برستد: تاريخ مصر من أقدم العصور - المرجع السابق ص ٢١ .

(٣) برستد: تاريخ مصر من أقدم العصور - المرجع السابق ص ٧ .

(٤) برستد: تاريخ مصر من أقدم العصور - المرجع السابق ص ٢٣ ، ٢٨ .

## زوسر

ومؤسس الأسرة الثالثة هو ( زوسر ) .  
وقد بنى هرم صقارة للذبح وساحته مع ملحقاته : ٤٥٠ ميترًا X ٣٧٠ ميترًا ويقول عنه الدكتور أحمد بدوي : ولو لم يكن لهرم زوسر من مظاهر الحضارة غير عمارة الهرم للذبح وما أخرجت به البناء فيها من روائع الفن الكلي ، فهي أكبر بناء حجري عرفه تاريخ الإنسانية في ذلك الوقت <sup>(١)</sup> وقد صاحب انتقال الحكم من ( طيبة ) إلى منف تقدم تكنولوجي في الحضارة ، وتضمن مطرد في أحوال البلاد طلال حكم الأسرات المنفية الذي دام حوالي خمسمائة عام .



هرم زوسر للذبح بسقارة

بذل الملك ( زوسر ) جهودًا موفقة لحماية البلاد من غارات البدو عن حديثهم أنفسهم بالتسلل من الحدود الشرقية والجنوبية لصر ؛ وأيضًا لصر قوة حربية يعتمد عليها في صد الغارات الخارجية .  
ورغم إنها جزءًا من التوبة .  
وتننى باستخراج النحاس والفرز من سيناء .

## إيمحوتب IMHOTEP أبو الطب في مصر والعالم

وكان لزوسر وزير حكيم يدعى ( إيمحوتب ) عازبه على نفضة البلاد الاجتماعية والاقتصادية ، وكان إيمحوتب هذا مهتمًا معماريًا من الطراز الأول ، زينغ في الطب وألف فيه ، كما ألف في الحكمة .

وقد عرف ( زوسر ) قدر وزيره فكرمه ، بأن نقش اسمه على تماثيله ، وهو تكريم ، لم يسبق

(١) أحمد بدوي : في موكب الشمس ج ١ ص ١٣٥ .

الفن ، وقد استكملت نظام جمع الكلمين لاستعمال نطقها في كلمة واحدة ، ولكن جمع الصور التي وجدت طريقها إلى الكتابة الفيروغرافية كانت كلها صورًا مصرية بحتة <sup>(١)</sup> .

## الأسرة الأولى والثانية

( سنة ٣٢٠٠ - ٢٧٨٠ قبل الميلاد )

قلنا إن الملك ( ميناء ) وحده الوجه البحري والوجه القبلي سنة ٣٢٠٠ ق . م . فهو أول من أسس الوحدة القومية ، وأسس الأولى ، وقد استمر ملوك الأسرة الأولى نحو ٢٠٠ سنة ( من ٣٢٠٠ إلى ٣٠٠٠ ق . م ) .

والأسرة الثانية حكمت نحو ٢٠٠ سنة أيضًا ( من ٣٠٠٠ إلى ٢٧٨٠ ق . م ) وكانت طيبة ( تينيس ) عاصمة الدولة في عهد ملوك الأسرة الأولى .

وليس معروفًا على وجه التحقيق لماذا خلفت الأسرة الثانية الأسرة الأولى .  
وليس معروفًا أيضًا إذا كانت هناك صلة بين الأسرتين .

وقد انقصر المؤرخون على إبراد أسماء الملوك كما ذكرها مانيتون ، وما ورد في الآثار المصرية .  
واقترنت مدة حكم ملوك الأسرتين بنمو مطرد في قوة الدولة وحضارة مصر .  
ونظم ملوك الأسرتين الحكم ورتبا السلطات المركزية ، ونظما الزراعة والتجارة والملاحة والراعي ، ورتبوا فن الكتابة ، ونهضوا بالصناعة والتحت ، وعصارة الجباه والعلمة والمعلم عامة .  
وظلت الروحة القومية والدمهم في سياسة المواطنين .

يقول برستد في هذا الصدد : « أسس القراعنة الطيبون ( نسبة إلى طيبة ) بناء المملكة المصرية ، ورتبوا أحوالها وبنيتها ، ورفضوا عن قلة آثارهم فإن أعمال ملوك الأسرتين الثالثة والرابعة كافية لإثبات ما بلغته حالة البلاد الاقتصادية من العظم والقوة مدة حكمهم » <sup>(١)</sup> .

## الأسرة الثالثة

( ٢٧٨٠ - ٢٢٨٠ قبل الميلاد )

إنعقد الملوك في عهد الأسرة الثالثة مدينة « منف » عاصمة لهم .

وفي مدة خمسة قرون تقريبًا من الأسرة الثالثة إلى الثامنة كتبت ( منف ) عاصمة للملكة .

John Wilson The burden of Egypt

(١) تاريخ الحضارة المصرية لجون ويلسن  
لميرف د أحمد حمزى ص ٨٦

(١) برستد : تاريخ مصر من أقدم العصور للرجح السابق ص ٣٢ .



ويعد أن مضي على وفاته ما ينيف على ألف سنة الفخر المبرك المصريون بأن مشروعاتهم بسببها ، فافت كل مشروعات عملت هناك منذ عهد الملك سنفر ، قام بضمين حدود مصر الشرقية ، وعمل على توسيع المعاملات التجارية بين مصر وشواطئ سورية وليان ، وسار بحملة منظمة إلى بلاد النوبة وعاد منها بمئات كثيرة ، وبدأت العلاقات بين القطرين ( مصر والنوبة ) تأخذ مظهرًا جديدًا ، إذ بدأ المصريون يرسلون منتجاتهم دون عائق إلى النوبة ، كما أخذ ملوك مصر يستغلون الحاجر فيها .

عنى بإنشاء أسطول بحرى لمصر .  
وأرسل بعثة من أربعين سفينة إلى سواحل لبنان لاستيراد أخشاب الأرز من هناك ، ونى من هذه الأخشاب سفنًا كثيرة استعمل بعضها فى النيل وبعضها الآخر فى البحر ، واستخدمت هذه الأخشاب أيضًا فى بنائى المعابد والقصور وصنع الأثاث الفاخر والوراثيت .  
وفى عهد أسرة ( سنفر ) أنشئت إدارة لبناء السفن كانت تشرف على تشييدها .  
وقد نى ( سنفر ) مرتين له فى دهشور ، وهما من أقدم الأهرام المبروة حتى الآن .  
وكان ملكا عادلا محبًا من الأميين ، ودام حكمه أربعًا وعشرين سنة .

### خوفو

هو أحد أبناء سنفر<sup>(١)</sup> ( خلافا لما جاء فى برستد ) .  
وقد خلد ذكره بالرم والأحمر الذى يعرف باسمه ( رم خوفو ) والذى شيده على هضبة الجزيرة . وهو أكبر وأضخم الأهرام الموجودة فى مصر ، يبلغ ارتفاعه ١٤٦ مترا ونصف متر ، أما قاعدته فمربعة الشكل ويبلغ طول كل ضلع من أضلاعها نحو ٢٣٠ مترا ، وعدد أحجاره نحو ٢,٣٠٠,٠٠٠ حجر ، وزن كل منها فى المتوسط ٢,٥ طن ، أى أن مقدار وزن الهرم يبلغ نحو ستة ملايين طن .  
وكان المند الكبير من المصريين يعملون فى بناء الهرم ، ويشتغلون فى بنائه طول مدة الفيضان ، أى حين جلوهم من أعمال الزراعة فى فترة فيضان النيل .  
وقد كتب علماء الآثار كثيرا عن هذا الهرم وعن الأهرام الأخرى .  
والهرم الأكبر هو موضع إعجاب الدنيا وحديث الناس فى شتى الأقطار ، يقصدونه كل حين لمشاهدة ضخامته وعظمته الباقية على الزمن ، ورغم اتقاصه نحو خمسة آلاف سنة على تشييده .  
وكل من يأتون إلى مصر من الأجانب سواء من العلماء ، أو من الأشخاص العاديين ، يقصدون الهرم الأكبر والأهرام الأخرى لعاداتها ، ويملكم الإحجاب بها وتروعهم عظمة من شيدوها .

(١) أحمد فخري - مصر الفرعونية ص ١٠٧ .

لك أن كرم أحدا بعلمه ، وكرمه المصريون بأن جلدوا اسمه ، وهو أول مهندس معمارى فى تاريخ مصر يشيد قبرا يشبه الهرم فى شكله العام<sup>(١)</sup> ، وهو الذى نى لزوسر هرمه المدرج .  
وقد ذكره اللورخ المصرى ماتيون وقال عنه إنه عاش فى عهد زوسر وإن الإغريق يعتقدون أنه شبيه بملككيسوس إله الطب عددهم مهارته فى الطب ، وأنه كان يقبل إقبالا كبيرا على التاليف .

وكان إيمحوتب فردا من أفراد الشعب ، ولم تكن له صلة عالية بالأسرات المالكة ، بل ميزه توبعه وعبقريته ونبذاته الشعبية ، فقبوا مكانا رفيعا فى التاريخ المصرى ، وهو جدير بأن يلقب بأبى الطب فى مصر والعالم ، لأنه سبق أبقراط بعدة قرون<sup>(٢)</sup> .  
وعا قاله عنه برستد : إن الفضل فى نجاح سياسة زوسر يرجع إلى حكمة ودهاء وزوره ( إيمحوتب ) الذى برع فى الدين ، وفى الطب والعمارة ، حتى ترك له أستا خالدا فى التاريخ المصرى على مدى العصور ، ثم اتفقه الكاب المصريون مثلا بحذونه فى حياتهم العلمية ، فصبرا مداد علمهم تيمنا بذكره قبل البدء بأعماله الكتابية ، وترجم الناس بأعماله فى مدى قرون عدة ، وعلت منزلته وعظمت ، فاعتبر فى آخر التاريخ القديم إله الطب<sup>(٣)</sup> .

وقد ثبت فى بردية إدوين سميث التى تعد أقدم رسالة علمية فى الجراحة ، مدى اهتمام المصريين القدماء بالطب فى عصر بناء الأهرام ، وكذلك علمهم بالتشريح<sup>(٤)</sup> .  
**الأسرة الرابعة - بناء الأهرام**  
( ٢٦٨٠ - ٢٥٦٠ قبل الميلاد )  
من الحق أن ندرج ( زوسر ) ضمن بناء الأهرام ، فقد نى هرمه المدرج كما أسلفنا . ثم جاءت الأسرة الرابعة وعلت مدة حكمها نحو مائة سنة ، نذكر هنا أهم ملوكها وهم :

### سنفر و SENEFRU

هو مؤسس الأسرة الرابعة وأول ملوكها .  
كان ملكا كبير الفعلة ، وله أعمال عمرانية عظيمة ، فقد وأصل استمراج الصحاح الصحاح والفيروز من شبه جزيرة سيناء ، ووطد سلطة مصر فى تلك الناحية حتى اعتبر فى العصور التالية المؤسس الأكبر للنفوذ المصرى بسيناء . ونى باسمه أحد مناجم تلك الجهة .

(١) أحمد فخري - مصر الفرعونية - ص ٩٢ .  
(٢) عاش أبقراط فى القرن الخامس ق م .  
(٣) برستد : تاريخ مصر من أقدم العصور - المربع السابق ص ٧٤ .  
(٤) ستروكات : التذكور عند كل حين .

وحسبك أن هذه الأهرام - أهرام الجيزة - اعتبرت منذ العهد الإغريقي ضمن عجائب الدنيا السبع ، أما الآن فهي البقية الباقية من هذه العجائب ، وهي أعظم مجموعة أثرية ، وأقدم المباني العظيمة في العالم ، ومفخرة خالدة لمصر مدى التاريخ .

ومهما قيل عن الأهرام من أنها تدل على أنانية الملوك الذين شيدها لتكون مقابر لهم ، واستيادهم بالأهلين في إقامتها ، فإنها ولا ريب رمز لتقدم الحضارة في ذلك العصر ، ودليل خالده على ما وصل إليه المصريون من المكانة الرفيعة في العلوم والفنون ، وخاصة العلوم الهندسية والرياضيات ، وضبط الزوايا والأبعاد ، والنحت ، والنقش والتصوير ، وفن العمارة وضخامة البناء وروعته .

وقد ذكر المؤرخ اليوناني ( هيرودوت ) حين زار مصر في القرن الخامس قبل الميلاد ، أن بناء الأجزاء السفلى من الهرم الأكبر ، والممرات الصاعدة قد استغرق عشر سنوات ، وأن بناء الهرم نفسه قد استغرق عشرين عاماً ، ومعنى ذلك أن تشييد الهرم بجميع أجزائه قد استغرق ثلاثين عاماً . وأن عدد العمال الذين ساهموا في بنائه بلغ مائة ألف عامل كانوا يعملون في جماعات تتناوب العمل كل ثلاثة أشهر .

وقد سمع ( هيرودوت ) هذه الرواية من صغار الكهنة بعد مرور أكثر من ألفي سنة على الهرم . وهي روايات يجب أن تقابل بالتحفظ والحذر ، وأساسها ما تلقاه من الرواة من أن الأحجار التي بنى بها خوفو الهرم الأكبر كانت تجلب من محاجر الجهة الشرقية للنيل ( محاجر طرة ) ، فكان العمال ينقلونها عبر النيل إلى الجيزة ، فحتاج إلى جهود مضنية لنقلها .

وقد نفى الأستاذ « سليم حسن » هذه الرواية إذا أثبت أن أحجار هرم خوفو هي من أحجار الهضبة التي أقيم عليها ، وقال إن هذا يثبت خطأ ( هيرودوت ) في زعمه إنها كانت تجلب من محاجر الجهة الشرقية من النيل وقال أيضاً إنه عثر في منطقة الأهرام على مساكن للعمال الذين كانوا يقومون بالبناء<sup>(١)</sup> . وهذا يدل على أنهم كانوا يعاملون معاملة إنسانية .

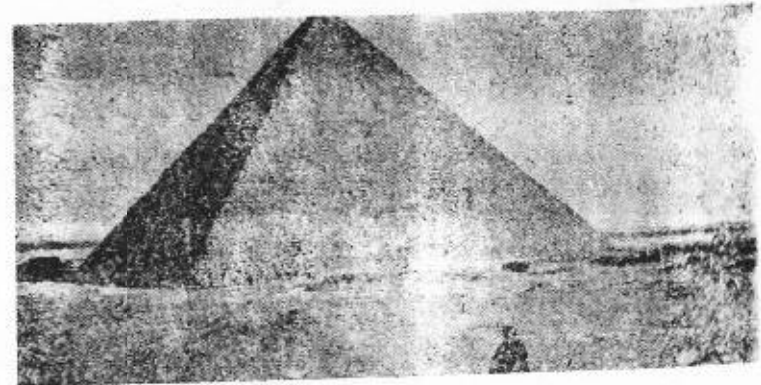
وقال عن طريقة رفع الأحجار لبناء الهرم إن العالم ظل إلى زمن قريب جداً يعتقد أن المصريين القدماء كانوا يبنون المزالق لجر الأحجار عليها ، ولكن الكشوف الحديثة برهنت على أن المصريين كانوا قد وصلوا في ذلك العصر إلى استعمال « البكر » لرفع الأحجار ، وأنه قد عثر في حفائر الجامعة المصرية على بكرتين ، إحداهما وجدت بجوار الهرم الثاني ، والأخرى عثر عليها في أحد بيوت مدينة الأهرام التي كشفت عن جزء منها ، وأنه يتضح من كل ذلك « أن أجدادنا المصريين كانوا قد وصلوا إلى مدى عظيم في فن البناء واستخدام قوى الطبيعة »<sup>(٢)</sup> .

(١) سليم حسن - مصر القديمة - ج ١ ص ٢٨٧ و ٢٩٢ و ج ٢ ص ٢٠٨ و ٢١٤ .

(٢) سليم حسن - مصر القديمة ج ١ ص ٢٨٨ .



خوفو - باني الهرم الأكبر



الهرم الأكبر بالجيزة (هرم خوفو)

## خفرع KHEFHREN

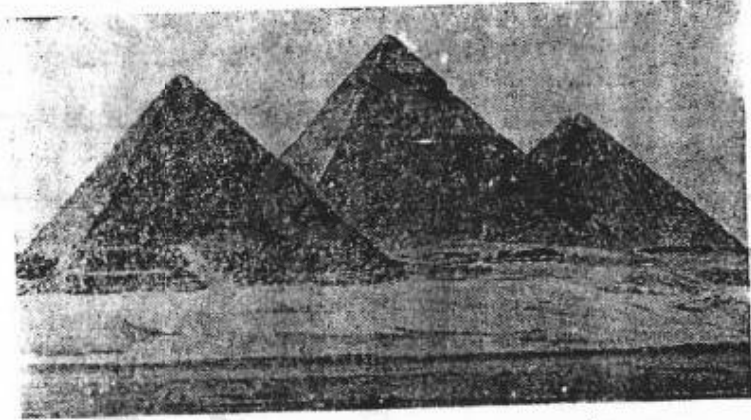
### باني الهرم الثاني

ولما توفي خوفو خلفه على العرش ابنه ددف رع ، وقد بنى له هرما في أبي رواش . وبعد وفاته خلفه أخوه خفرع وهو ابن آخر لخوفو .



خفرع - باني الهرم الثاني بالجيزة  
وخلف رأسه المعبود حوروس في شكل الصقر المقدس حايا بجناحيه رأس الملك

وخفرع هو باني الهرم الثاني بالجيزة في الجنوب الغربي من هرم خوفو وقد بناه على غرارهِ وإن كان لا يذانيه في الضخامة والارتفاع . وحافظت الدولة المصرية في عهده على تقدمها وعزها كما كانت في عهد خوفو .



الأهرام الثلاثة بالجيزة كما تشاهد من الجهة الجنوبية الغربية  
هرم خوفو (الهرم الأكبر) ثم هرم خفرع ثم هرم منكاورع

هذا ، ويجب ألا ننسى أن بناء الأهرام يرجع إلى العقيدة الدينية التي كان يدين بها المصريون الأقدمون في أن حياة الإنسان لا تنتهي بموته . بل إنه سيبعث بعد رحله عن الدنيا ويحاسب على أعماله في الآخرة .

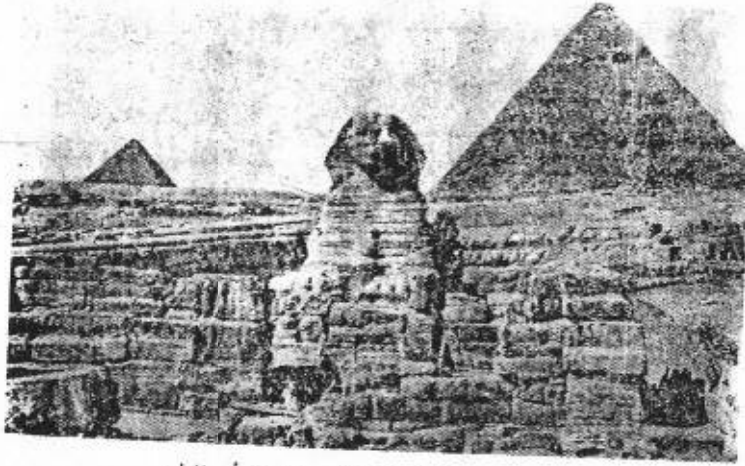
هذه العقيدة هي التي أوحت إلى الفراعنة بناء الأهرام لتخلد فيها أرواحهم .

وهي في جملتها عقيدة صحيحة وإذا كان الفراعنة قد خرجوا بها عن بساطتها إلى ذلك التعقيد في الفهم والتكليف ، فيلزمنا ألا نحكم عليها بأفكارنا الحالية ، بل علينا أن نزنها بتفكير العهود القديمة التي نشأت فيها .

وعقيدة الحياة بعد الموت هي في جوهرها دليل على تقدم في الحضارة والتفكير ، ولولا العقيدة في خلود الروح لما شيد أسلافنا الأقدمون هذه الآثار الضخمة التي صارت مع الزمن من مفاخر مصر الخالدة .

ومما ينفى الأناثية عن الفراعنة ، ويدل على أنها لم تكن المهمة لهم ببناء الأهرام ، أننا لو فتحنا عن القصور التي بنوها لتكون سكناً لهم وموطناً لمسراتهم وعزهم ، لما وجدناها تحاكي الأهرام في ضخامتها وروعيتها ، فلقد درست هذه القصور وعفت آثارها ، ولم تخلد على الزمن مثلما خلدت الأهرام .

وهذا يدلنا على أن الأثرية والأناثية لم يكن هما دخل في بناء الأهرام . بل إن قوة العقيدة الدينية والإيمان بالحياة الأخرى كانا الباعثين لبنائها وخلودها .



الهرمان الثاني والثالث بالجيزة . . وتمثال أبي الهول

ثلاثة وسبعون متراً ونصف ، وعرض وجهه أربعة أمتار ونصف فهو حقاً سر أولغز من الألغاز في تاريخ مصر القديمة .

يقول برستد عن حكم الأسرة الرابعة : « ومدة حكم الأسرة الرابعة المقدرة بمائة وخمسين سنة تمتاز بالنظام ، وتوطيد الحكم ، واطراد التقدم والرفق ، ما لم يسبق لأبناء وادى النيل أن يتمتعوا بمثله ، وقد قاومت آثار ذلك العصر بمتانتها وعظمتها القرون العديدة حتى وقتنا هذا ، ولا يبعد أن عهد خوفو كان أرقى عصر في عهد الأسرة الرابعة لأن القطر أخذ يضمحل تدريجاً في عهد خفرع ، ثم في عهد منكاورع حتى عجز هذا الأخير عن القبض بقوة على ناصية الحل كما فعل سلفاه ، ولم يحفظ لنا الزمن من آثار هؤلاء الملوك إلا التسعة الأهرام المشيدة بالجيزة ولا تزال تحفظ ذكراهم إلى الآن<sup>(١)</sup> .

## منكاورع MYCERINOS

باني الهرم الثالث

وبعد وفاة خفرع أعقبه ابنه منكاورع باني الهرم الثالث .



أبو الهول

وإلى جوار الأهرام الثلاثة ، يريض أبو الهول العجيب وهو التمثال المائل الرائع المشيد على هيئة أسد ضخم له رأس إنسان ، ويرمز إلى اجتماع القوة والعقل معاً .

وهو تمثال للملك خفرع باني الهرم الثاني ، وفي قول آخر إنه تمثال لإله الشمس عند الغروب ( آتوم )<sup>(١)</sup> ، ويبلغ ارتفاعه من مسطح فاعلته حتى قمة رأسه عشرين متراً ، وطوله

(١) سليم حسن - مصر القديمة - ج ١ ص ٣٠٢ .

(١) برستد - تاريخ مصر من أقدم العصور - المرجع السابق ص ٧٩ .



## الأسرة الخامسة

( ٢٥٦٠ - ٢٤٢٠ قبل الميلاد )

أسقط الكهنة الأسرة الرابعة وأسسوا الأسرة الخامسة . وكان لحكام الأقاليم الذين حرصوا على سلطانهم دخل في هذا التغيير ، وقد عظم نفوذ الكهنة في عهد هذه الأسرة . وكان أول ملوكها ( أوسركاف ) Ouserkaf وتلاه ملوك عديدون لم تقع في عهدهم حوادث حاسمة .

## البحرية في عهد ساحورع

على أن خلفه ( ساحورع ) شيد لمصر أسطولاً بحرياً جعلها أول دولة بحرية معروفة في التاريخ . ويقول برستد : إنه عثر حديثاً على لوح حجري بهرم هذا الملك ببوصير وجدت عليه رسوم لأربع سفن عظيمة محملة بالأسرى الفينيقيين حولهم بخارجة مصريون ، وتعتبر هذه النقوش أقدم رسوم بحرية وجدت حتى الآن ( حوالي سنة ٢٧٥٠ قبل الميلاد ) وأن ساحورع أوفد أسطولاً آخر إلى بلاد الصومال ( بونت ) وخليج عدن<sup>(١)</sup> في طلب البخور والروائح العطرة ، والأدهنة الجميلة الكثيرة الاستعمال عند الشرقيين<sup>(٢)</sup> . والمعروف أن ساحورع هذا أول ملك أثبت آثاره أنه مؤسس المواصلات البحرية مع الصومال رأساً .

(١) برستد : المرجع السابق ص ٨٣ .

(٢) كانت بلاد بونت تشمل الشاطئ الآسيوي والإفريقي معا حول بوزار باب اللندب .

## افضل السماني

### الثورة الاجتماعية

## في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد

تولت الأسرة السادسة الحكم سنة ٢٤٢٠ واستمرت حتى سنة ٢٢٨٠ قبل الميلاد .

## بيبي الأول

وهو من الملوك التليهن الذين تولوا الحكم ، وقضى فيه نحو ربع قرن .

## الحملة في فلسطين وسورية

وفي عهده سارت في أوائل القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد حملة برية وبحرية إلى فلسطين وسورية .

وقاد هذه الحملة قائد قدير هو ( أونى ) Uni قائد الجيش في عهد بيبي الأول .

حارب ( أونى ) البدو على حدود مصر الشرقية ، ثم حارب في جهة الكرمل بفلسطين الأعداء القادمين من بلاد الرافدين ( دجلة والفرات ) .

واشترك في هذه الحرب البحش والأسطول ، فقد سار الجيش برماً . وسارت الحملة البحرية محاذية سواحل فلسطين الجنوبية ، وأنزلت جنودها هناك ، فهزموا أعداءهم وتعقبوهم حتى جبال فلسطين الشمالية .

ويعتبر هذا المكان أقصى ما وصل إليه النفوذ المصري في عهد الدولة القديمة وامتد هذا النفوذ على الساحل الفينيقي .

ولعل هذه الحملة كانت الأولى من نوعها في العالم ، اشترك فيها الجيش والأسطول معا ، ودلت على كفاية المصريين من قديم الأزل في خوض الحملات فوق ظهر البحار .

## الرحالة حرخوف

اهتمت مصر القديمة بكشف المناطق الجنوبية في عهد الأسرة الخامسة والأسرة السادسة .  
وامتاز الرحالة ( حرخوف ) بالكشف عن المناطق الجنوبية في النوبة والسودان في عهد الملك  
مرن رع ثم في عهد بيبي الثاني .  
وكان حرخوف هذا حاكمًا لإلنتين ( أسوان ) ، وقد قام بثلاث رحلات في عهد مرن رع ،  
أما رحلته الرابعة ففي عهد الملك بيبي الثاني ، وقد وصل إلى مناطق لم يكتشفها أحد من قبل  
واستمر في رحلاته نحو سبع سنوات .

يقول الأستاذ سليم حسن عن حرخوف إنه كان كاشفًا عظيمًا في عصره ، ويعد أول من  
فتح الطريق للكاشفين والرواد العظام في عصرنا ، للتوغل في مجاهل إفريقية ، وإنه جلب الخيرات  
منها لمليكه ( مرن رع ) وسهل سبيل التجارة بين مصر وتلك الأقطار<sup>(١)</sup> .

ويقول الدكتور أحمد فخري : « قام المصريون بتلك الرحلات في القرن الخامس والعشرين  
قبل الميلاد ، ليكشفوا قلب القارة الإفريقية ، قبل أن يولد ستانلي ولنجستون وغيرهما من الرحالة  
الحديثين بأكثر من أربعة آلاف ومائتي عام »<sup>(٢)</sup> .

## الأسرات السابعة إلى العاشرة

اضطربت الأحوال الداخلية منذ أواخر عهد بيبي اول لضعفه واستفحال سلطة الكهنة وحكام  
الأقاليم ، واستمر الاضطراب في عهد خلفائه ، وتعاقب على العرش ملوك ضعفاء حكموا مددا  
وجيزة .

وزادت الحالة سوءا والجيبة الداخلية تفككًا ، في عهد الأسرات السابعة إلى العاشرة ، وانتهت  
الدولة القديمة بسقوط الأسرة العاشرة .

## الثورة الاجتماعية الأولى

أخذت الأحوال تسوء منذ أواخر عهد الأسرة السادسة ، فإن حكام الأقاليم والكهنة أنشعوا  
نظامًا إقطاعيًا ، واقتلعوا كثيرًا من سلطة الملك ، واستفحل طغيانهم ، وضعفت رقابة الملك  
عليهم ، فأنحرفوا عن الحق والعدل في سيرتهم ، واستبدوا بالأمر ، واستغلوا السلطة لمصلحتهم  
أو مصالح ذويهم ، وكثرت المظالم ، وتضاءل العدل ، وانتشرت الفوضى .

(١) سليم حسن : مصر القديمة ج ١ ص ٣٨٤ .

(٢) أحمد فخري : مصر الفرعونية ص ١٥٨ .



بيبي الأول

## مرن رع MERENRA

وقد خلف بيبي الأول ابنه مرن رع وكان صبيًا ، ولم يطل حكمه أكثر من سبع سنوات .

## بيبي الثاني

### أطول حكم في التاريخ

بعد وفاة ( مرن رع ) تولى الحكم أخوه ( بيبي الثاني ) وكان لم يزل صبيًا مثله وتولت  
أمه الوصاية عليه ، وحكم حوالي أربعة وتسعين عاما .  
فبعده يعد أطول حكم في التاريخ .

واستمر القائد ( أونى ) صاحب النفوذ في الحكومة على عهد مرن رع وجزء من عهد  
بيبي الثاني .

ومن ملوك هذه الأسرة مرن رع الثاني ، ثم الملكة نيتوكريس .

فلم يقبل الشعب الهادئ الوديع الصبر على هذه المظالم طويلاً ، وقام منذ عدة آلاف من السنين بأبى ثورة شعبية ، واستمرت حالة الثورة أكثر من قرنين من الزمان .

كان هدف الثورة تحقيق العدل بين الناس ومخاربة نظام الإقطاع وفساد الحكام ، وإقرار العدالة الاجتماعية . ورفع مستوى موظفي الدولة عامة إلى المكان اللائق ، بحيث ينظرون إلى المواطنين نظرة عدل وإنصاف ورعاية لمصالحهم .

فالظلم وانتشار الفوضى ، وفساد الحكيم ، كل ذلك أهم أسباب هذه الثورة .

قامت الثورة ضد الهيئة الحاكمة وضد الإقطاعيين معاً ، إذ تعاون الفريقان على إهدار مصالح الشعب .

وفي ذلك يقول الدكتور أحمد بدوى : « كان لابد للأمر من نتيجتها الطبيعية وهى الثورة والانحلال السياسى ، فالدولة المصرية كانت قد شاخت وشاخ من حولها الزمان ، وسياسة البلاد كانت تسير على نهج أعوج لا يكاد يستقيم ، لأن الحكومة كانت تأخذ من الفقراء لتملاً خزائن الأغنياء ، وتشجيع الأغنياء من قوت الجائعين والفقراء ، وتسعد المترفين على حساب المعوزين ، وتحول بين خطوة المظلوم وصوته ، وسمع السلطان وبصره ، وليس أصعب من وصول كلمة الحق إلى ساحة الملوك والأمراء ، البطانة تتلقاها فتحجها ، والمكر يتحداها فيطمسها ، ونفاق البلاط يتلعمها ويقتلها ، وقليل من ملوك الدهر من يستطيع أن يصل بصره إلى ما وراء البطانة أو يمد سمعه إلى ما وراء أستار العرش ، بل قليل من ملوك الدهر من يستطيع أن يلتوى على نفاق رجال القصر ، أو يغلب مكر البطانة ، أخذت بواكير الثورة تتراءى من كل حذب وصرب ، بينما انطوى شيخ القصر على نفسه لا يكاد يعرف من أمر ذلك شيئاً ، وانصرف حكام الأقاليم إلى مصالحهم الذاتية ، وابتوا يرقبون بعين الحذر ما تطالعهم به الأيام ، وأخذ كل منهم يترصب بصاحبه الدوائر ، وأخذ الدهر يدس لهم قضائه بين ثنايا الأيام وطيات الليالى ، حتى دهمهم بخيله ورجاله ، فحيل بينهم وبين القصر ، وحيل بين القصر وبين كل سلطان ، وهب الشعب بثورته الاجتماعية الطاحنة ، التى اندلعت نارها فى البلاد من أقصاها إلى أقصاها وغادرت الأيام ( منف ) ، وأضحى القصر عارياً من ثياب الملك ، عطلاً من زينة السلطان ، وزال نفوذه وتعطلت حقوقه ، وتعطلت معها الحقوق المدنية والدينية جميعاً ، وتحللت الدنيا من كل قيد ، وفتطلق الناس من عقابهم ، وقد أخذ بعضهم يومئذ يموج فى بعض ، واختفى الضمير الإنسانى الحى ، وارتفع عن الناس يرفع الحشمة ، فتجردوا من ثياب الوقار ، وساد فى البلاد قانون الفوضى - إن صح أن يكون للفوضى قانون - فنأدى داعى الفوضى فى الناس بغريهم بكل شىء ويشير فيهم بدمتور الثورة ومنطقها ، إن صح أن يكون للثورة دستور ومنطق » (١) .

(١) أحمد بدوى . فى موكب الشمس ج ١ ص ٢٠٤ .

وقال الدكتور أحمد فخرى فى هذا الصدد : « كانت هذه الثورة الاجتماعية ثورة الشعب على من ظلموه ، ومهما كانت نتائجها المخربة وقت حدوثها ، فإننا نحمد لها ما بعته فى الشعب المصرى من آراء جديدة ، أهمها الإعلاء من شأن الفرد ، وأن كل إنسان مسئول عما قدمت يداه من خير أو شر ، بل عن حسن نيته أو سوءها . وأنه سيحاسب وسيحازى أمام الإله الأعظم على ذلك ، دون نظر إلى فقره أو غناه ، ودون نظر إلى قبر يشيده أو أوقاف يتركها ليستغلها الكهنة عندما يتلون الصلوات ، أو يقدمون لروحه قرابين صورية يستفيدون منها دون غيرهم ، عرفت مصر قيمة الفرد وعمله فى هذا الوقت المبكر من تاريخ البشرية قبل أن يصل إليه غيرها بقرون كثيرة » (١) .

تمثلت هذه الثورة فى الانتفاض على الهيئة الحاكمة ، والخروج على تقاليد الخضوع لها ، والهجوم على مخازن الحكومة ومكاتبها ، وعلى تصور الإقطاعيين الذين استغلوا السلطة فتقاسموا والحكام خيرات البلاد .

ولم يعالج هذه الثورة حاكم حازم يوقف الحكام والإقطاعيين عند حدهم ويعيد الأمن ويقر النظام ، ويرفع منار العدل والقانون بين الناس ، وتعاقبت على البلاد الأسرات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشر ، والبلاد تتردى فى هوة الانحدار والتفكك والفوضى ، حتى انقرضت الدولة القديمة ، واستمرت البلاد نحو ثلاثة قرون فى ظلام حالك .

### سبعون ملكاً فى سبعين يوماً

ويقول ماتيتون عن الأسرة السابعة إن عدد ملوكها سبعون ملكاً وإنهم حكموا البلاد مدى سبعين يوماً .

ومعنى هذا أن الملك كان يحكم يوماً واحداً ، وهذا أفضح مظهر للفوضى التى عمت البلاد وقتئذ .

وقد تحقق أخيراً هدف الثورة على يد رجل برز من صفوف الشعب ، واعتلى عرش الملك ، وهو ( امنمحات ) الأول الذى أسس الأسرة الثانية عشرة .

وجاءت أسرة ( امنمحات ) من خير الأسرات التى تولت الحكم ، فأنقذت البلاد من الفوضى ، وضربت على أيدى حكام الأقاليم الظلمة المستبدين والإقطاعيين ، وأشاعت العدل بين المواطنين ، وسنت قوانين عادلة لمصلحتهم ، ورفعت من مستوى الموظفين ، وجعلتهم خداماً للشعب ، هذا إلى ما قامت به من المشروعات العمرانية التى عادت على البلاد وأهلها بالخير والرفاهية .

(١) أحمد فخرى . تاريخ الحضارة المصرية . العصر الفرعونى ص ٦٠٣ .

فانتهاه الدولة القديمة ، وتأسيس الأسرة الثانية عشرة في أوائل عهد الدولة الوسطى هو من نتائج تلك الثورة الشعبية .

ولم تعد مقاطعات الدولة-ملكاً لأحكام الأقاليم السابقين ، وتضاءلت العائلات الكبيرة التي كانت تنصل بالملك بروابط القرابة أو المصاهرة ، وصار حكام الأقاليم موظفين لدى الملك ؛ فأصبحت المقاطعات قومية بعد أن كانت ملكية<sup>(١)</sup> ، وفي عهد ( سنوسرت الثالث ) خضعت aristocratic الحكام والكهنة للنظام ، ولم يعد هناك فارق كبير بين أبناء النبلاء وأبناء الطبقات المتواضعة ، وسادت المساواة للجميع أمام القانون ، وتطلعت الطبقات الشعبية إلى المناصب الرفيعة ، وكان هذا من نتائج الثورة الاجتماعية ، وانتقلت إلى الشعب حقوق الطبقة الأرستقراطية ، حتى الحقوق الدينية التي كانت وقفا على الكهنة الوراثيين .

ومن نتائج هذه الثورة ظهور الطبقة المتوسطة من الصناع والتجار وأرباب الحرف في المدائن والقرى ، واقتداء أفرادها بالطبقة العليا ، ومعظمهم من غير موظفي الحكومة ، ولذلك سموا أنفسهم ( أهل البلد ) وتغيرت معالم الحياة عما كانت عليه في عهد الدولة القديمة ، وارتقت الطبقة المتوسطة من الشعب ، وبعد الطبقة المتوسطة أتت طبقة العمال ، وجرت العادة وقتئذ أن يرسل هؤلاء العمال إلى معاهد خاصة ليتعلموا الصناعات المتنوعة .

وقد أعترف المؤرخون الأجانب بهذه الثورة فيما كتبوه عنها ، فقال عنها ( موريه ) Moret : إنها ثورة اجتماعية وسياسية وإنها استهدفت محاربة الأوضاع القائمة في أواخر عهد الأسرة السادسة<sup>(٢)</sup> .

وقال ( جون ويلسن ) John Wilson : إن منزلة الملك نزلت إلى مستوى البشر العاديين ، وكانت الفكرة المميزة للدولة الوسطى إن الملك راع يقظ يسهر ضميره للمحافظة على الأمة ، وكان الاتجاه الثقافي الحديث يدعو إلى حقوق الأفراد<sup>(٣)</sup> .

## انتهاء الدولة القديمة

انقضى عهد الدولة القديمة في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد .

ومن الحق أن نذكر أنها في الجملة قد نهضت بمصر وحضارتها واحتفظت بمكانتها في العالم ، ويكفي أن نذكر ما قاله عنها مؤرخ منصف وهو العلامة بريستد Breasted إذ يقول عنها : « وقبل الفراغ من الكلام على تاريخ الدولة القديمة ، يجدر بنا أن نشيد بأعمال ملوكها العظام ،

(١) موريه Moret مصر الفرعونية L'Egypte Pharonique ص ٢٤٤ . وكان موريه مدبراً لمدرسة الدراسات العليا بباريس وهو من علماء الآثار المصرية المعدودين .

(٢) موريه Moret مصر الفرعونية المرجع السابق ص ١٩٥ وما يعلها .

(٣) تاريخ الحضارة المصرية لجون ويلسن تعريب الدكتور أحمد فخري ص ٢٠٢ و ٢١٢ و ٢٢٦ .

الذين حكموا القطر مدة ألف سنة تقريباً ، والذين يرجع إليهم فضل توطيد المملكة ، وجمع قوتها وتوجيه مجهوداتها نحو النافع المثمر العائد بالخير والرفاهية ، ولا تزال آثار هؤلاء القوم كالمعابد والأهرام المنتشرة على طول القطر لعدة أميال تلقى في نفس من يراها الإعجاب والدهشة ، وقد شيدت معظم هذه الآثار على سلسلة جبال ليبيا بحافة الصحراء الغربية ، وهذه الآثار تشهد لأصحابها إلى الآن بتوقد الذهن ، وعظم الجهد ، والبراعة في الأعمال الآلية ( الميكانيكية ) ، والأنظمة الداخلية ، وبناء السفن لعبور البحار ، وارتداد البلاد للكشف ، والحق يقال : إن هؤلاء القوم هم الذين ربطوا التجارة المصرية مع البلاد الأجنبية الحقيقية حتى أواسط إفريقية ، وحسنوا فن الحفر والنقش ، ووضوا فن العمارة فشيّدوا العمدة العظيمة الشاهقة ، والمباني الضخمة ذات العمدة ، وبرعوا في سياسة البلاد داخلياً وخارجياً فسُنوا قانوناً متيناً عادلاً وأنجسوا رجالاً متضلعين في القضاء . وقد اعتنى أهل الدولة القديمة بديانتهم كثيراً لشدة اعتقادهم أنهم في الحياة الأخرى محاسبون على أعمالهم ، وهم للآن أقدم أناس معروفين اعتقدوا بالبعث بعد الموت ، وأن الثواب في الآخرة على قدر الحسنات في الدنيا . وجملة القول إن أعمال هؤلاء القوم ومدنيتهم انتشرت في العالم فأعجب بها الخلق أكثر من إعجابهم بأى شعب آخر<sup>(١)</sup> .

(١) بريستد - تاريخ مصر من أقدم العصور - المرجع السابق - ص ٩٣ .



وأهم عمل للأسرة الحادية عشرة أنها عملت على توحيد البلاد ثانية بعد أن كانت مفككة الأوصال .

ولكنها لم تصل إلى هذا التوحيد كاملاً ، إذ كان حكام الأقاليم ينازعونها السلطة ، وظلت الأمور غير مستقرة ، ولعل عهدها كان تمهيداً للأسرة الثانية عشرة التي استقرت في عهدها إعادة الوحدة القومية .

### الأسرة الثانية عشرة -

#### أسرة أمنمحات

(سنة ١٩٩١ - ١٧٧٨ قبل الميلاد)

أسرة أمنمحات هي من أعظم الأسرات في تاريخ مصر القديمة ، ومن أجلها شأننا .  
أسسها أمنمحات الأول ، وكان كما أسلفنا رجلاً عصامياً يبرز من صفوف الشعب ، وأوصلته مواهبه وحكمته إلى منصب الوزارة في عهد متوحتب الخامس ، وتولى العرش بعد وفاة هذا الأخير .

وتمتاز أسرة أمنمحات عامة بأنها نزلت قليلاً عن السلطة القدسية التي كانت للملك الدولة القديمة .

وتقربت إلى الشعب بإقامتها منار العدل ، وبالعديد من الإصلاحات والأعمال الاقتصادية والعمرائية التي زادت من رخاء الشعب ، وتجلت هذه الناحية في تاريخ أمنمحات الأول والثاني والثالث .

وميزة أخرى لهذه الأسرة ، وهي أنها قضت على حكم الإقطاع في الأقاليم وجعلت ولايتها عمالاً خاضعين لسلطة الملك بعد أن كانوا منذ أواخر عهد الدولة القديمة شبه ملوك مستقلين .

وفي عهد أسرة أمنمحات - أي في مدى مائتي عام تقريباً - تقدمت البلاد تقدماً عظيماً في شتى النواحي .

ويعرف هذا العصر عند الاثريين بعصر ( الآداب ) ، لأنها بلغت فيه أعظم شأوه ، فالشعر والنثر بلغا الذروة من حيث المتانة والجودة ، وارتقى فن الحفر والعمارة بدرجة تسترعى النظر ، وفاققت المصنوعات الفنية مثيلاتها في العصور الغابرة .

وزادت خيرات البلاد كثيراً لعناية الحكومة بشئون ضبط النيل وإقامتها مشروعات الري في الفيوم واستصلاحها أقاليم شاسعة من الأراضي الزراعية مما عاد على البلاد بالخير العميم . وكانت مصر في عهدها أقوى دولة في الشرق الأدنى .

### الفصل الثالث

#### الدولة الوسطى

إد الدولة الوسطى وخاصة من عهد الأسرة الثانية عشرة قد سارت بالبلاد قدماً إلى الأمام ، وفي عهدها خيبت الحركة القومية والحضارة المصرية خطوات واسعة نحو الكمال ، وفي ذلك يقول سترابون ( برستد ) : « بقي علينا الآن أن نتفقد الحوادث ، لنعرف إذا كان اضمحلال الدولة القديمة وانقراض عقدها مستمر حتى أفسد النخوة القومية ، أو أن هذا الانقلاب كان حادثاً عرضياً فقط ، عالجت أذهان وأيدي رجال مصر العاملين فأرجعوا المياه إلى مجاريها ، وساعدوا بلدهم على التقدم والرقي حتى أدهشوا العالم »<sup>(١)</sup> .

#### الأسرة الحادية عشرة

(سنة ٢١٣٤ - ١٩٩١ قبل الميلاد)

#### بداية الدولة الوسطى

هي أسرة من طيبة ، وقد اتخذتها عاصمة للدولة .  
ويؤسس هذه الأسرة هو « أنتف » Antef وكان ملكاً حازماً عاملاً على إتهاض البلاد ، ثم سمي « أنتف الثاني » ثم الثالث .

#### متوحتب الثاني وإعادة الوحدة القومية

ملكه ابنه متوحتب الأول Mentoheteb فمتوحتب الثاني .

يخرج من أهم ملوك هذه الأسرة ، وقد بقي في الحكم نحو نصف قرن ، وعمل على رآب الصدع بحيث سلط العرش ، وقد نجح في إعادة الوحدة القومية بعدما اعتراها من التفكك والتخاذل سر سرحل الأرضين ، وكان انتصاره على معارضيه وتوحيد مصر جميعها تحت سلطانه بداية جديدة في تاريخ مصر القديم ، وكانت مدة ملكه عهد استقرار وطمأنينة ونهضة .  
متوحتب الثالث ثم متوحتب الرابع فالخامس<sup>(٢)</sup> وهو آخر ملوك هذه الأسرة ، وكان منمحات ( الذي أسس الأسرة الثانية عشرة .

١ - المرجع السابق - ص ٩٣ .

٢ - مصر الفرعونية المرجع السابق - ص ٢٢٧ .

## أمنمحات الأول

كانت أمه من أصل نوبي ، وكان ملكًا عادلاً خبيرًا ، حكيمًا حازمًا ، أعاد الأمن والنظام والطمأنينة إلى البلاد ، ونظم أمورها الداخلية ، ونحب إلى الشعب بأعماله العمرانية ، فاهتم بإقليم الفيوم لتنظيم الري والاستفادة من بحيرة موريس ( بحيرة قارون ) ، وإن كان الفضل في تنفيذ مشروعات الري في الفيوم يرجع إلى أمنمحات الثالث .

وبذل همه في استغلال المناجم والمهاجر ، وتسهيل وسائل التجارة ، ووضع حد لغارات البدو على الحدود الشرقية والحدود الغربية .

وبنى سلسلة من التحصينات في كليهما ، ونقل عاصمة البلاد إلى مقربة من منف ، ووجه عنايته إلى بلاد النوبة ، وعمل على ضمها إلى مصر ، وأخضع حكام الأقاليم ، وأخذهم بالحزم والحكمة ، فأبقى منهم أكثرهم ولاء له واتباعًا لأوامره ، فتمكن بهذه السياسة الرشيدة من جعلهم معاونين له ومساعدين ، ولما تقدمت به السن أشرك معه في إدارة شؤون الدولة ابنه ( سنوسرت ) ، وظل يحكم البلاد نحو ثلاثين عاما .

قال الدكتور أحمد بدوي في صدد سيرته : « ولما تقدمت السن بالرجل ، وكان قد أمضى على عرش البلاد قرابة عشرين عامًا ، بدأ يحس بحاجته الملحة إلى معين ، فأشرك معه في إدارة البلاد بكر أولاده الأمير سنوسرت ( سنوسرت الأول فيما بعد ) وأسند إليه إمارة الجيش ، واستطاع بذلك أن يؤمن سلطان القصر ، وأن يصل ماضيه بحاضره ، ثم وفق في استئناف جهاده في سبيل تطهير البلاد وإضعاف شوكة الحكام من أمراء الأقاليم الذين كانوا يبذلون غاية الجهد في الدفاع عن استقلال أقاليمهم ، والمحافظة على سلطتهم ، والواقع أن تلك الخطوة قد أعانت الرجل على التدخل في شؤون أولئك الأمراء كلما وجد إلى ذلك سبيلًا ، وكان من نتيجة ذلك كله أن آل إلى القصر حق تولية الموظفين الذين يديرون شؤون الأقاليم وحق عزلهم ، ولم يكن ذلك قبل أيامه من حق الملوك ، وبذلك استطاع أمنمحات أن يسترد ما كان للقصر من سلطان مفقود ، ولم يكف أمنمحات بتلك الخطوة في سبيل تأييد العرش وتنظيم شؤون الحكم ، وإنما جعل على رأس الإدارة وزيرًا شدد به أزره ، وأشركه في أمره ، كي يسهل عليه تسيير الأمور في سبيل سهولة لا عسر فيها ولا توقف ، وليس من شك في أن ذلك النظام قد أراح البلاد من تلك الفوضى التي غمرتها أيام الإقطاع ، فأثبتت حكماتها ، ودفعتهم إلى الخصام والحرب ، وأبعت من ورائهم ذلك الشعب المسكين ، فأشقت وأضنته وكلفته الشطط ، وأرهقته من أمره . سرا ، يمثل هذه الخطوات الحازمة التي قدمنا ، وضع أمنمحات حجر الأساس في بناء تلك النهضة الجديدة ، فمهد لخلفائه من بعده سبيل السير بها إلى أبعد غايات السمو ، وسجلها لتاريخ مصر في صحائف من ذهب ، على أن أعمال الرجل لم تقف عند حد ما ذكرنا من إصلاح زراعي وإداري ، وإنما الراجح أنها أكثر من ذلك ، فقد نظر الرجل إلى واحة الفيوم من وراء قصره

وأخذ يفكر في استغلالها ، وإلى أيامه يعزو بعض المؤرخين أول تفكير في إصلاح تلك البقعة من الأرض إذ كان هو أول من فكر في إنشاء ذلك الخزان الذي تم على عهد أمنمحات الثالث ، وسماه المؤرخون في عصر اليونان « بحيرة موريس »<sup>(١)</sup> .

وقد توفي أمنمحات الأول سنة ١٩٦١ ق م .

## خلفاء أمنمحات الأول

### سنوسرت الأول SENOUSRET

هو ابن أمنمحات الأول ، وفي عهده توسعت مصر في بلاد النوبة .

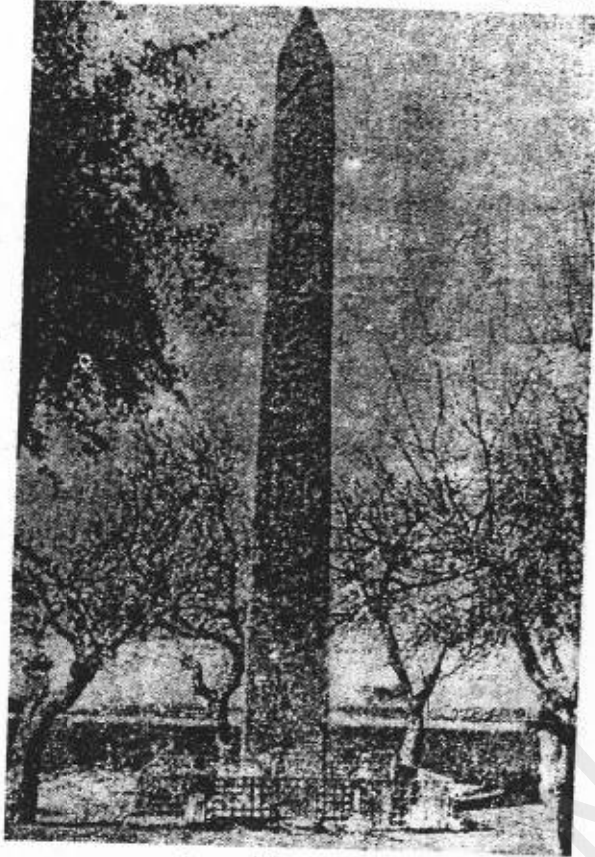


سنوسرت الأول - من أسرة أمنمحات  
( الأسرة الثانية عشرة ) ومشيد مسلة عين شمس

(١) أحمد بدوي : في موكب الشمس ج ٢ ص ١٠٠ .

## مسلة عين شمس

ومن أعمال هذا الملك عدا إنشاء جامعة عين شمس إقامته مسلة عين شمس المشهورة (المطرية) والباقية إلى الآن ، ويبلغ ارتفاعها ٦٦ قدماً ، وهي قطعة واحدة من الجرانيت الأحمر ، وقد أقامها في مدخل المعبد والمدرسة الجامعة اللذين بناهما في عين شمس (التي يسميها اليونانيون هليوبوليس) ، وهي أقدم مسلة قائمة في مكانها الأصلي<sup>(١)</sup> .  
وقضى سنوسرت في الحكم نحو أربعة وأربعين عاماً ، وهو من أعظم ملوك مصر .



مسلة سنوسرت الأولى بعين شمس

(١) يقول الدكتور أحمد بدوي في كتابه (موكب الشمس ج ٢ ص ١٣٠) إن مسلة عين شمس إحدى خمس مسلات مازالت في مكانها الأصلي وأما باقي مسلات الفراعنة فقد نقلها الضعف والهوى السياسي إلى ما وراء البحار إلى لندن وباريس ونيويورك وروما ولستانبول وفي روما وحدها مسلات تسع .

وعنى عناية كبيرة باستغلال المناجم في الصحراء يستخرجون منها الذهب والنحاس ، ويستخرجون من محاجر النوبة الأحجار الممتازة .  
وكان ملكاً حازماً يحب العدل ، وإدارياً يقظاً ، يراقب رجاله مراقبة شديدة يضمن بها استقامتهم وورعيتهم للصالح العام .

كتب (أميني) أحد رجاله يصف مسلكه في حكم مقاطعة الغزال ، ويمتدح العدالة الاجتماعية التي كان ينشدها الناس ، وعلى رأسهم سنوسرت الأول قائلاً : إنني لم أسء معاملة بنت أي رجل ولم أظلم أية أرملة ، ولا يوجد فلاح احتقرته ولا راع أقصيته ، ولا رئيس عمال قد سخرت عمله ، ولا يوجد بائس في بلدي ولا جائع في عهدي ، وعند حلول سني القحط كنت أحرقت كل حقول مقاطعة الغزال إلى حدودها الجنوبية والشمالية ، وبذلك حافظت على حياة أهلها ، مقدماً لهم الطعام حتى لم يبق فيها جائع ، وأغدقت على الأرملة والمتزوجة الخيرات على السواء ، ولم أميز العظيم على الصغير في كل ما أعطيت ، وبعد ذلك كان يأتي نيل يحمل الحبوب وكل الأشياء ومع ذلك فإنني لم أحصل المتأخر على الحقول<sup>(٢)</sup> .

ولا شك أن هذه التصريحات تعبر عن المثل الأعلى في الحكم والاستمساك بالعدالة الاجتماعية ورعاية الفقراء والحدب عليهم ، ومهما قيل عنها من المبالغة في الوصف والإطراب في محامد أميني ، فإنها تدل على أن مثل هذا التقرير يقيد في السجلات العامة ويطلع عليه الملك ، فواضعه وكتابه قد اختار الصفات التي تتراح إليها نفس الملك العادل ، وتطمئن إليها نفوس المواطنين .

## جامعة عين شمس

كانت مدينة (أون) - عين شمس - وقتاً ما مدينة العلم والنور ، كانت عاصمة البلاد الفكرية والدينية .

جاءها أفلاطون لينهل من علومها وفلسفتها وينقل من علومها .

ويقول المؤرخ بتلر : إن استرابون لما زار مصر دله الناس على المواضع التي كان أفلاطون يتلقى فيها العلم من قبل<sup>(٣)</sup> .

وقد سماها الدكتور عبد المنعم أبو بكر (جامعة هليوبوليس)<sup>(٤)</sup> .

وكانت هذه المدرسة الجامعة أشهر مدارس مصر القديمة كمدرسة منف ومدرسة طيبة .

(١) سليم حسن : مصر القديمة ج ٣ ص ٢٨٥ و ج ١٠ ص ١٤٤ .

(٢) بتلر : فتح العرب لمصر ص ٥٠١ .

(٣) عبد المنعم أبو بكر : أختاتون ص ٦٣ .

الرجل الذي يركن إلى الدعة بعد الهجوم عليه يقوى قلب العدو ، والشجاعة هي مضياء العزيمة ،  
والجبن هو انتخاذل ، وإن من يرتد وهو على الحدود جبان حقاً»<sup>(١)</sup> .



سنوسرت الثالث

### قناة سنوسرت الثالث التي تصل النيل بالبحر الأحمر

يرجع إلى سنوسرت الثالث عمل من أجل الأعمال العمرانية ، وهو وصل النيل بالبحر الأحمر  
بواسطة قناة مائية تيسر المواصلات التجارية .  
وهذه القناة قد أعاد حفرها الملك ( نيخاو ) الثاني ، ثم الإمبراطور الروماني تراجان .  
وردت بعد ذلك إلى أن أعاد حفرها عمرو بن العاص بأمر الخليفة عمر بن الخطاب وسميت  
( خليج أمير المؤمنين ) .  
ففي عهد سنوسرت الثالث اتصل النيل لأول مرة في التاريخ بالبحر الأحمر وعُرفت هذه القناة

(١) سليم حسن : مصر القديمة ج ٣ ص ٢٨ و ج ١٠ ص ١٤٤ .

### أمنمحات الثاني

هو ابن سنوسرت الأول ، وكانت أيامه أيام هدوء وطمأنينة ، وقد أرسل البعوث الاقتصادية  
إلى سيناء والنوبة في مناطق التعدين وإلى الصومال ( بلاد بونت ) للتجارة ، وكان الوصول إلى  
هذه البلاد أمراً شاقاً عسيراً في ذلك العصر ، لبعده المسافات بينها وبين مصر ، وهذا يدلنا على  
الهمة ومضياء العزيمة في النهوض باقتصاديات البلاد .

### سنوسرت الثاني

لم يزد حكمه على تسعة أعوام ، وامتاز عهده بحسن العلاقات بين مصر والأقاليم الآسيوية .

### سنوسرت الثالث<sup>(١)</sup>

هو الفاتح الكبير ، زادت مدة حكمه على ثمانية وثلاثين عاماً ، وامتاز عهده بقضائه  
النم على نفوذ حكام الأقاليم وعلى نظام الإقطاع ، ثم بأعماله الحربية في النوبة وفي فلسطين  
وسورية .

وقد عمل منذ توليه الملك على ضم النوبة نهائياً إلى مصر ، فشق لأسطوله طريقاً بين صحور  
الشلال الأول ، وأنشأ مهندسوه هذا الطريق المائي في أصعب مناطق الشلال الجرانيتية لمسافة  
مائتين وستين قدماً بعرض أربعة وثلاثين قدماً وعمق ستة وعشرين قدماً ، وحمل على النوبة عدة  
حملات وطلدت فيها السلطة المصرية .

وشيد حصنين متقابلين في آخر الحدود الجنوبية للدولة على شاطئ النيل ، أحدهما في ( سمنة )  
والآخر في ( قمّة ) ، ( انظر موقعهما على الخريطة المنشورة بالفصل السادس ) .

يقول المؤرخ برستد : « ولا تزال آثار هذين الحصنين باقية للآن تشهد لمصر في تلك الأوقات  
بالبراعة الحربية والكفاية في اختيار مواقع الدفاع الحصينة ، والمقدرة على تشييد الحصون  
التيعة »<sup>(٢)</sup> .

وعلى الحدود الجنوبية ( في سمنة ) نصب سنوسرت الثالث لوحته المشهورة التي يتحدث  
فيها إلى المصريين عن الكفاح الوطني ويحثهم عليه ، قال في هذا الصدد : « ولقد جعلت تخوم  
التي أبعد مما وصل إليه أجدادي ، وزدت في مساحتها على ما ورثته ، وبنى ملك يقول وينفذ ،  
ويختلج في فؤادي تفعله يدي ، وإني طموح إلى السيطرة ، وقوى لأحرز الفوز ، ولست بالرجل  
التي يرضى بالتقاعس عندما يُتحدى عليه ، أهاجم من يهاجمني حسبما تقتضيه الأحوال فإن

(١) يسميه هيروdot سيزوستريس .

(٢) برستد تاريخ مصر من أقدم العصور . المرجع السابق ص ٢٢٩ .





أمنمحات الثالث  
صاحب مشروعات العمران الجليلة

### أعمال الري والعمران

كان أمنمحات الثالث أكثر ملوك مصر اهتماماً بشئون الري وضبط مياه النيل ، وخاصة مشروعات الفيوم .

وقد بدأ التفكير في هذه المشروعات في عهد أمنمحات الأول ، ولكن تنفيذها كان على يد أمنمحات الثالث .

وأنشأ مقياساً للنيل في ( سمته ) بالنوبة عند الشلال الثاني ، لتسجيل ارتفاع النيل وليطمئن على حالة الفيضان ، وكانت أنباء مقاسات هذا المقياس ترسل لموظفي مكتب الوزير بالوجه البحري ، وكانوا يقدرون كمية الحبوب التي يمكن إنتاجها على ضوء هذه البيانات في السنة المقبلة .

### خزان بحيرة موريس

وأنشأ سداً للمياه ذ فتحات على بحيرة موريس الكائنة بالجزء الشمالي الغربي لإقليم الفيوم ، ليتفجع بالبحيرة كخزان لحماية البلاد من الفيضانات العالية ، ولتؤخذ منها المياه لتحسين الملاحة ، ولرى أراضي الوجه بحري ، والاستفادة منها وقت التحاريق ( انظر الخريطتين ص ٦٦ و ص ٦٧ ) .

في التاريخ بترعة سيزوستريس ، وهو الاسم الذي أطلقه الإغريق على سنوسرت ، أو ترعة الفراعنة .

وكانت هذه القناة تبدأ عند ضواحي بويطة وتأخذ مياهها من فرع النيل الثاني ( نسبة إلى مدينة تانيس وهي صان الحجر الحالية ) ، وتصل إلى البحيرات المرة ثم إلى خليج السويس .

ويقول موريه<sup>(١)</sup> : إن هذه القناة أنشئت في عهد سنوسرت الثالث ، وقد حفرها في شرق الدلتا ، واتصل النيل بواسطتها بخليج السويس عن طريق وادي الطميلات والبحيرات المرة ، وتعد أقدم طريق مائي يصل النيل بالبحر الأحمر ، وإن هذه أول تجرية لوصل البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر بواسطة النيل .

### مصر والبلاد الآسيوية

وفي عهد سنوسرت الثالث غزا المصريون الشام ، وقد اصطحب قائده ( سبك خو ) Sebek Khu في هذا الغزو حيث هزم الآسيويين ، ومن يومئذ وصلت سلطة مصر إلى هذه الأصقاع وماوست السيادة على الساحل الفينيقي وعلى فلسطين وقسم كبير من سورية . وسنوسرت الثالث يشبه في مواهبه الحربية ( تحوتمس الثالث ) الذي سيرد الكلام عنه في الفصل السادس .

### أمنمحات الثالث

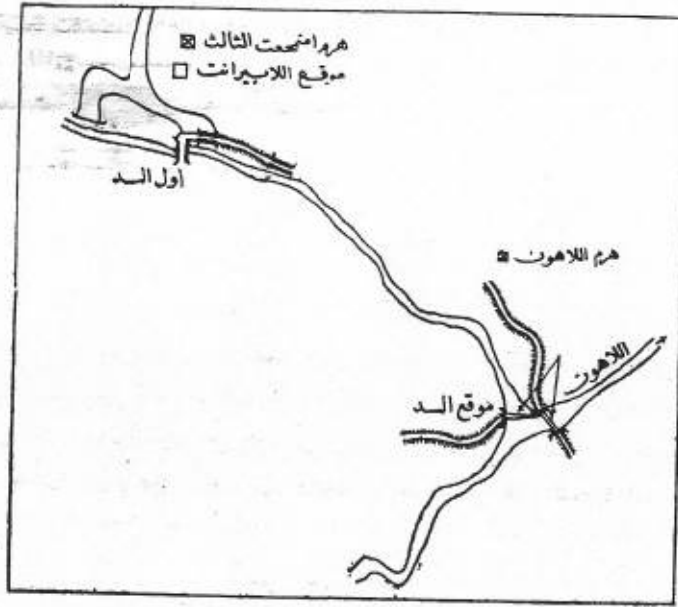
هو ابن سنوسرت الثالث وأعظم ملوك الأسرة ، ومن أعظم الملوك في تاريخ مصر القديمة . ومن أعماله الهامة مشروعات الري العظيمة التي نفذها والتي عادت على البلاد بالرخاء والرفاهية .

كان يحيا لصالح الشعب بمختلف طبقاته ، ولما تولى الملك وسع نطاق المناجم في سيناء لاستخراج كنوزها ، وذلك عقبات كنوداً كان يشكو منها العمال هناك ، وأهمها أمور سكانهم ، فقد أسس لهم بيوتاً ثابتة بدل المساكن المؤقتة التي كانوا يأوون إليها بحيث لا تبقى أكثر من بضعة أشهر .

وانصرفت جهوده إلى مختلف نواحي الإنشاء والتعمير ، فأرسل عدة بعثات إلى سيناء لاستخراج المعادن منها .

(١) موريه Moret مصر الفرعونية ص ٢٥٩ .

وقد بدأ الملوك الأول من الأسرة الثانية عشرة فى تصميم هذا المشروع ، ولكن الفضل الأكبر فى تنفيذه يرجع إلى أمنمحات الثالث الذى نظم السدّ العظيم زوفر مياه الرى لأراضى الوجه البحرى .



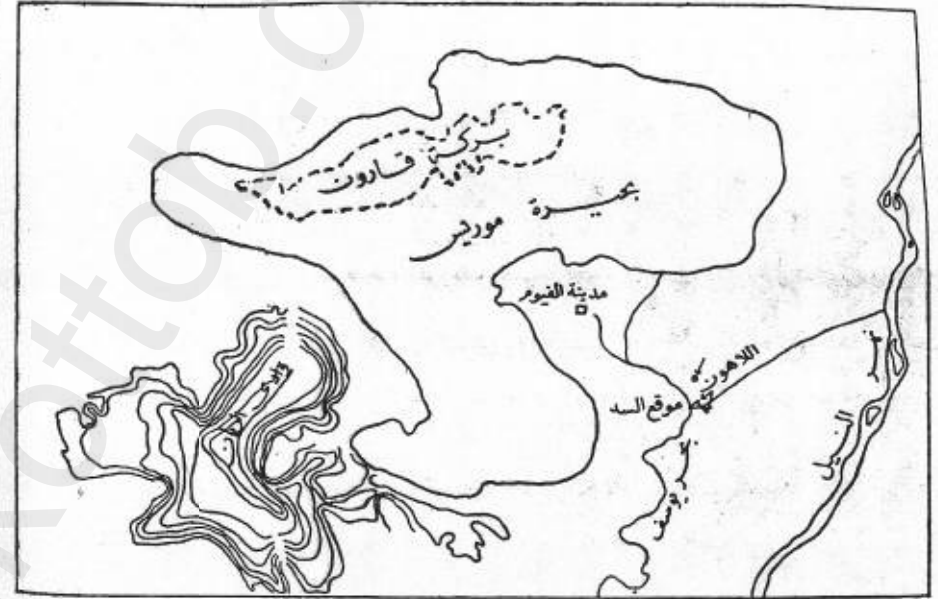
موقع خزان بحيرة موريس  
كما رسمه العالم المهندس على شافعى فى كتابه (بحيرة موريس واللاهوت)  
وترى فى الرسم هرم أمنمحات الثالث وقصر اللاهوت

يقول السير ( وليم ويلككس ) الذى كان وقتا ما مديراً عاما للخزانات بمصر فى محاضرة له ألقاها سنة ١٩٠٤ عن بحيرة موريس : « إنه كان يوجد فى زمن الملك ( مينا ) اتصال بين النيل والمكان الذى فيه هذه البحيرة ، إلا أنه لم يوسع الترعة الموصلة بين النيل والبحيرة إلا الملك أمنمحات الثالث الذى جعل البحيرة التى كانت لا قيمة لها فى عصر الملك مينا بحراً خصباً واقعاً فى وسط الأرض يحفظها من غوائل الفيضانات العالية ، ولعمري لقد كان أولئك القراعة القدماء جبابرة فى علم الرى ، كما كانوا حكماء وذوى جرأة وإقدام »<sup>(١)</sup> .

وقال : « إنه كانت هناك قناطر موازنة قائمة عند مدخل ومخرج بحيرة موريس فى الممر الذى

(١) عن محاضرة ألقاها السير وليم ويلككس عن « خزان أسوان وبحيرة موريس » ص ٣ .

وهذه الفكرة شبيهة بالفكرة التى أدت إلى إنشاء خزان أسوان فى العصر الحديث .  
وتفصيل ذلك أن مياه النيل كانت تتدفق فى بحيرة ( موريس ) قرابة ستة أشهر فى العام .  
وكان بحر يوسف كفرع من فروع النيل القديمة يصب فيها .  
وكانت توجد فتحة بسلسلة جبال ليبيا بجهة الفيوم ، تصل النيل بإقليم الفيوم المنخفض عن سطح البحر ، وتسمى هذه الفتحة ( بحر اللاهوت ) .  
وقبل حكم الأسرات الملكية كان فيضان النيل يغمر إقليم الفيوم محولاً إياه إلى بحيرة كبيرة .



بحيرة موريس القديمة  
مقتبسة من كتاب ( بحيرة موريس واللاهوت )  
للعالم المهندس على شافعى مفتش عام رى الصحارى سابقا

فلما جاء ملوك الأسرة الثانية عشرة فطنوا إلى تخزين كمية عظيمة من المياه فى تلك البحيرة وتصريفها وقت التحريق .

فشيدوا على الفتحة سالفة الذكر سدّاً عظيماً مزوداً بفتحات لخزن المياه فى بحيرة موريس ، تاركين فى الوقت نفسه مساحة كبيرة من الأرض للزراعة .

## أمنمحات الرابع

وقد خلفه على العرش ابنه أمنمحات الرابع . ولم يكن على غرار أسلافه في الهمة والكفاية ، وحكم نحو تسع سنوات .

## الملكة سبك نفرو

وكان آخر ملوك هذه الأسرة الملكية ( سبك نفرو ) ابنة أمنمحات الثالث . وقد حكمت نحو ثلاثة أعوام ، ثم تقطع نسل هذه الأسرة ، وهوى نجمها .

## الأسراتان الثالثة عشرة والرابعة عشرة

بعد أن انتهى حكم الأسرة الثانية عشرة خلفتها الأسرة الثالثة عشرة وكانت عاصمة ملكها ( منف ) .

وفي عهدها ضعفت الجبهة الداخلية لتنازع الطامعين في الحكم . وتدهورت الحالة الاقتصادية في البلاد .

فبعد أن كان نظام الري ينفذ في أنحاءها تحت إشراف الملك ، اتعدم نظامه واضطربت شئونته ، فقلت الحاصلات ، والمصنوعات ، ثم عمد حكام الأقاليم إلى استعمال الشدة والظلم مع المواطنين . ففرضوا عليهم الضرائب والأتاوات الباهظة ، وأثقلوا كاهلهم ، وجاءت هذه الأحداث هادمة لنهضة البلاد ورخائها الذين كانوا يبعث عناية أسرة أمنمحات في مدى مائتي سنة تقريباً . وليس معروفاً على وجه التحقيق كيف تبوأَت الأسرة الثالثة عشرة عرش مصر ، وقد يكون للضعف الذي أصاب جبهتها الداخلية دخل في قيامها .

## الأسرة الرابعة عشرة

وأعقبتها الأسرة الرابعة عشرة . وكلتا الأسرتين تناحذت أمام الغزو المكسوسى في القرن الثامن عشر قبل الميلاد .

يواصل البحيرة بنهر النيل ، فالقنطرة الأولى واقعة عن جسر اللاهون الحالي ، والثانية عبارة عن ترعة متسعة منحدره من الصخر المنحوت بمنسوب موافق لمرور مياه الفيضان العالية ، حيث يوجد الآن بحر يوسف الحالي ، وكان في نهايتها سد ضخيم قائم على رأس وادي ( البطس ) الضيق ، وكان هذا السد يزال في أيام الفيضانات العالية الخطيرة ، وبجوار قنطرة الموازنة الثانية قرية ( هواره المقطع ) الحالية أو ( هابوار- القديمة<sup>(١)</sup> ) .

وقال في موضع آخر : « ولعمر الحق إن الأسرات الملكية الفرعونية التي جاهدت في سبيل حماية البلاد من عدوينا اللدودين ( الشرق والقيضان ) وكفلت سعادة رعاياها في تلك الأزمان لجديرة بالثناء العاطر والذكر المجيد » .

ويقول المؤرخ برستد : « إن الزائر لمنطقة هذا السد العظيم يقدر جلال المجهود الإنساني الذي رفع من شأن الأراضي المنخفضة التي غمرتها المياه قديماً<sup>(٢)</sup> » . ويقول ( هيرودوت ) الذي زار مصر حوالي سنة ٤٤٥ قبل الميلاد ، في عهد الاحتلال الفارسي : إن فيضان النيل كان يغمر تلك البحيرة العظيمة عن طريق الفتحة الموجودة بجبال ليبيا ، وإن المصريين كانوا يروون أرضهم زمن التحاريق من مياه هذه البحيرة الواسعة . وشاهد ( استرابون ) محال مراقبة المياه الداخلة والخارجة من إقليم البحيرة المذكورة .

## قصر اللايرنت

وأتشأ أمنمحات الثالث في الجهة البحرية للفتحة الموصلة لأرض الفيوم قصرًا ضخمًا يبلغ طوله حوالي ألف قدم ، وعرضه ثمانمائة قدم ، اتخذه معبداً دينياً ، ومقرًا إداريًا للحكومة ، وحوى نحو ثلاثة آلاف غرفة ، وفي هذا القصر كانت تجتمع هيئة الحكومة أحياناً ، وقد بقيت آثاره واضحة حتى وصفه ( استرابون ) الذي شاهده وأطلق على هذا القصر في العهد الروماني اسم ( لايرنتا ) Labyrinth أى ( التيه ) لكثرة ما حواه من غرف وأبهاء وعمرات . وقد شاهد ( هيرودوت ) هذا القصر ، وقال عنه : إنه يفوق الوصف وإن عمارته منقطعة النظير ، ولا يفضل عليه عمارة الهرم الأكبر .

وظل أمنمحات الثالث على العرش قرابة خمسين عاماً كانت من خير السنين في تاريخ مصر القديمة .

(١) عن حاضرة ألقاها السير ولين ويلكوكس « عزان أسوان وبحيرة موبيس » ص ٣ و ١٤ .  
(٢) برستد : تاريخ مصر من أقدم العصور . المرجع السابق - ص ١٢٤ .

## الفصل الرابع

### ثورة الشعب على الهكسوس

#### واجلاؤهم عن مصر سنة ١٥٧٠ قبل الميلاد

رزت البلاد في القرن الثامن عشر قبل الميلاد بالغزو الهكسوسي .

وقع هذا الغزو حوالي سنة ١٧٣٠ قبل الميلاد ، في عهد الأسرة الثالثة عشرة<sup>(١)</sup> .

والهكسوس - أو الرعاة - قوم من قبائل مختلفة ، لا تربطهم رابطة ، يرجع أصلهم إلى أواسط آسيا ، وقد انحدروا غرباً ، يقصدون النهب والسلب ، أو الاستعمار والغصب ، فنزحوا إلى بلاد الرافدين ، ثم استقروا وقتاً ما في سورية ولبنان وفلسطين ، وحكموها دون أن يكونوا من أهلها ، ثم حدثتهم أنفسهم بأن يضموا إلى البلاد التي غزوها بلاداً أخرى طمعاً في خيراتها ، وهي مصر . ولقد كانت حالة مصر الداخلية في عهد الأسرة الثالثة عشرة مغرية للهكسوس بأن يهاجموها ويفزوها ، فالاضطراب كان يسودها في عهد هذه الأسرة ، والجيبة الداخلية مفككة متخاذلة ، والنزاع على السلطة يفرق بين أبناء الوطن الواحد ، والحالة الاقتصادية والاجتماعية في تدهور . قمصر كانت تمر بفترة انحلال وضعف قومي يسهل على الأجنبي المغير أن ينال منها .

أضف إلى ذلك أن الهكسوس كانوا يستخدمون في هجومهم سلاحاً جديداً بالنسبة لذلك العصر ، وهو سلاح العربات التي تجرها الخيل في ساحة الوغى ، ولم يكن هذا السلاح مألوفاً ولا معروفاً وقتئذ لدى المصريين القدماء ، فكان تميزاً للهكسوس في نضالهم ضد مصر .

وليس في المراجع القديمة ما يدل على وقوع معارك حاسمة بين المصريين والهكسوس ، بل يبدو مما كتبه المؤرخ المصري ( مانتون ) أن الغزو كان مفاجئاً لمصر ، فهو يقول في الحديث عنه : « وفي عهد الملك توتيمايوس Toutimaius لا أدري لماذا أرسل الله في عهده ريحا عاكستنا ، فقدم بلادنا أناس من الشرق ، محتقرون مهينون ، فأغاروا عليها ، وأخضعوها بسهولة ومن غير قتال ، وهذا أمر بعيد الاحتمال ولم يكن في الحسبان ، فإن الأعراب انقضوا على الدلتا وانتشروا في أبحاثها انتشار الجراد ، وما لبث أولئك الرعاة أن اختاروا سلاطيس Slatiis أحد رؤسائهم فولوه ملكاً عليهم ، وألزموا الأمراء الوطنيين الاعتراف به والخضوع لسلطانه » .

(١) أحمد بدوي : في موكب الشمس ج ٢ ص ٢٩٠ . وأحمد فخري - مصر الفرعونية ص ٢٤٣ . وتاريخ العالم لناشره السير جون هامرتون ج ١ ص ٤٦٠ .

فهذا الوصف يدل على أنه لم يكن هناك معارك جديفة أدت إلى غلبة الهكسوس ، بل كان غزواً فجائياً نكبت به البلاد على حين غرة ، وكان تخاذل الجبهة الداخلية أول الأسباب لوقوعه . تخاذلت الأسرة الثالثة عشرة ، ثم الرابعة عشرة ، أمام الهكسوس ، فحكموا شرق الدلتا حكماً مباشراً وعاثوا فيها فساداً ، وكانوا قوماً مخترين . نفضفوا بكل مظاهر الحضارة المصرية ، واضطهدوا الأهلين .

يقول موريه Moret إن هذه أول مرة منذ عهد الملك مينا استهدفت فيها مصر لغزوة أجنبية طويلة المدى .

وبقيت الأسرة الرابعة عشرة تحكم غربي الدلتا موالية للاستعمار ، أما أمراء الوجه القبلي فقد احتفظوا بشبه استقلال ذاتي ، مع دفع الجزية للهكسوس ، وهذا مناه أن الهكسوس كانوا يحكمون شرقي الدلتا حكماً مباشراً ، وكانت لهم السيادة على غربيها ، وجزء من مصر الوسطى ، أما الوجه القبلي فكان له شبه استقلال ذاتي ، ولم يستطع الهكسوس إخضاعه لحكمهم المباشر .

ولم يطمئن الهكسوس يوماً على سيطرتهم ونفوذهم في مصر ، ولذلك اتخذوا عاصمتهم في ( أواريس ) ، وهي بلدة تقع في الشمال الشرقي من الدلتا ، اختاروها لكي لا يُحاط بهم إذا تغلغلوا في الدلتا أو الوجه القبلي ، وليكونوا على اتصال بمعقلهم في فلسطين .

وليس معروفاً على وجه اليقين موقع ( أواريس ) هذه ، ويختلف الأثريون في تحديدها ، فبعضهم كان يظن أنها ( هواره ) بالفيوم ، ولكن هذا الرأي قد استبعد استبعاداً تاماً لوضوح خطته ، وقال البعض إنها ( صان الحجر ) - تانيس - في الشمال الشرقي من الدلتا ، وقال آخرون إنها في المكان الذي أنشئت فيه ( بر رعسيس ) أي جنوبي ييلوز ( الفرما )<sup>(١)</sup> .

وقع الغزو الهكسوكي حوالي سنة ١٧٣٠ قبل الميلاد كما أسلناه ، وتحررت منه البلاد حوالي سنة ١٥٧٠ ق . م .

وهذان التاريخان هما أرجح الآراء عن مدة بقاء الهكسوس في مصر إلى طردهم منها ، أي أن احتلالهم دام قرابة قرن ونصف قرن من الزمان .

### الغزو الهكسوسي والاحتلال الإنجليزي ومدة كليهما

ولا تهولنك هذه المدة ، ولا تجعلها موضع الدهشة والاستراب لطولها ، فإذا عقدنا مقارنة بين احتلال الهكسوس في العصر القديم ، واحتلال الإنجليز مصر في العصر الحديث ، نجد

(١) في القاموس الجغرافي للبلاد المصرية للمرحوم محمد رمزي ( ج ١ البلاد المنذومة ص ١٣٤ ) إنها في الشمال الشرقي لبلدة القنطرة .  
ويقول موريه Moret في كتابه ( مصر الفرعونية ) ص ٢٨٧ إنها تقريباً في مكان ييلوز والرأي الراجح أنها ( قنره ) الحالية مركز قاقوس الآن .



أن الاحتلال الإنجليزي بدأ سنة ١٨٨٢ ميلادية ، ولم ينته إلا سنة ١٩٥٦ ، أى أنه بقى أربعاً وسعين عاماً جاثماً على صدر البلاد ، فى الوقت الذى ارتقى الشعور الوطنى والوعى القومى فى مصر الحديثة ، فلا تلام مصر القديمة على بقاء الاحتلال الهكسوسى فيها ضعف هذه المدة ، فالأمر كما ترى قريب من قريب .

على أنه فى كلا الاحتلالين ، كان ولاء الأسرة الحاكمة للاحتلال والاستعمار الأجنبى هو السبب الجوهري لوقوعه ولبقائه ردحاً طويلاً من الزمن والناس على دين ملوكهم . أو زعمائهم .

ويبدو حسن استعداد المصريين لكفاح الاستعمار أنه لم تكمد حرب التحرير تبدأ فى ( طيبة ) حتى لى الشعب نداء ( سقن رع ) ملك طيبة المجاهد .

وتملك المواطنون الروح القومية الوثابة وانضووا تحت علم الثورة ، حتى جلا المستعمر عن البلاد سنة ١٥٧٠ قبل الميلاد .

تعاقت على البلاد الأسرات الزباعدة عشرة والخامسة عشرة والسادسة عشرة . ولم تبدأ حرب الاستقلال إلا على يد الأسرة السابعة عشرة .

ومن المحقق أن ملوك الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة كانوا من صميم الهكسوس . فلا يصح إحصاؤهم ضمن الأسرات المصرية . ومن أهم ملوكهم ( خيآن ) . وآخر ملوكهم ( أبوقيس ) .

وبقى الأمراء الوطنيون فى مناطقهم شبه مستقلين - يدفعون الجزية للهكسوس ، ثم تزعمت طيبة حركة التحرير .

بدأت حرب التحرير على يد ( سقن رع ) ملك طيبة ، من ملوك الأسرة السابعة عشرة وكان أبوفيس الملك الهكسوسى يتحرش بسقن رع ويتحده ويريد إزالته ، ولكن سقن رع سارع إلى إعداد العدة لمحاربة المحتل الغاصب ، وأعلن الحرب على الهكسوس ، فحاربهم بمعاونة الشعب فى كفاحه .

وما زال ( سقن رع ) يحارب الهكسوس ، حتى سقط شهيداً فى ميدان الجهاد . وبعد مقتله حمل الراية من بعده ابنه ( كامس ) Kames فحاربهم واستولى على المدن الواقعة بين الأشمونيين وأطفيح .

على أنه مات هو أيضاً فى ميدان الكفاح ، فخلفه أخوه ( أمس ) Ahmes الذى ثابر على حرب الهكسوس ، واستمر يحاربهم فى الصعيد وفى الدلتا حرباً لا هوادة فيها . واستخدم المصريون السلاح الذى حاربهم به الهكسوس من قبل ، سلاح العريات التى تجرها البخيل ، كما تدرعوا بالشجاعة والصبر والإيمان .

فما زالوا يجاهدون الهكسوس حتى ارتدوا إلى ( أواريس ) ، التى اتخذوها من قبل عاصمة لهم كما أسلفنا ، فحاصروهم فيها المصريون وحملوا عليهم فيها ثلاث حملات حتى استسلمت سنة ١٥٧٠ قبل الميلاد .

كانت حرب التحرير ضد الهكسوس حرباً ضرورياً . تجلت فيها بطولات كتائب التحرير المصرية ، سجل أحد الضباط الشبان ( أمس بن ابانا ) على جدران مقرته نصوصاً قال فيها : « أمضيت صدر شبابى فى مدينة الكاب ، وكان أبى ضابطاً فى جيش الملك سقن رع ، ولما توفى أبى دخلت الجندية ، وأصبحت ضابطاً على سفينة من سفن الملك فى عهد أمس ، وكنت شاباً لم أتزوج بعد ، فلما تزوجت وصارت لى أسرة نقلت إلى أسطول الشمال تقديراً لشجاعتى . ثم يقول إنه نقل من البحرية إلى الجيش وأنه تولى قيادة الحرس الملكى وأنه كان يتبع الملك ( أمس ) فى سيره حينما أقتله عربته ، وأشار إلى أنه أظهر بسالة رائعة فى القتال ، وقد كافأه الملك أكثر من مرة بالذهب ورقاه إلى قيادة سفينة كبيرة اسمها ( ضوء منف ) يبدو أنها ساهمت فى حصار مائى يعلى أواريس ، وتحدث عن سقوط المدينة ورحيل الهكسوس عنها .

ولم يكتف بطرد الهكسوس من مصر ، بل تعقبهم فى فلسطين ، لكى يأمن عودتهم ، فاعتصموا فى ( شاروهين ) Sharuhin جنوبى غزة ، فحاصروهم فيها واستمر الحصار ثلاث سنوات حتى استسلمت وسلمت ، وفرّ فلول الهكسوس إلى الشمال .

### أبطال الاستقلال من الرجال والنساء

أود أن أذكر فى هذا التبت أسماء أبطال الاستقلال البارزين من الرجال والنساء الذين امتازوا ببطولتهم فى الثورة على الهكسوس وتحرير مصر من احتلالهم ، لأن أقل ما يجب علينا نحوهم أن نخلد ذكراهم المجيدة .

### سقن رع

هو أول ملوك طيبة الذين أثاروا الشعب على الهكسوس ، وحملوا علم الجهاد ضدهم ، فهو بطل من أبطال الجهاد القومى ، وقد قُتل فى ساحة الرغى ، ولم يتجاوز الثلاثين من عمره . وموميأوه محفوظة بالمتحف المصرى بالقاهرة ، وفيها آثار الجراح القاتلة التى أصابته فى صدره ورأسه . وطيبة هى المدينة التى بدأت فيها حرب الاستقلال ، وانبعثت منها الشرارة الأولى للثورة على الهكسوس .

## أبطال الثورة على الهكسوس



الملكة تتي شري أم سمن رع  
كانت بطلة ، أم بطل  
وجدة بطل (أحمس)

الملك سقنن رع  
بطل حرب الاستقلال  
ضد الهكسوس

## الملكة تتي شري Tetisheri

وهي أم سقنن رع ، وكانت من صميم الشعب ، أي لم تكن من سلالة ملكية ، وقد غرست ولا ريب في ابنها روح البطولة والتضحية ، وكانت بطلة ، أم بطل ، وجدة بطل ( الملك أحمس ) .

## الملكة إياح حوتب

هي زوجة سقنن رع ، وأم الملك أحمس ، وهي التي بثت في ابنها روح الاستمرار في الجهاد بعد مقتل أبيه سقنن رع ، وهي من الملكات الخالدات ، جاهدت مع زوجها ، وجاهدت مع ولديه : كامس ، وأحمس .

وقد أقام الملك ( أحمس ) لوحة في معبد الكرنك خلد فيها أعماله وأعمال والدته ( إياح حوتب ) ، ومما قاله عنها في هذه اللوحة : « اسمها رفيع الشأن في كلد بلد أجنبي ، فهي التي تضع الخطة للجماهير ، زوجة ملك ، وأخت ملك ، وأم ملك ، العظيمة الحاذقة ، التي تهتم وتضطلع بكل شؤون مصر ، وهي التي جمعت جيشها ، وحمت أولئك الناس ، وأعدت الهارين ، وجمعت شتات الذين هاجروا ، وهدأت روح مصر العليا ( أي مملكة طيبة ) وأخضعت عَصاته ، الزوجة الملكية إياح حوتب العائشة » (١) .

## كامس

ابن سقنن رع ، حمل لواء الثورة بعد أبيه ، واستمر يجاهد ويتم رسالته ، وقتل هو أيضًا في حرب التحرير .

## أحمس

هو ابن سقنن رع وأخو كامس ، وقد خلفه في قيادة حرب التحرير ، واستمر يحارب الهكسوس حتى قضى عليهم واستولى على عاصمتهم ( أواريس ) ، وتعبهم في فلسطين ، وقضى على قلوبهم في ( شارهين ) وفرروا إلى سورية .

## نفرتاري

بنت إياح حوتب من سقنن رع ، كانت أختا لكامس وأحمس ، وتزوجتهما واحدًا بعد الآخر (٢) وظل لها النفوذ الكبير في عهد ابنها امنحوتب الأول .

(١) سليم حسن : مصر القديمة ج ٤ ص ٤٠٥ .  
(٢) كان زواج الأخ بأخته مألوفًا في الأسرات الملكية في ذلك العصر .

## تابع أبطال الثورة على الهكسوس



أحس الأول  
محرر مصر من الهكسوس

### تمجيد البطولة وتخليدها

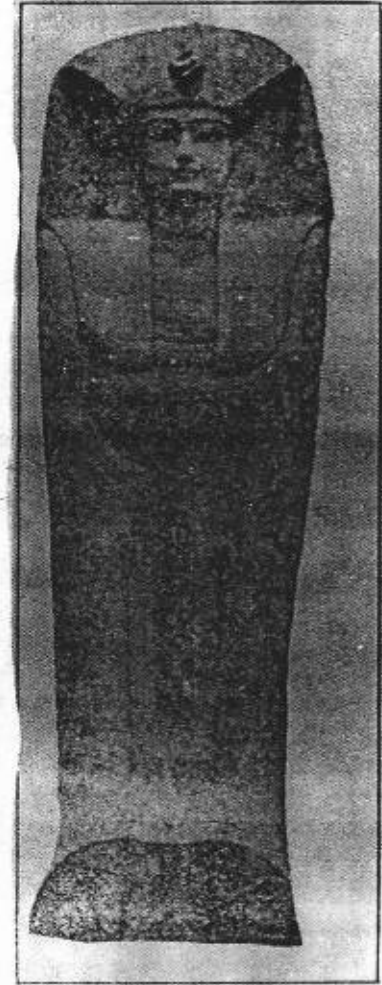
إن بطولة المصريين في حرب التحرير من الهكسوس ، جديرة بأن تكون مخلدة في ملاحم من الشعر ، تحوى وقائع هذه البطولة وأسبابها ، ومرآحلتها وأطوارها ، والشعر أول ما يعنى بتخليد هذه البطولات .

ولعمري إن بطولات المصريين في هذه الحرب أولى بالتخليد من بطولة اليونانيين في حرب طروادة ، تلك البطولة التي خلدها شاعر اليونان الكبير هوميير Homere في ملحمة الإلياذة Iliade وملحمة الأوديسه Odyssee .

## أبطال الثورة على الهكسوس



الملكة نفرتارى بنت إياح  
حوتب وأخت كامس وأحس



الملكة البطلة إياح حوتب زوجة  
سقن رع أم أحس

## ما هي الإلياذة ؟ وما هي الأوديسة ؟

الملاحم تقدم قصائد الأدب اليوناني ، وأعظم شاعر نظمها هو هوميرو ، وطروادة مدينة ذات أسوار منيعة كانت تقع قرب بوغاز الدردنيل بالشمال الغربي لآسيا الصغرى . وأشهر الملاحم التي نظمها هوميرو هو الإلياذة والأوديسة ، وهما صورة واضحة المعالم للمجتمع اليوناني في عصر الأبطال .

عاش هوميرو في النصف الثاني من القرن التاسع قبل الميلاد ، وأشهر أشعاره الإلياذة والأوديسة . وصف في ملحمة الإلياذة حوادث حرب اليونان ضد طروادة حوالي القرن الثاني عشر ق م في مرحلتها الأخيرة .

فبينما كان ( باريس Paris بن بريام Briam ) ملك طروادة ، يسير في الجبل إذ قابل أفروديتا وأثينا وهيرا وطلبن منه أن يحكم على جماعن . فحكم بأن ( أفروديتا ) أعظمهن جمالاً .

وقد ساء أثينا وهيرا هذا الحكم ، « وعولتا على الانتقام من مدينة طروادة بالانضمام إلى اليونان في حربهم ضدها . وأوحى أفروديتا إلى باريس بالذهاب إلى اليونان ليخطف هيلينا زوجة الملك مينيلوس شقيق اجاممنون ، وقد أغرتها الآلهة بالرحيل معه إلى طروادة .

فغضبت المدن اليونانية ، وصمم أهلها على غسل هذه الإهانة . فأجمعوا أمرهم على حرب طروادة وتدميرها ، وأعدوا جيشاً أبحر تحت قيادة أجاممنون سيد الإغريق عامة ، ليستردوا هيلينا رمز الجمال ويدمروا طروادة . واستمرت الحرب بين الفريقين عشرة أعوام ، وصف الشاعر هوميرو حوادث الأسابيع الأخيرة منها .

وقد انتهت الحرب بانتصار اليونانيين .

وكان ( أخيل ) أعظم بطل في المعسكر الإغريقي .

وتقع الإلياذة في خمسة عشر ألف وخمسمائة وثلاثين بيتاً .

ويُعد ( أخيل ) بطل الإلياذة الأول .

ونظم هوميرو في الإلياذة ما وقع بين اليونانيين وأهل طروادة من الحروب وما ظهر من اليونانيين من السياسة والشجاعة في هذه الحروب .

ويجمع النقاد على أن هذه الملحمة حوت أحسن ما يمكن في ذلك العصر أن يأتي به خيال ناغر ، في تمجيد الأبطال ووصف عواطف النفس وخطرات الأفتدة . أما الأوديسة فتألف من اثني عشر ألف بيت ، وهي تروى قصة بطلها الأول ( أوديسيوس )<sup>(١)</sup> ومغامراته ، وزوجته الجميلة ( بيلوبى ) .

لقد ذهب ( أوديسيوس ) مع غيره من أبطال اليونان ، واشترك في حرب طروادة ، وأثناء عودته ضلت سفينه طريقها وحاضرتها الأمواج ، فألقت به على شواطئ مخوفة بالمهالك ، ولكن ( أوديسيوس ) صارع الأهوال عدة أعوام (و بيلوبى) تنتظره وفيه له إلى أن عاد إليها زوجها وحبیبها . وأجمع النقاد القدماء والمحدثون على أن الإلياذة والأوديسة هما أجمل ما نظم في شعر الملاحم ، وأن بعض أجزاءها تعد من أجمل ما ظهر في عالم الشعر . والإلياذة والأوديسة فيهما تمجيد للبطولة ، وتصوير لها في أشعار خالدة ، تغرس في النفوس حب البطولة والفداء .

ومن طريف ما يذكر عن تأثير الإلياذة أنها أثرت تأثيراً بالغاً في نفس الإسكندر الأكبر ، فقد كان يتلوها المرة بعد المرة ، واتخذ بطلها أخيل مثلاً يحتديه ، ولعل إعجاب الإسكندر الأكبر بشعر هوميرو في الإلياذة كان نتيجة لإعجاب أستاذه الفيلسوف ( أرسطو ) بها ، فقد كتب شرحاً واقياً لها وأشاد بها في كتاب ( فن الشعر ) .

## هل لنا في هوميرو الثورة على المكسوس ؟

فهل لنا أن نأمل في تخليد بطولة المصريين في حرب التحرير ضد المكسوس ، وأن تمجد هذه البطولة في ملحمة من نظم شاعر عربي يشيد بالروح الوثابة التي ابعثت في الشعب المصري القديم وجعلته يكافح المكسوس من أجل حرية الوادى واستقلاله ؟ هل نجد في شعرنا هوميرو الثورة على المكسوس ؟ إننا نأمل ونرجو .

(١) أو عوليس كما تسميه المراجع العربية .



## الفصل الخامس

### الدولة الحديثة

#### من الأسرة الثامنة عشرة إلى الأسرة الثلاثين

يعتبر المؤرخون بداية الدولة الحديثة من الأسرة الثامنة عشرة ومؤسس هذه الأسرة هو أحسن الأول محرر مصر من الهكسوس وللأسرة الثامنة عشرة شأن عظيم في تاريخ مصر وقد امتدت حدودها في عهدها إلى أقصى ما وصلت إليه في ذلك العصر

#### الأسرة الثامنة عشرة

( ١٥٧٠ - ١٣٠٤ قبل الميلاد )

#### أحسن الأول

هو مؤسس الأسرة الثامنة عشرة

ومع أنه يعتبر من الأسرة السابعة عشرة لأنه ابن ( سقن رع ) من ملوك هذه الأسرة ، وقد سبق الحديث عنه ، ولكن المؤرخ المصري ( مانيتون ) وضعه على رأس الأسرة الثامنة عشرة . لأنه وقد حرر مصر من الهكسوس جدير بأن يكون على رأس أسرة جديدة .

وحسنًا فعل مانيتون . لأن تحرير البلاد من الهكسوس حادث تاريخي هام بحق أن يكون بداية لأسرة جديدة ، بل لعصر جديد .

وفي الحق أن الأسرات الأولى للدولة الحديثة تمثل مصر الكبرى ، وقد بلغت البلاد في عهدها أرفع درجات الحضارة والتمتع .

#### حروب قومية دفاعية

ولا غرو فإن غزو الهكسوس قد استثار في نفوس المصريين الشعور القومي والتعلق بالحرية ، وحفزهم وملوكهم إلى الجهاد في سبيل الذود عن الاستقلال ، وتم لهم ما أرادوا .

ثم إنهم فطنوا إلى أن تأمين الاستقلال لمصر ، لا يكون بتحسين حدودها فحسب ، بل لابد لها من بسط نفوذها على البلاد المجاورة التي جاء منها الغزو الأجنبي .

ولقد كان ( أحسن ) أول من طبق هذه سياسة الحكيمه ، فإنه بعد أن حرر البلاد من الهكسوس ، تعقبهم في جنوب فلسطين وحاربهم وحاصرهم في شاروهين حتى استسلمت . ولكنه لم يفتض عليهم القضاء التام ، فإن مكث الهكسوس قد فرّ منها قبل أن تستسلم ، وظل يقومه يدبرون مكائيد في فلسطين ، وفينيقية ( لبنان ) وسورية .

فكانت سياسة مصر في الدولة الحديثة أن تحارب بقايا الهكسوس في تلك البلاد .

ولم تكن في سياستها معتدية أو باغية . ولم تكن هذه الحرب هجومية هدفها الفتح والغزو والاستعمار ، بل كانت حربا دفاعية اقتضاها الدفاع عن النفس ، وتأمين حرية مصر واستقلالها . قال ( ستاثلي كوك ) تأييدًا لهذه الفكرة : « قد قاومت شاروهين الحصار ثلاث سنوات قبل أن تنسقط ، وهذا دليل على أن حملة أحسن لم تكن مجرد غارة كالتى شنها سنوسرت ( انظر ص ٦٣ ) ، بل كانت تستهدف غرضًا خطيرًا وتقصد محاربة عدو لم يزل قويًا ، أضف إلى هذا أننا نعود فنجد جيوشه تحارب ظافرة في شمال فلسطين وفي بلاد فينيقية ، وأكبر الظن أن الغرض من هذه الحروب فيما يرجح لم يكن هو التوسع الإمبراطوري بل كان يقصد منها تأمين مملكة مصر وتوطيدها بعد تحريرها ، فلم تكن حروب أحسن في سورية سوى تكملة لحرب التحرير »<sup>(١)</sup> .

هذا ، ولم تكن مصر تحارب أهل هذه البلاد ، بل حاربت الهكسوس الذين استبعدوها واتخذوا منها قواعد لمهاجمة مصر كلما سنحت لهم الفرصة ، ولقد نفذ هذه السياسة الدفاعية القومية ملوك مصر وخاصة ( تحوتمس الثالث ) و ( رمسيس الثاني ) كما سيحيى بيان ذلك فيما يلي :

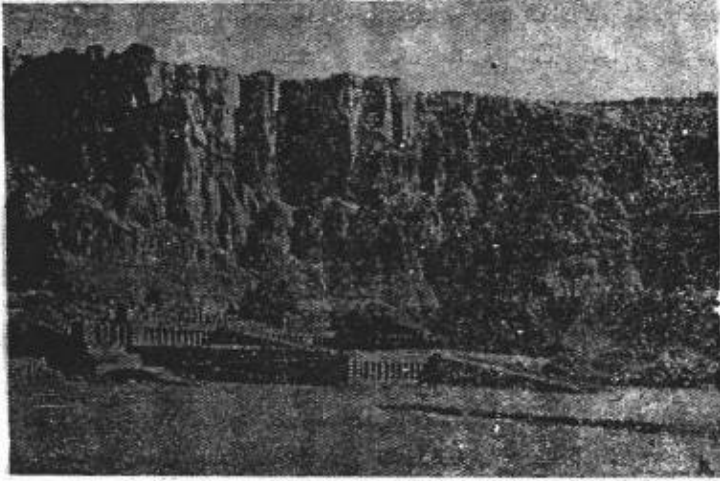
ووجه ملوك مصر عنايتهم إلى تقوية الجيش المصرى ، وإذكاء الروح الحربية في نفوس المصريين ليطمئنوا على سلامة الوطن وحرية .

وفي ذلك يقول برستد Breasted : كان حكم الهكسوس وطردهم من مصر عظة كبيرة للمصريين ، أفهمتهم لأول مرة حقيقة الاستعمار وسياسة البطش ، فأنشئوا جيشًا عظيمًا منظمًا ، استعملوا فيه المركبات الحربية التى تجرها الخيل ، فتحوط مصر بذلك إلى دولة حربية ، وتعتبر الإمبراطورية المصرية فى عهد الأسرة الثامنة عشرة من أكبر إمبراطوريات العالم ، لأنها امتدت شمالاً من سورية وأعلى القرات إلى شلال النيل الرابع جنوباً ، وكان تشييد هذه الإمبراطورية المنيرة الأولى فى العالم مصحوب بثررة باذخة ، وعز عظيم ، فى جهاتها الشاسعة بدرجة لم تبلغها مصر فى عصر آخر ، حتى صارت ( طيبة ) مركز التمدن العالمى ، وصاحبة الآثار الشامخة ، وخيمت الروح الحربية على انفسر المصريين مدة قرن ونصف بعد طرد الهكسوس ، فصار أبناء النراينة يعينون قوادًا للجيش ، ثم زيد عدده وزود بالسلاح والعتاد ، ودرت

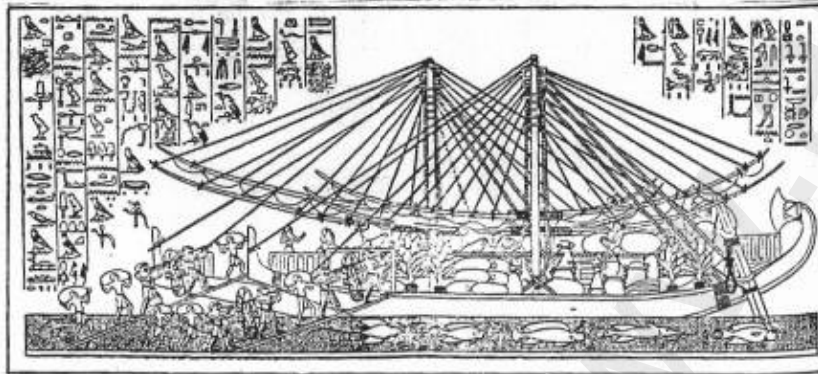
(١) تاريخ تعة - إخراج السير جون هارنر - ج ١ ص ٦٨٩ .

## الملكة حتشبسوت Hatshepsout

ولما مات تحتمس الثاني آل الملك إلى ( حتشبسوت ) ابنة تحتمس الأول بالاشتراك مع تحتمس الثالث ( ابن أخيها ) ، وتجدد النزاع على من ينفرد بالحكم . واستطاعت ( حتشبسوت ) بتأييد أنصارها في الدولة أن تنفرد به نحو سبعة عشر عاما ، نزلت فيها الوصاية على العرش إذ كان تحتمس الثالث لا يزال صبيًا ، وكذلك انتهت ( نفروخ ) .



معبد الدير البحري بطيبة  
شيدته الملكة حتشبسوت



سفيتان من سفن الحملة البحرية التجارية  
التي أنفذتها حتشبسوت إلى الصومال ( بلاد بونت )

الحروب المصريين على الأساليب الحربية الحديثة ( وقتئذ ) ، ويعتبر هذا التقدم الحربي أقدم ما عرف من نوعه في التاريخ ، وقد قسم الجيش المصري إلى فرق وفيالق ، وقسمت قواته إلى قلب وجناحين ، واستكمل بذلك نظام المعارك الحربية ، وتمكن المصريون من القيام بحركات التفاف حول أعدائهم<sup>(١)</sup> .

كان عهد ( أحمس ) دور اليقظة من سبات عميق ، وتقوية للمواهب القومية الدفينة في الأمة المصرية ، ولا غرو فقد كان هو مثال الشجاعة والجد والحكمة والدهاء ، قوى الإدارة ، ماضى العزيمة ، فهابه الجميع واحترموه ، وحكم البلاد اثنتين وعشرين سنة ، وكانت وفاته حوالي سنة ١٥٥٧ ق م . وهو واضع اللبنة الأولى في صرح الإمبراطورية المصرية في مصر القديمة .

## خلفاء أحمس الأول

### أمنحوتب الأول Amenhotep

هو ابن أحمس الأول ، وقد حافظ على عهد أبيه ، وكانت النوبة قد انتقضت على مصر ، فغزاها أمنحوتب ووصل إلى حد الدولة الوسطى بجهة الشلال الثاني . وحارب الليبيين حين حدثتهم أنفسهم بالعدوان على غرب الدلتا . فصدتهم وهزمهم ، وحكم البلاد نحو عشرين عاما .

## تحتمس الأول

وخلفه تحتمس الأول ، وفي عهده وصلت مصر إلى الشلال الرابع على النيل جنوبا ، إذ كان على رأس حملة وطلدت سلطة مصر في بلاد النوبة . وحارب بقايا المكسوس في فلسطين وسورية ، ففتحهم ما فتشوا يلودون بهذه النواحي بعد هزيمتهم في شاروهين .

وفي عهده خضعت لحكم مصر الأقاليم الآسيوية في تلك الأصقاع . ووصل إلى نهر الفرات شمالا ، وأقام على ضفته لوحة تذكارا لهذا الحادث التاريخي . وبلغت مدة حكمه ثلاثين سنة ، وهو من أعظم ملوك مصر .

## تحتمس الثاني

هو ابن تحتمس الأول وقد تزوج من أخته لأبيه ( حتشبسوت ) . وكانت سيدة طموحا إلى الملك ، فانفردت به ، واستسلم لها زوجها . وبقي على العرش نحو عشرين عاما .

(١) برستد : تاريخ مصر من أقدم العصور . المرجع السابق - ص ١٠ و ١٥٣ .

## رحلة بحرية إلى الصومال

وأُوفدت ( حثبوسوت ) حملة بحرية كبيرة إلى بلاد الصومال ( وكانت تسمى بونت ) لتبادل  
بخر معها .

وكانت حملة سلمية ودية ، مؤلفة من خمس سفن شرعية .

وقد أفلقت هذه السفن من طيبة على النيل ، واتجهت شمالاً حتى بلغت وادي الطميلات ،  
سارت في القناة التي حفرت في عهد سنوسرت الثالث حتى بلغت البحيرات المرة ، فالتبحر  
لأحر .

وحملت السفن إلى الصومال كثيراً من مختلف الجواهر والمعادن والحلى والأطعمة  
والأشربة والسلاح ، وعادت بالكثير النفيس من حاصلات تلك البلاد ومنتجاتها ، كشجر  
الر والبخور والصبغ والأبنوس والتبر والعاج والحيوان وكانت هذه الحملة من أهم أعمالها  
العمرانية .

وأُرسلت البعثات إلى سيناء لاستثمار ما فيها من المناجم ، ونهضت بمصنوعات البلاد وزادت  
من ثروتها ، وكان عهدها عهد سلام وازدهار ورخاء للشعب .  
فلما توفيت انفرد تحوتمس الثالث بالملك ، وحا اسمها من الآثار التي خلفتها .

## تحوتمس الثالث

( ١٤٩٠ - ١٤٣٦ قبل الميلاد )

هو ابن تحوتمس الثاني . وابن أخى حثبوسوت

ووالدته تدعى ( إيزيس ) ، وهى زوجة ثانوية لأبيه ( من الجوارى ) ، ومن حقها أن  
تفخر بأنها أنجبت لمصر البطل العظيم تحوتمس الثالث .

ولما توفي أبوه كان تحوتمس لا يزال صبياً لم يبلغ الحلم بعد ، فتولت حثبوسوت وقتاً ما  
رعاية عليه وعلى ابنتها نفر ورع ، ثم انفرد بالحكم بعد وفاة حثبوسوت .

وهو أعظم ملوك مصر قاطبة كما سيحىء في الفصل التالى .

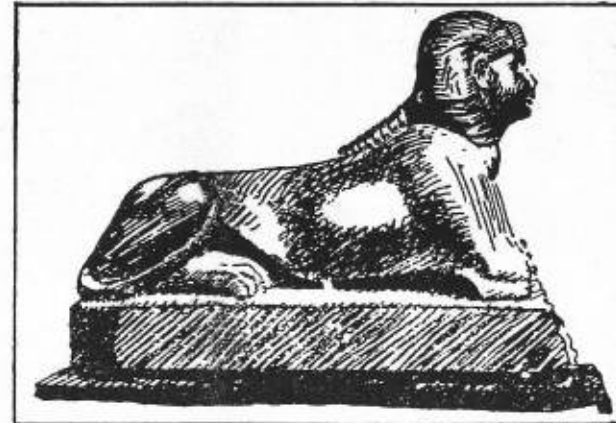
وسكت ( تحوتمس الثالث ) على هذا الوضع ، ولم يرأى شقاق أو نزاع حرصاً على وحدة  
الصف ، وبرهن منذ الساعة الأولى على بعد نظره وما تدرع به من الحكمة والأناة .

وكانت ( حثبوسوت ) سيدة عظيمة ، وملكة عظيمة . وقد صورت على بعض آثارها  
مرتدية زى الرجال ، وكان لها من النشاط ما يفوق نشاط كثير من الرجال ، على أنها لم تكن  
مخارية ، ولم تكن تميل إلى امتشاق الحسام .

فصرفت هماتها في الإصلاح والتعمير بعد التخريب الذى أصاب البلاد أثناء حكم الهكسوس .  
وهى بانية معبد « الدير البحرى » المشهور فى طيبة ، القائم فى حوض الجبل ( انظر ص ٨٩ )  
والذى يقصده الناس من كل فج حتى اليوم ليشاهدوا فيه جمال الفن وروعة التصميم والبناء .

وكان لمهندسها القدير ( سنموت ) Senmout فضل كبير فى هذا البناء الضخم وتصميم  
كثير من الآثار التى خلدت اسم حثبوسوت ، وكان سنموت هذا أهم شخصية فى عهدها ،  
وكان أثيراً عندها والمربى الأول لابنتها ( نفرورع ) . وصاحب الكلمة النافذة فى الدولة ، إلى  
أن تغيرت عليه فى أواخر عهدها وأقصته عن النفوذ والسلطان .

وقد أقامت مسلتين كبيرتين بساحة الكرنك ، وتعتبران أعلى الآثار المصرية التى يرجع  
تاريخها إلى تلك العصور ، لأن ارتفاع كل منهما بلغ حوالى سبعة وتسعين قدماً ونصفاً أما زنة  
كل منهما فتقرب من ٣٥٠ طناً ، ولا تزال إحداهما شاخصة فى مكانها الأصيل إلى الآن تسترعى  
أنظار الزائرين كل حين وبلغ عدد المسلات التى أقامتها ستاً .



تمثال الملكة حثبوسوت  
فى شكل ( أبو الهول )



تحوتمس الثالث (أو الأكبر) بلغت مصر القديمة أوجها في عهده  
في القرن الخامس عشر قبل الميلاد



إيزيس والدة البطل العظيم  
تحوتمس الثالث



غزة التي تبعد نحو ١٢٥ ميلاً عن ( ثارو ) بعد مسيرة تسعة أيام ، وهي مدة وجيزة بالنسبة لذلك العصر لانتقال جيش بأكمله طول هذه المسافة ، ثم استمر زحفه إلى الشمال ، ثم إلى الشرق ، قاصداً سهل ( مجدو ) حيث كان الأعداء يحتشدون هناك<sup>(١)</sup> .

### معركة مجدو ( سنة ١٤٧٩ قبل الميلاد )

تعد معركة ( مجدو ) من المعارك الفاصلة في التاريخ . تقدمت قوات أمير ( قادش ) وحلفائه جنوباً ، واحتلت حصن ( مجدو ) على المنحدر الشمالي لجبل ( الكرمل ) ، واتخذته أول موقع منيع لصد زحف الجيش المصري القادم من سهل مجدو .

وحيث علم تحوتمس الثالث باحتلال الأعداء هذا الحصن ، اتجه إليه بجيشه . وكان أمامه ثلاث طرق لعبور تلك المنطقة الجبلية ، اثنان منها يدوران حول سفح جبل الكرمل ، والثالث طريق ضيق صعب المرتقى يصل مباشرة إلى أبواب مجدو . وعقد تحوتمس مجلساً حربياً ، شاور فيه مستشاريه العسكريين في أى الطرق يختار ، فأشاروا عليه باجتباب الطريق الضيق واختيار أحد الطريقين الآخرين .

ولكنه أصر على السير في الطريق الوعر ، لأنه أقرب الطرق وأكثرها استقامة . وفي فجر يوم الواقعة ( ١٥ مايو سنة ١٤٧٩ ق . م . ) أمر تحوتمس الجيش بالزحف والمهجوم على العدو ، واعتلى مركبته الحربية البراقة ، المصنوعة من خليط الذهب والفضة ، وسار على رأس جيشه في الطريق الوعر ، فبعث في نفوس جنوده الحماسة والحمية ، وشجعهم هو قائلاً : سأسير أمامكم لكي أظهر لكم الطريق فتفتقروا أثرى .

وقد تأججت في نفوس الجنود روح الحرب وبلغت مشاعرهم ذروتها . وإذا شاهد أمير قادش هذا الهجوم ألقي بجنوده بين جيش تحوتمس ومجدو ، فانقض عليهم تحوتمس وهو في مقدمة جيشه شاهراً حسامه ، وأخذ الجيش المصري يدرهم ويفتك بهم . وعلى أثر هذا الهجوم تفهقر العدو وارتد نحو مجدو ، واحتسى بها ، فحاصرها الجيش المصري ، وظل على حصارها حتى سلمت بعد أن فر منها أمير قادش ، وعظمت غنائم الجيش المصري في هذه المنقعة ، وكانت نصراً مبيهاً فرحت له نفوس المصريين جميعاً .

يقول برستد Breasted تعليقاً على هذا النصر : « لكي يتصور القارئ الصعوبات التي قاساها تحوتمس الثالث في حروبه الآسيوية يجدر به أن يطلع على الأحوال التي قاستها جنود نابليون

(١) انظر موقع مجدو على الخريطة ص ٩٦ .

## الفصل السادس

### أوج المجد

### مصر في عهد تحوتمس الثالث - أو الأكبر

بلغت مصر القديمة أوج المجد في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، على عهد تحوتمس الثالث Thoutmes . ويسمى ( الأكبر ) .

عندما تولى هذا الملك عرش مصر ، كانت الأطماع تتجه إليها ، وكان الطامعون قد أخذوا يترصون بها حين رأوا قوة مصر الحربية مسالمة متراخية في عهد الملكة ( حتشبسوت ) ، فظنوا بجيش مصر الظنون .

وخيل لهم الوهم أن الملك الشاب تحوتمس الثالث لا يقوى على إحباط مؤامرتهم وصد تحركاتهم العدائية .

ولم تكن مواهب تحوتمس الثالث الحربية قد تجلت بعد وظهرت للعيان . لأنه لم يسبق له قبل تولى العرش أن مارس الحرب والكفاح .

فحدث تحالف بين أعداء مصر في سورية ولبنان ، يترعهم أمير ( قادش )<sup>(١)</sup> ، وهو من بقايا الرعاة ( الهكسوس ) فأخذ هو وحلفاؤه يثيرون فريقاً من الأهلين ضد الحكم المصري الذي كان ميسوطاً على البلاد نحو خمسين عاماً منذ عهد تحوتمس الأول ، وانضم إلى هذا الحلف بعض سكان سورية وفلسطين ، كما انضمت إليه مملكة ( ميثاني )<sup>(٢)</sup> ، وتآلبوا جميعاً على مصر لينالوا منها ويقوضوا سلطانها في تلك الجهات .

وإذا توالت النذر بأن هذا الحلف إذا ترك وشأنه فإنه لا يلبث أن يكون مصدر خطر على مصر ، فقد بادر تحوتمس الثالث إلى مهاجمة هؤلاء الخلفاء في عقر دارهم ، واعتزم في أوائل حكمه أن ينازلهم حيث كانوا ، فأعد للزحف عليهم جيشاً مدرّباً منظمًا كان هو على رأسه ، واستعد للحرب والنضال .

وبدأ زحفه في أبريل سنة ١٤٧٩ قبل الميلاد من مدينة ثارو Tharu<sup>(٣)</sup> .

وكان جيشه مؤلفاً من نحو عشرين ألفاً إلى ثلاثين ألف مقاتل ، وسار بقيادته ، فوصل إلى

(١) قادش هي الواقعة على نهر العاصي (الأورونت) جنوبي بحيرة حمص ( انظر الخريطة الملتقة بهذا الفصل ) .

(٢) من بلاد الرافدين ( انظر موقعها على الخريطة الملحق بهذا الفصل ) .

(٣) مكاتها الآن عند مدينة المنطرة الحالية .

### نتائج معركة مجدو

قررت معركة ( مجدو ) مصير فلسطين ووطدت سلطة مصر فيها ، وفتحت أمام تحوتمس الثالث طريق لبنان وسورية ، ووصل إلى منحدرات هذين القطرين ، وكانت تحت حكم أمير قادش ، فسرعان ما سلمنا للمصريين ، وقد امتلأت نفوس الأعداء نزعاً من هيبتهم .

وأخذ تحوتمس ينظم ما أخضعه من البلاد ، ويوطد السلم والأمن فيها ، ويستبدل بحكامها المعادين آخرين موالين له .

وسمح للحكام الجدد أن يحكموا البلاد بحرية بشرط أن يدفعوا لمصر الجزية ، ووصلت سلطته إلى جبال لبنان الشمالية ، وتوغل حتى مدينة دمشق .

وعامل الأهليون بالرفق والعدل ، وحب إليهم العلوم والمعارف ، وغرس في قلوبهم حب مصر .

وعاد إلى مصر في أوائل أكتوبر من ذلك العام ( ١٤٧٩ ق . م . ) ووصل إلى طيبة ، فاستقبله الشعب استقبالاً مجيداً .

وجدد تحوتمس على تعاقب السنين حملاته على الأقطار الآسيوية حتى وصل إلى الفرات . وقد رأى بثاقب نظره أن مدينة قادش الواقعة على نهر العاصي ( الأورونت ) تقف عقبة أمامه وتحول دون وصوله إلى وادي الفرات .

فأعد أسطولاً يشترك مع الجيش البري في هذه الحملات ، واتخذ من الشواطئ الفلسطينية والفينيقية التي فتحها مواقع لتأمين خطوط جيشه في الزحف .

قال برستد في هذا الصدد : « ولا شك أن هذه الخطوات سديدة لدرجة يستحيل على أي ضابط حربي حديث أن يتكرر أحسن منها بحيث تناسب أحوال تلك العصور ، أو أن ينجزها بمثل ما أنجزها تحوتمس من الدقة والمثابرة ، والحق أن الحلفاء لواتبعوا في الحرب العالمية ( الأولى ) هذه الخطة في محاربة الترك لفازوا بالنصر هناك في أقل من سنة واحدة<sup>(١)</sup> .

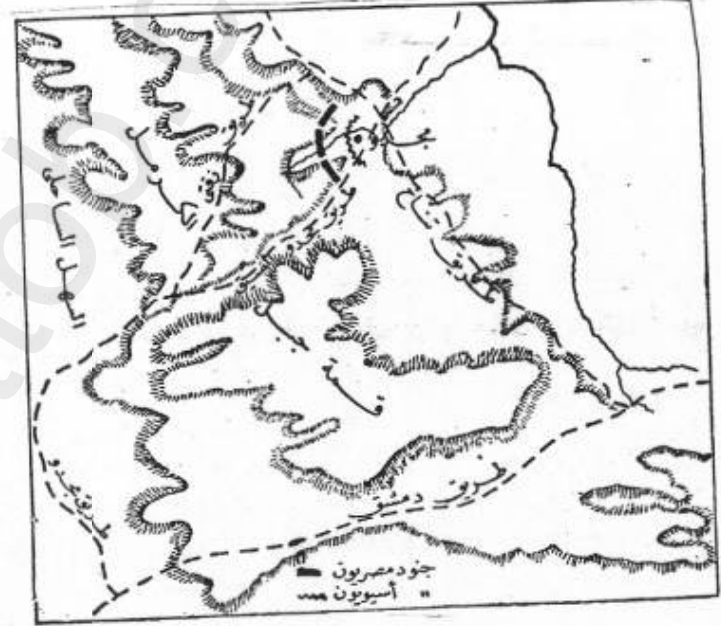
### سقوط قادش

ووصل تحوتمس الثالث إلى قادش معقل أميرها الذي ناوأه في حملاته وضرب عليها الحصار وهاجمها حتى سلمت ، وكان سقوط قادش انهياراً لآخر صرح للهكسوس .

وأتم إخضاع شاطئ فينيقية ( لبنان ) .

(١) برستد - تاريخ مصر من أقدم العصور - المرجع السابق ص ١٩٦ .

في تلك المنطقة سنة ١٧٩٩ بعد الميلاد أثناء زحفها من مصر إلى مدينة عكا التي تبعد عن حدود انقصر المصري بقدر المسافة التي تبعد بها مجدو ( تقريباً ) . ويقول أيضاً : ( هذا هو أقدم جيش معروف لأن دخل ذلك السهل التاريخي الذي أصبح من ذلك الوقت معتركاً حربيًا حتى اللورد ( ألتني ) سنة ١٩١٨ ميلادية ، ويلاحظ أن ( ألتني ) في زحفه على الجيش التركي المتقهقر قد اتخذ نفس الطريق الذي سار فيه تحوتمس الثالث<sup>(١)</sup> .



خريطة معركة مجدو  
سنة ١٤٧٩ قبل الميلاد  
(مقتبسة من خريطة برستد)

وعامل تحوتمس الأسرى من الأعداء معاملة حسنة كريمة .

وعلق على ذلك المؤرخ ويجول Weigall بقوله : « إن المصريين كانوا أعظم شعوب العالم القديم رحمة وإنسانية<sup>(٢)</sup> .

(١) برستد : تاريخ مصر من أقدم العصور . المرجع السابق - ص ١٩٠ و ١٩٤ .

(٢) سليم حسن - مصر القديمة - ج ٥ ص ٤٠٥ و ويجول



## نابليون الشرق

ذاعت شهرة نحمس الثالث كقائد عظيم ، وتجلت مقدرته الحربية في حروبه وحملاته الموفقة التي بلغت سبعة عشرة حملة كان النصر حليفه فيها جميعا .  
وقد لقبه المؤرخون بنابليون الشرق .

وصارت طيبة عاصمة العالم المتمدن ، وعرفت لدى الإغريق بالمدينة ذات المائة باب ، وجاء ذكرها بهذا الاسم في أشعار هوميير ، فأطلق عليها نفس الاسم « المدينة ذات المائة باب » يتسع كل باب لمائتي رجل ، وتخرج منها جيوش فرعون بكامل عدتها وعتادها فوق عجلاتها الحربية .

## بين مصر وسورية

عامل نحمس الأهلين في فلسطين ولبنان وسورية بالرفق والعدل ، لم يكن جباراً في الأرض ولا متغطرساً ، بل كان حاكماً قوياً يحب العدل ويدافع عنه ، يكره الانتقام وسفك الدماء ، لم ينتقم من الأمراء الذين ساروا في ركاب أمير ( قادش ) بل أبقى الموالين منهم في مراكزهم .  
وفي سبيل دعم الروابط بين مصر وسورية ، أمر بإيفاد بعض أبناء حكام تلك البلاد إلى مصر ليتتقنوا وينهلوا من العلوم والمعارف ، وليغرس في قلوبهم حب مصر .

لم يكن يبغي من فتح هذه البلاد تأمين كيان مصر فحسب ، بل أراد أن يجمع بين فلسطين وسورية ولبنان ومصر في وحدة شاملة ، ففي فتوحه الآسيوية لم يرهق الأهلين ولا كان يحاربهم ، بل كانت حروبه ضد حلف يتزعمه أمير قادش من بقايا ملوك المكسوس ( الرعاة ) ، ولم يكن أمير قادش من أهل هذه البلاد ولا من المواطنين فيها ، بل كان من غزاتها وسليل غزاتها السابقين .  
ومن المحقق أن الهيبة التي كانت لنحمس في النفوس والتي نتجت عن انتصاراته في ميادين القتال ، والقوة الحربية التي اعتمد عليها في بسط سيطرته على تلك الأصقاع ، كانت هي الدعامة الأولى للدولة الترامية الأطراف التي أنشأها في آسيا ، ولولا تلك القوة لما استطاع أن يوطد سلطانه فيها .

## وفاة نحمس الثالث

توفي نحمس الثالث سنة ١٤٣٦ ق م ، بعد أن جلس على عرش مصر أربعة وخمسين عاما كانت أوج المجد لمصر القديمة .

يقول برستد في وصفه وتمجيده : « إن صفات نحمس الثالث وشخصيته برزت في التاريخ المصري القديم بدرجة منقطعة النظير ، في ملوك مصر قاطبة ، والحق يقال إن نشاطه فاق كل نشاط سواء أكان قبله أم بعده ، زد على ذلك أنه كان هاوياً فنانياً يتلهى وقت فراغه بصياغة الأواني

ويهدع أشكائها ، وكان حسن التدريب في السياسة ، حاد الذاكرة ، يقوم بالحروب الكبيرة في سيا مستعملا في الوقت نفسه شدته في منع انتشار الرشوة والخياف في أثناء جمع الضرائب من الأهلين ، لذلك اعتبر عهد نحمس الثالث عهداً ممتازاً في مصر والشرق عامة ، ولم يظهر في التاريخ إلى ذلك العهد ملك جمع إيراد مملكته الشاسعة وأقام عليه إدارة حكومية مركزية ثابتة مستمرة دامت سنوات عدة كما فعل ، وهو يذكرنا بتاريخ الإسكندر المقدوني ، ونابليون لتشابه تاريخهم جميعاً ، وخلاصة القول أن نحمس كان أول رجل في التاريخ أسس إمبراطورية حقيقية ، فهو لذلك أقدم بطل معروف على الأرض ، ولا غرابة فقد خضعت لقوته آسيا الصغرى وأعلى القرات ، وجزر البحر الأبيض المتوسط ، ومستنقعات بابل وشواطئ ليبيا السحيقة وواحات الصحراء ، وهضاب الصومال ، وشلالات النيل العليا ، يضاف إلى ذلك أن أمراء تلك الجهات تسابقوا في تأدية جزيتهم وهداياهم إليه ، ويعتبر هذا برهاناً ساطعاً وتذكيراً عظيماً للعالم على نجاح نظمه وترتيباته الحديثة ، وقد تجلت شخصية هذا الملك العظيم وشدة توقيعه للقصاص العادل في مشاهدات أمراء سورية ، فظهر جو الشرق السياسي من المفاسد ، ومن أجمل مآثر هذا الملك مسلته الأثريتان العظيمتان - المنصوبتان على شاطئ المحيط الأطلسي (١) .

وقد اعتبرت هاتان المسلتان في بلادنا نحن الغربيين تذكيراً عظيماً لأول بناء للإمبراطوريات في تاريخ العالم (٢) .

وقال في وصف نتائج الروابط بين مصر والأقاليم الآسيوية : « يمتاز هذا العهد بكثره رخائه وتقدم مدنيته ، فقد زالت العوائق التي أوجدتها المكسوس بين مصر وآسيا ، ومحا نحمس الثالث بحروبه أثرها من الوجود ، فتيسر التعامل بين إفريقية وآسيا ، وزالت الفوارق القديمة فلم يبق هناك ممالك صغيرة بل أصبحت البلاد كلها الممتدة من منابع القرات إلى أعلى النيل متحدة على تباين عناصرها ولغاتها ، وأخذت تجارة شرقي البحر الأبيض المتوسط تتحول تدريجياً من إقليم القرات وبابل إلى مصر ، وبالأخص إقليم الدلتا الذي كثرت خيراته وتضاعفت روابطه التجارية ، وكان هذا الإقليم منذ عدة قرون على اتصال بالبلاد الآسيوية بالقناة التي توصل البحر الأحمر بالنيل ، فانحصرت تجارة العالم في الدلتا ، وصارت أكبر أسواق العالم ، وكانت آشور في هذا الوقت فتية ، واتعدم من بابل نفوذها السياسي تماما في البلاد الغربية ، فأصبحت سلطة فرعون على إمبراطوريته الشاسعة عظيمة مهيبه (٣) .

(١) إحداهما الآن بلندن والثانية بنيويورك .

(٢) برستد : تاريخ مصر من أقدم العصور - المرجع السابق ص ٢١١ .

(٣) برستد : تاريخ مصر من أقدم العصور - المرجع السابق ص ٢١٢ .



تقديمه مع ميل حقيقي للحرية وحكمة مؤكدة بالنظر لما ركب في طباع السوريين والكنعانيين من مجاناة للمرونة ، فما بعد انقراق بين هذه المعاملة التي تشرف أبناء وادي النيل وبين الوسائل القاسية للملوك الآسيويين الذين عرفوا بالمذامع والنهب وتشريد السكان تشريداً جماعياً ، وإحلال الجند المستعمرين محلهم في البلاد المحتلة»<sup>(١)</sup> .



الملكة ( تي )  
زوجة أمنحوتب الثالث

تزوج أمنحوتب الثالث من فتاة مصرية من صميم الشعب تدعى ( تي ) .  
كان أبوها كاهناً ، وأميها إحدى سيدات القصر المشرفة على الملابس .

(١) موريه - Moret مصر الفرعونية ص ٣١٨ L'Egypte pharaonique .

## خلفاء تحوتمس الثالث أمنحوتب الثاني<sup>(١)</sup>

أصبح الآسيوية عصا الطاعة على مصر بعد وفاة تحوتمس الثالث ، فأنبرى لها ابنة  
وقد أنشأه أبوه النشأة العسكرية وعرس فيه الشجاعة والفروسية ودرجه على  
وكان ملكاً قوياً نافذ البصيرة ماضى العزيمة ، وقاد الجيش المصرى بنفسه كما كان  
محمد بن أحمد العتيان .

١٤٢٠ قبل الميلاد بعد أن حكم حوالي ٢٦ سنة .

## تحوتمس الرابع

هو حفيد تحوتمس الثالث ، وقد ذهب على رأس جيشه إلى سورية والفرات لقمع الفتن  
والثورات ، وكان آخر ملوك مصر الحارثين من الأسرة الثامنة عشرة .  
وقد معاهدة صداقة مع ( ميثاني ) ثم مع ( بابل ) ، وتزوج من ابنة ملك ميثاني ليؤكد  
الصداقة بين البلدين ويفتح بين دول الشرق عهداً جديداً من الصلات الودية والمصاهرة والتحالف .  
ومن أعماله أنه أتم إقامة المسلة التي تركها جده تحوتمس الثالث بمدخل الكرنك الجنوبي ،  
وارتفاع هذه المسلة الشاهقة مائة وخمسة أقدام ، وهي أكبر مسلة باقية إلى الآن .  
وقد نقلت إلى إيطاليا حيث لا تزال منصوبة بروما .

## أمنحوتب الثالث<sup>(٢)</sup>

هو ابن تحوتمس الرابع من زوجته الميثانية .  
وفي عهده تنافست بابل وأشور وميثاني وقبرص في اكتساب صداقة مصر ، ويعتبر هذا أول  
مظهر سياسي دولي في تاريخ الممالك المعروفة وقتئذ .  
وقد سمى ( موريه ) النظام الذي أنشأه ملوك الأسرة الثامنة عشرة في البلاد الآسيوية نظام  
حمية مقنونا بالانجازات الحرة والرفق بالأهلين .

قال في هذا الصدد : « إن الإدارة المحلية لهذه البلاد كانت إدارة أهلية في معظم نواحيها ،  
وكانت ذات أهلية مع بعض فئات من الضباط والموظفين المصريين ، وهناك مفتشون لهم  
سلطة واسعة يعملون تحت رقابة الملك الشخصية ، وهذا النظام قد أسمىه في العصر الحديث  
حمية . وقد اقتبسناه في القرن التاسع عشر ، وما يشرف المصريين أنهم طبقوه في آسيا

١٦٦ مسمى أبناً امينوفيس .  
١٦٧ مسمى أبناً امينوفيس .

وكانت (تى) فى عهده لها النفوذ الكبير باعتبارها ملكة مصر ، وكانت على جانب كبير من الذكاء والجمال ، وكانت لها فى نفسه منزلة كبيرة .

ومن دلائل حبه لها أن أمر بحفر بحيرة نلهو بها فى قارب من خشب الأبتوس مصفح بالذهب بجوار قصرها ، وبلغ طول هذه البحيرة نحو ١٨٠٠ متر وعرضها ٣٥٠ مترا ، وكان حفره لهذه البحيرة تلبية لرغبة عابرة لها .

ثم تزوج عليها من أخت دشراتا ملك ميثانى ، وكان يكثر من الزوجات والجوارى . على أن (تى) ظلت زوجته المفضلة ، واستمرت على نفوذها وسيطرتها على الملك وعلى شؤون الدولة .

وقد أرسل ( دشراتا ) ملك ميثانى إلى أمنحوتب الثالث ( صهره ) خطابا يدل على الود بينهما ، ويدل على السداجة فى التفكير ، وعلى أن مصر كانت مطمونا فى ثروتها وخيراتها حتى ممن كانوا يرتبطون بها بصلات الود والمصاهرة .

قال : « إلى أخى وصنهرى الذى يحبنى وأحبه أمنحوتب الثالث الملك المعظم وفرعون مصر .

« من دشراتا الملك العظيم أخيك وحبيك الذى يحبك ، أنا فى صحة جيدة ، لعلك أنت كذلك ، وكذا ومنلك وأختى وسائر زوجاتك وبناتك وعملاتك وخيلك ، وكبار رجالك وأرضك وكل ممتلكاتك ، لعلكم جميعا بخير ، كان أبائك قديما على أوفق وثام مع آبائى ، لكنك قويت تلك الرابطة عما كانت عليه كثيرا ، حقيقة كنت صديقا حبيبا لوالدى ، وتجاوزنا أطراف الصداقة معا ، لكنها الآن أشد مما كانت عشر مرات ، لعل المعبودات تزيد من ودنا هذا على توالى الأيام ، ولعل المعبودة ( تشوب ) ( معبودة مملكة ميثانى ) والمعبود آمون يحافظان على هذا الود كما هو الآن ، لما حضر إلى رسول أخى المدعو ( مائى ) قائلاً إنك تخطب كريمتى لتكون ملكة على مصر ، لم أتجاسر على تكدير قلب أخى ، بل استمررت على أداء ما هو واجب نحو صداقتنا ، وتنفيذا لرغبتك يا أخى أرسلتها مع ( مائى ) الذى سر جدا برويتها ، فإذا وصلت إلى أرضك يا أخى أتعشم أن المعبودة ( عشثار ) ، والمعبود آمون ، يجعلانها محبوبة ومقبولة لديك ، لقد أحضر لى رسولى ( جيليا ) خطابك يا أخى ، ولما قرأته فرحت فرحا جزيلاً حتى أنني قلت وقتئذ إذا فرضنا أن صداقتنا ذهبت ، فإن هذه الرسالة ستجعلنى أثار على الود لك الآن ، وكسبت لك يا أخى قائلاً : أما من جهتى فإننا سنكون أعز أصدقاء وأوفى أخلاء ، ثم سألتك يا أخى أن تقوى صداقتنا أكثر عشر مرات مما كانت عليه أيام آبائنا ، ولقد طلبت منك يا أخى مقدارا كبيرا من الذهب قائلاً : أرسل لى يا أخى أكثر مما كان يرسل لوالدى من قبل ، لقد كنت ترسل لوالدى كميات كبيرة من الذهب ، أما الذى أرسلته فعبارة عن قرص من الذهب يظهر أنه مخلوط بنحاس ، لذلك أرسل لى يا أخى كميات كبيرة من الذهب

لإحساب وليكن مقداره أكثر من الذى كنت ترسله لوالدى ، لأن الذهب فى أرضك يا أخى كثير كالتراب » (١) .

فمملكة ميثانى فى شمال العراق ربطتها بمصر روابط التحالف والود والمصاهرة ، ولكن ملكة الحيشيين بالأناضول ناصبتها العداء ، فاستنجد ملكها بمصر فأمدته أمنحوتب الثالث بنجدة أعادته ، ففتح ملك حيتا ( الحيشيين ) على مصر وألب عليها عنصر الشعب فى سورية .

وفى آخر عهده ظهرت بوادر الهجوم من جانب ( الحيشيين ) فلم يذهب إليهم على رأس جنده يرد هجومهم كما فعل نحوتمس الثالث وأمنحوتب الثانى ونحوتمس الرابع ، بل اكتفى بإرسال جيش لغارتهم .

وكان أمنحوتب الثالث متراخيا فى شئون الدولة العليا ، فتدخل الحكم المصرى فى آسيا ، وظهرت المؤامرات فى سورية يديرها أمير قادش وملك حيتا ( الحيشيين ) .

ولم يكن ميالا إلى الحرب والهيجاء ، وركن إلى حياة الدعة والاستمتاع

وتوفى بعد أن حكم البلاد نحو ست وثلاثين سنة

وبعد وفاته خلفه ابنه أمنحوتب الرابع ( إخناتون ) من زوجته ( تى ) . وكان قد اشترك فى الملك مع أبيه أمنحوتب الثالث عدة سنين قبل وفاته .



إخناتون  
ملك مصر، وصاحب الثورة الدينية  
القرية من التوحيد

## الفضل السابع

### إخناتون وثورته الدينية ( ١٣٧٠ - ١٣٤٩ ق م )

كانت مصر في حاجة بعد وفاة أمنحوتب الثالث إلى ملك قوى لشكيمة مثل تحتمس الثالث، يصد عنها هجوم الظالمين فيها، ويفقههم عند حدهم، ويقمع لفتن التي يديرونها في بعض الأضلاع الآسيوية.

ولكنها وجدت من إخناتون ( أمنحوتب الرابع ) ملكا مسلما، وفيلسوبا هادئا، منصرفا إلى دعوة دينية.

حقا إن دعوته هي اقتراب من رسالة التوحيد.

فقد فكر طويلاً في تبسيط العقيدة الدينية، ورأى من تعدد المعبودات ما يتنافى مع التبسيط الذي ينشده، كما رأى في استفحال سلطان كهنة المعابد وتدخلمهم المستمر في شؤون الدولة خطراً على أداة الحكم، فناوهم وناووه، ودعا إلى توحيد الآلهة، وجعل من القوة الكامنة في الشمس ( أتون ) رمزاً للإله الواحد.

كل هذا لا شبهة فيه، فدعوته وقتئذ كانت سليمة، وكان تفكيره تقدماً.

ولكن الواجب الأول على رئيس الدولة أن يعمل على حفظ كيائها، لأن المحافظة على كيان الوطن أول واجب مفروض عليه، بل على كل مواطن. وهو واجب مقدم على الأبحاث الفلسفية والدينية.

أما ( إخناتون ) فقد صرف كل همه إلى الثورة الدينية، في وقت كان فيه الوطن في خطر، ومن هنا كانت المآخذ على شخصيته وسياسته.

ففي عهده حرك الحثيون الفتن في سورية، واستولوا على مدن الشمال، وانتقضت مدن عديدة في فينيقية وفلسطين، وسرى الانحلال إلى أطراف الدولة، فلم يترك ( إخناتون ) ساكناً، ومضى في تأملاته ودعوته الدينية.

وفي نحو السنة السادسة من حكمه أعلن دعوته، وجاهر بها على ملأ الناس، وخاصم من أجلها الكهنة ورجال الدين كافة.

كانت دعوته قريبة من التوحيد، ولكنها لم تصل إلى الكمال الذي وصلت إليه الرسائل السماوية.

فمن نشيده الدينية الدالة على ذلك قوله (١) :

أنت تشرف بهاء في أفق السماء  
يا تبتون الحى ، يا بداية الحياة  
عندما تبرز في الأفق الشرقى  
تملأ البلاد بجمالك

أنت جميل ، عظيم ، متلائم ، وعال فوق كل بلد  
وتحيط أشعتك بالأراضى كلها التى خلقتها  
لأنك أنت « رع » وتصل إلى نهايتها  
وتخضعها لابنك المحبوب

وبالرغم من أنك بعيد . فإن أشعتك على الأرض  
وبالرغم من أنك أمام أعينهم فلا يعرف أحد خطوات سيرك  
وعندما تغرب في الأفق الغربى  
تسود الأرض كما لو كان حل بها الموت  
ينام الناس داخل حجرة وقد لقوا رءوسهم  
فلا ترى عين عنا أخرى

ويمكن أن تسرق أمتعتهم التى يضعونها تحت رءوسهم فلا يحسون بذلك  
يخرج كل أسد من عرينه

وجميع الزواحف تخرج لتلدغ  
ويلف الظلام كل شيء ويغم الأرض السكون  
لأن الذى خلقهم يرتاح فى أفقه  
وعندما يصبح الصباح وتطلع من الأفق  
وعندما تضىء كآتون أثناء النهار  
تطرد الظلمة وتمنح أشعتك  
فالأرضان فى عيد كل يوم  
ويستيقظ الناس ويقفون على الأقدام  
لأنك أنت الذى أيقظتهم .

يغسلون أجسامهم ويلبسون ملابسهم

(١) كما عرّبها الدكتور أحمد فخرى فى كتابه ( مصر الفرعونية ) ص ٣٠٩ .

ويرفعون أذرعهم ابتهالاً عند ظهورك

والناس جميعاً يؤدون أعمامه  
وتقع كل الحيوانات بمراعبيها  
وتزدهر الأشجار والنباتات  
والطيور التى تطير من أعشاشها  
تشر أجنحتها لتمدح قوتك  
وتقف الحيوانات على أرجلها وكل ما يطير أو يحط  
إلهم يعيشون لأنك أشرفت من أجلهم  
وتسير السفن نحو الشمال ونحو الجنوب  
لأن الطرق كلها مفتوحة عندما تظهر  
وتسبح الأسماك فى النهر أمامك

...

لأن أشعتك تتغلغل فى المحيط  
أيتها الخالق لبذرة الحياة فى النساء  
إنك أنت الذى يجعل من البقرة السائلة إنسانا  
إنك أنت الذى يعنى بالطفل فى بطن أمه  
وأنت الذى يهدئه بما يوقف بكاءه  
لأنك تعنى به وهو فى الرحم  
أنت الذى يعطى النفس ليحفظ حياة كل من يخلقهم  
عندما ينزل الطفل من بطن أمه ليتنفس فى اليوم الذى يولد فيه  
تفتح فمه ، وتمده بكل ما يحتاج إليه  
وعندما يصرخ الفرح وهو داخل البيضة  
فأنت الذى يمدده بالنفس فى داخلها ليعيش  
وعندما تتم خلفه داخل البيضة تجعله يكسرها  
ويخرج من البيضة وهو يصوص عندما يحين موعده  
ويمشى على رجله عندما يخرج منها

...

ما أعظم أعمالك التى عمستها !

إنها خافية على الناس  
أنت الإله الأواحد . لا شريك لك فى الملك



لما النيل الحقيقي فإنه ينبع من العالم الآخر . لأجل مصر

تلقى أشمك كل مرج  
وعندما تشرق ، تحيا وتسمى لأجلك  
وجعلت فصول السنة لتلقى كل ما خلقت  
فالتقاء يرد أجسامهم

والحرارة تجعلهم يحسون بك  
لقد خلقت السماء البعيدة لتشرق منها  
وحى زرى كل ما صنعت  
وذاك عندما كنت وحيداً  
تشرق في صورتك كأتون الحى  
لايتا . سميحاً ، فى جيفك ورواحك  
جعلت ملايين الصور من نفسك وحدها  
وسواء أكانت منأى أم بلاذاً أم حقولاً طريقاً أو نورا  
فإن كل عين تراه فوقها مشرقاً  
لأنك آتون ( شمس ) النهار على الأرض

...

أنت فى قلبى  
وليس هناك من يورتك  
غير أبك ( إيمانون )  
لأنك أنت الذى خلقتك عالا بمفاسلك ويدر كما لتورتك  
أنت الذى صنعت الدنيا بيدك  
وخلقت الناس كما شئت أن تصورهم  
فهم يحون عندما تشرق  
وهيونون عندما تعرب  
إنك أنت الحياة بعينها  
وهيش الإنسان فقط إذا أردت  
تخلق العيون بالحصل حتى تعيب  
ويترك الناس أفعالهم تعرب فى الغرب  
ولكن عندما تشرق ثانية  
يردمر كل شيء لأجل الملك

لقد خلقت الدنيا كما شئت

عندما كنت وحيداً  
الناس والماشية والرخوش الضارية  
وكل ما على الأرض يسقى على قلبه  
وكل ما يرتفع فى السماء ويظهر يحتاجه

...

فى بلاد سورية والنبوة وأرض مصر  
تفتح كل شيء فى مكانه  
إنك أنت الذى يمددم بما يحتاجونه  
وتحصل كل شخص على طعامه ، وسنوات حياته مقدرة له  
مختلف الناس فى اديانهم  
كما يختلفون أيضاً فى طياتهم

يمتاز لون جلودهم عن بعضهم البعض  
لأنك أنت الذى يميز أهل الأمم الأجنبية  
أنت الذى خلقت نبلا فى ذلك العالم الآخر  
وأنت الذى يأتى به عندما يشاء ، لتبقى على الناس  
وذلك لأنك أنت الذى خلقتهم لأجل نفسك  
وأنت سيدهم جميعاً ، سيدهم الذى يشمل نفسه من أجلكم  
سيد كل أرض . الذى يشرق لأجلكم  
أنت آتون شمس النهار عظيم البهاء

...

أنت الذى يعطى الحياة أيضاً لكل البلاد الأجنبية البعيدة  
لأنك خلقت نبلا فى السماء  
ليترك لأجلكم ويحدث أمواتاً فوق الجبال  
مثل أمواج البحر  
لترزى حقوهم فى قراهم  
ما أجمل أعمالك يا رب أديبة  
فانيل الذى فى السماء خلقته للأجانب  
وكل حيوانات الصحراء التى تسمى على الأقدام

نفرقون خير أم الله الواحد القهار»<sup>(١)</sup> . ومعلوم أن يوسف كان سجيناً عند فرعون مصر ، ونجيب على هذا بأن عقيدة الشرك لم تدخل إلا مع العرب في الجاهلية الذين دخلوا مصر في العهد القديم ، أي قبل عصر الأسرات ، وأن الوثنية أتت من بلاد العرب في الجاهلية بدليل أن محمداً ﷺ وجد بالكمة ٣٦٥ صنماً فهشمها ، وأن من الأصنام العربية اللات والعزى ومناة»<sup>(٢)</sup> .  
ثابر إخناتون على دعوته ، ونقل العاصمة من طيبة إلى بلدة جديدة (أخت أتون) أي سماء تون ، ومكانها الآن في تل العمارنة»<sup>(٣)</sup> .



الملكة نفرتيتي  
زوجة إخناتون

(١) سورة يوسف الآية ( ٣٩ ) .

(٢) صحيفة ( اللواء ) عدد ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٠٧ .

(٣) بمحافظة جرجا الآن .

لأنك أنت الذى خلقت الأرض  
وأنت الذى خلقتهم ( الناس ) لأجل ابنك  
الذى ولد من صلبك  
ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، إخناتون  
وزوجة الملك العظيمه .. نفرتيتي  
عاشت متمتعة بالشباب دائماً وإلى الأبد »  
فالقارئ لهذا الدعاء يرى فى واضعه سعة الأفق وعمق التفكير ، وإحاطته بالكثير من أسرار  
الكون بالنسبة للمصر الذى ظهر فيه إخناتون أى فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد .  
ولعلك تلاحظ فى حديثه عن رافة الله بشعوبه . أنه ذكر سورية والنوبة قبل مصر فى تعداد  
الشعوب ، وهذا يدل على أن تأملاته الفلسفية قد طلعت على النظرة القومية الجديدة بملك مصر ،  
بل بكل مواطن من أهلها .

### التوحيد عند قدماء المصريين

ويبدو من المحاضرة التى ألقاها علينا العلامة المؤرخ أحمد كمال باشا سنة ١٩٠٧ بنادى المدارس  
العليا ، أن عقيدة التوحيد كانت معروفة لدى المصريين القدماء قبل إخناتون ، وقبل عصر الأسرات  
الملكية ، فقد قال فى هذه المحاضرة تحت عنوان ( التوحيد عند قدماء المصريين ) :  
« قال تعالى : ﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ ،  
هذه هى صيغة التوحيد عند المسلمين ، وهى موافقة تقريباً للصيغة التى كان يدين بها المصريون  
قبل عصر الأسرات الملكية ، ويدلنا على ذلك رسوم هيروغليفية وجدت فى أوراق البردى  
القديمة وترجمتها :  
( الله وحده ، لا ثنى له ، يودع الأرواح فى الأشباح ، أمت الخالق ، تخلق ولا تخلق ،  
خالق السموات والأرض ) .

وإن الإفرنج كانوا يعتمدون إلى ما قبل عشر سنين<sup>(١)</sup> أن قدماء المصريين وثنيون ، ولكن زال  
هذا الاعتقاد - باكتشاف هذه الصيغة التى يعزها عدم وجود أصنام فى مقابر ذلك العهد القديم ،  
ثم قال : من أين أتى التوحيد لقدماء المصريين على هذه الصورة ؟ أتأمم التوحيد من نوح عليه  
السلام ، فقد كان موحداً بدليل قوله تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ﴾<sup>(٢)</sup>  
والخطاب للمسلمين الذين قدمنا عقيدتهم فى التوحيد ، وهنا يتجه اعتراض مؤداه إن الشرك  
كان شائعاً عند قدماء المصريين بدليل قوله تعالى : حكاية عن يوسف عليه السلام : ﴿ أرباب

(١) سابقة على سنة ١٩٠٧ .

(٢) سورة الشورى الآية ( ١٣ ) .



توت عنخ آمون و القناع الذهبي لموميائه .

### آى

انقطع نسل ملوك الأسرة الثامنة عشرة بوفاة توت عنخ آمون من غير عقب من الذكور . واعتلى العرش بعده الكاهن ( آى ) فترة وجيزة ، إذ كان موظفًا كبيرًا فى القصر الملكى ، وكان شيخًا كبيرًا طاعنًا فى السن ، فأهله هذه الظروف مجتمعة إلى اعتلاء العرش .

### حور محب

ومرت فترة ضعف واضطراب بدأت من أواخر عهد إخناتون . وكادت البلاد تقع فى هاوية الانقسام الداخلى والانحلال ، لولا أن قبض الله لها زعيمًا من عامة الشعب أهله مواهبه وشخصيته لتسلم زمام الأمور وإتخاذ الوطن ، وهو ( حور محب ) الذى كان من ضباط الجيش فى عهد إخناتون وقائد الجيش فى عهد توت عنخ آمون . ثم شغل المركز الذى شغله من قبل أمنمحات الأول .. ، فلقد برز أيضًا من صفوف الشعب وأنقذ مصر من الفوضى والانحلال ، وكلاهما كان عصاميًا . وكلاهما أسس ملكًا عظيمًا .

وتسمى باسم آتون فغير اسمه وسمى نفسه ( إخناتون ) أى سرور آتون بعد أن كان اسمه أمنحوتب وناصره قلة من قومه ، ولكن كهنة المعابد ، كهنة آمون حاربوه حربًا شعواء ، وانضمت إليهم غالبية الشعب ، فكان عهده عهد ثوران فى الخواطر وتبلبل فى الأفكار .

على أنه عنى بتقدم الفنون الرفيعة ، فكان عهده مهبداً للشأو الرفيع الذى بلغته فى عهد صهره توت عنخ آمون .

وجاء تراجع الدولة وتفككها فى عهده ، وتغلغل الحثثين فى الولايات السورية ، وسكون إخناتون عنهم ، وامتداد العنصيان إلى فلسطين ، فكانت هذه الأحداث مضغضة لدعوته الدينية . ولا غرابة فى ذلك ، فإن المصير السياسى للدول له الشأن الأول فى النجاح أو الإخفاق الذى يصبب الدعوات الدينية أو السياسية أو الاجتماعية فيها ، فلا عجب أن أخفقت دعوة إخناتون ، لأن كيان الدولة السياسى قد تصدع فى عهده ومات بعد أن حكم نحو تسعة عشر عامًا .

### خلفاء إخناتون

تزوج إخناتون بفتاة مصرية اشتهرت فى التاريخ ، وهى ( نفرتيتى )<sup>(١)</sup> فصارت ملكة مصر . ولم يرزق منها بأولاد ذكور ، وأنجبت له بنات .

### سمنخ كارع

ولما توفى إخناتون خلفه على العرش صهره وأخوه ( سمنخ كارع ) ، ولم يدم ملكه طويلا .

### توت عنخ آمون

وبعد وفاته خلفه ( توت عنخ آمون ) ، وهو صهر آخر لإخناتون ، وقد حكم نحو عشر سنوات . وتقدمت فى عهده الفنون ، والهندسة والعمارة ومظاهر الثراء والحضارة الرفيعة ، ومات فى سن مبكر إذ لم يتجاوز العشرين من العمر .

وهو الذى اكتشف مقبرته وكنوزه سنة ١٩٢٢ ، ذلك الاكتشاف الذى دوى صدها فى العالم ، وجعل اسم توت عنخ آمون فى الخالدين ، وصار على تعاقب السنين حديث الناس فى شتى أقطار المعمورة ، لما بدا على ذخائره من الروعة والعظمة ، وتجلى فيها مبلغ ما وصلت إليه مصر القديمة من الحضارة والتقدم فى الفنون الرفيعة ، وفى أساليب المعيشة وقوة العقيدة .

(١) هى أخت إخناتون وبنت أمنحوتب ( أمينوفيس ) الثالث ، وكان زواج الأخ بأخته فى الأسرات الملكية مألوفًا فى ذلك العصر .

وعقد مع ملك ( خيتا ) معاهدة ضمنت له استقرار الأمور مؤقتًا على الحدود ، وتفرغ لإصلاح الداخل ، حتى تستعيد البلاد قوتها وهبتها .

فنظم شؤون الجيش ، وسنّ القوانين الصالحة لمحاربة الرشوة والفساد في دواوين الحكومة ، وأصلح الأحكام ، ومنع الاختلاس والتهريب عند دفع الضرائب ، وطاف في أنحاء البلاد باحثًا عن الأشخاص الأكفاء الذين يمكن أن يأتمنهم على شؤون الحكم والعدل والقضاء بين المواطنين ، وعاد الأمان وعادت الظمائية إلى البلاد ، ومات بعد أن حكم ثلاثين عامًا .

كتب عنه الدكتور أحمد بدوي بعنوان ( حور محب أبو الشعب وصديق الفلاح ) ما يلي ضمن ما قال :

« كان يؤذيه ما رأى من حال الشعب ، فالفلاح المسكين قد أهل حاله واشتد بؤسه بعد أن تجرع مرارة العيش قبل أيام ( حور محب ) ، فشرب منها بالكثير وبالصغير .. ، فارتاع من حال الشعب ، وعزم على إصلاح شأنه وتأمين رزقه ، وتوفير سعادته ، فعمد إلى إصدار قانون ينظم حياة الأمة أملاه بنفسه على كتابه .

« ثم فرض على من يخالف القانون أشد أنواع العقاب والمها ، يستوى في ذلك لديه كبراء الأمة ، ومن كان صغيرًا ، فهو يحصى الفلاح من قسوة رجال الإدارة حين جمع الضريبة ، وحماه من أداء الضريبة مرة أخرى إن هي فقدت في طريقها إلى دواوين الدولة ، ونظم تحصيل الضرائب المفروضة على محاصيل الخضر المنزرعة في أرض التاج ، وتحصيل الضرائب من أرزاق الأرض وغلاتها جميعًا ، كما حدد القانون شروط تعيين القضاة في محاكم الدولة فاخترهم من أحسن الناس سيرة وأكرمهم خلقًا ، وأجرأهم قلبًا ، وأطهرهم لسانًا ، وأعفهم يداً ، وحرّم على القضاة أن يصادقوا أحدًا من الناس ، أو يتهادوا مع الناس ، أو تكون بينهم وبين الناس معاملات مالية .. وهكذا كان حور محب رجل حزم وعزم ، لا يلين في الحق ، ولا تأخذه في تنفيذ لومة لائم ، ردّ على القوانين المصرية حرمتها وجلالها ، فجنب البلاد شر الظلم ، وطهرها من آثار العبث ، وصفها من شوائب الباطل ، وليس أدل على حزم الرجل وصدق وفاته لشعبه من تصريحه حين إصدار القانون إذ يقول : « إني قد وضعت لضماني رفاهية شعبي » ، ثم يخاطب رجال حكومتنا أمرًا فيقول : نفذوا أوامري في تطبيق مواد هذا القانون ، فإني قد رأيت في هذه البلاد ظلمًا شديدًا ، ومن ذلك يتضح لنا أن حور محب كان مصلحًا ومشرعًا وقيمًا على تنفيذ ما أصدر من قوانين حريصًا على تطبيقها بالعدل .

وكان فوق ذلك كله إنسانًا قلّ أن نعرف له في تاريخ الملوك والمالكيين من آل فرعون نظيرًا<sup>(١)</sup> .

(١) أحمد بدوي في موكب الشمس ج ٢ ص ٦٨١ .



حور محب برز من صفوف الشعب

( حور محب ) من إقليم المنيا ، ولم يكن طامعًا ولا راعيًا في أن يؤسس أسرة ملكية ، ولأن يكون هو ملكًا ، ولذلك يُعد من الأسرة الثامنة عشرة ، وإنما مهد الأسرة التاسعة عشرة التي كان لها في تاريخ مصر القديمة شأن كبير .

تولى حور محب الملك لأن الظروف دفعته إلى ذلك دفعًا ، لإنقاذ البلاد من الهاوية التي تردت فيها ، فقد دخل طيبة زعيمًا لمصر وقائدًا لجيشها ، وتوج فيها ملكًا عليها .

فعاد إلى مصر الاستقرار الداخلي .

ولم يكن مؤيدًا لدعوة إخناتون الدينية ، ووقف في صف كهنة آمون ، فأيدوه وناصروه .

ومع أنه نشأ نشأة عسكرية ، وكان قائدًا للجيش فإنه قدم توحيد الجبهة الداخلية على خوض غمار الحرب .

على أنه حارب الحيثيين .



رجال الحكومة لقبائله في مدينة ثاروه القنطرة « واجتمعوا على رأس الجسر انشبه على القناة امنية الموصلة النيل بالبحيرات المرة ، وهناك شاهدوا الجرد المبرزين العالمين من القتال يملو بزخرفهم العبار ، وتندر عليهم علامات الصعب ، يقدمهم سبتي راكبا مركبه اخريه ، ليهيب الجميع بجباهه ، ولا وصل إلى طيبة أقيمت له احتفالات عظيمة أخرى .  
 واتبع الصراخ بينه وبين الجيشين بعقد معاهدة صداقة بينهما ظلت مرمية الجانب حتى وفاة حتى

وكان حد الدواك المصرية الذي يفصلها عن مملكة خيما عند نهر الكلب شمال بيروت .  
 وصد هجومًا للبيتين على حدود مصر الغربية وانصر عليهم .  
 وسار سيرة عدل وإصلاح ، ونشطت في عهده الفنون والعمارة ، واستمر في العمل الذي بدأ به رمسيس الأول في تشييد بهو الأعمدة العظيم في الكرنك .  
 ونفى في الحكم نحو تسعة عشر عامًا .

### رمسيس الثاني أو الأكبر

حكم ٦٧ عامًا ( من سنة ١٢٩٠ إلى ١٢٢٣ ق . م )

يعد رمسيس الثاني من أعظم ملوك مصر . وبلغ نحوتمس الثالث في الكفاية والشهرة .  
 قضى في الحكم سبعة وستين عامًا ، أي قرابة ثلاثة أرباع قرن ، تهر من أطول الملوك عهدها بالملك ، وقد ساعده ذلك على ذبوح شهرته بين ملوك مصر والعالم .  
 وهو ابن سبتي الأول ، تول الحكم وهو في نحو العشرين من عمره .  
 وكانت مملكة خيما ( الجيشين ) في عفران قوتها ، لم تحرم للماهدة التي أمرت فيها وين سبتي الأول ، بل احتفظها ذرية لخصمين ما وضعت يدها عليه من الأقاليم السورية .  
 وزحف ( بوتلق ) ملكها على وادي نهر الماصي ، واستولى على ( قادش ) مركز النفوذ في سورية منذ عهد نحوتمس الثالث .  
 وصارت هذه المملكة خطراً على مصر ، وخاصة بعد أن تم طالع النعاب على مملكة خيما في أعالي القرارت .  
 تول رمسيس الثاني الحكم ، ورأى الجيشين واضمن أيديهم على معظم الأقاليم السورية يتحدون مصر ويتاصرونها الماء لجمود جيشا طاربتهم .  
 واتبع رمسيس الثاني طريقة نحوتمس الثالث .

### انفصال الآشورين

#### رمسيس الثاني وحرابه الدفاعية

الأسرة التاسعة عشرة ( ١٣٠٤ - ١١٩٥ ق . م )

#### رمسيس الأول

كان رمسيس الأول زبيلاً جود عبي ، ووزيره الأول ، وهو أول ملوك الأسرة التاسعة عشرة وبنائه في مدينة صان الحجر ( تاقس ) بشمال الدلتا .  
 وأهم عمل رمسيس الأول أن بدأ في إنشاء بهو الأعمدة العظيم بالكرنك الباقي إلى الآن تماماً في مكانه ، والذي يعد نسج وحده بين آثار الفرعنة .  
 ولكنه لم يمت ، وترك إتمامه لابنه سبتي الأول وحفيده رمسيس الثاني .  
 ولم يعزم رمسيس الأول امتناع المسام وتجريد جيش بحرية الجيشين أعداء مصر الذين كانوا يحرشون بها ويختصمون أملاكها ، ولم يحرك ساكناً لضعفه واعتلال صحته ، وقتله في السن ، وقصر مدة حكمه .  
 وترك هذه المهمة لخالفاه من بعده ، ومات قبل أن يتم عاين ونفصاً في الحكم .  
 وترجع شهرته إلى شخصيته ورك أنه أنجب سلالة من الفرعنة العظام الذين كان لهم الشأن الكبير في تاريخ مصر القديمة ، وهم :

#### سبتي الأول

هو ابن رمسيس الأول ، وقد بدأ يستعيد بعض ما فقدته مصر في فلسطين وسورية ، وكانت مملكة خيما ( الجيشين ) هي العدو اللدود لمصر في تلك الجهات .  
 وقد ظلت مصر تبسط سادتها عليها منذ منتصف القرن الخامس عشر ق . م . في عهد نحوتمس الثالث حتى القرن الثاني عشر ، أي أن سلطان مصر ظل مسوطاً على سورية وللسلطن زهاء أربعة قرون .  
 جهز سبتي الأول جيشاً بحرية الجيشين ، واستعاد أكثر من ثلث أملاك مصر الآسورية ودلت له فلسطين وبنيتية وجنوب سورية ، ولم يكن يحارب الأهلين فيها ، بل كان يحارب جنود خيما ( الجيشين ) وأمواتهم .  
 وعاد سبتي إلى مصر بعد انصهاره في الأقاليم الآسورية فاستقبلته البلاد استقبال الظاهر ، وذهب

فبدأ أولاً بإخضاع الشاطئ البحرى ليتخذة قاعدة حربية لحركته ، لأن المواصلات البحرية كانت أسهل وأسرع من البرية .

ثم زحف بجيشه من مدينة ثارو - ( الفنطرة شرق ) ، وتولى بنفسه قيادة فيلق ( آمون ) فى مقدمة الجيش ، تتلوه فيالق : رع . وبتاح . وسوتخ . على التعاقب .  
وكان يبتدى حذو تحوتمس الثالث ، فسار فى الطريق القديم الذى سلكه تحوتمس ، ووصل إلى بلاد كنعان ، واتجه شمالاً متبعاً الشاطئ حتى شمالى بيروت ، ومن هناك توغل فى الداخل حتى بلغ وادى نهر العاصى .

### معركة قادش

التقى رمسيس الثانى بجيش الحيثيين فى العام الخامس من حكمه بالقرب من ( قادش ) على نهر العاصى ، وتقدر قوات الجيش المصرى بنحو عشرين ألف مقاتل ، عدا الجنود المرتزقة ، وجيش ( موتلى ) ملك الحيثيين يمثل هذا العدد ، وكلاهما عدد لا يستهان به فى ذلك العصر .  
وكانت المعركة فى المرحلة الأولى منها نصراً للحيثيين ، ذلك أن رمسيس لم يكن المكان الذى حشد فيه موتلى جنوده ، ولم يخبره أحد من ضباطه بهذا المكان ، وصدق ما قاله بدويان جاسوسان ادّعى أنهما هربا من جيش الحيثيين وزعما أن ( موتلى ) قد انسحب بجيشه شمالاً إلى حلب .  
والواقع أن هذه القصة كانت خديعة لاستدراج رمسيس إلى التقدم شمالاً .

فاعتزم رمسيس أن يسرع خلف عدوه ، وعبر على عجل ، ولم يتنظر حتى تتجمع بقية جيشه ، وسار لفتح قادش مطمئناً إلى خلوها من الحيثيين ، وتقدم مصحوباً بحرسه الخاص وحده تاركاً خلفه فيلق آمون يتبعه ، وكانت الفيالق المصرية الأخرى لا تزال متفرقة على مسافة ثمانية أو عشرة أميال من الطريق .

وعلم رمسيس أخيراً أن ( موتلى ) حشد قواته خلف قادش ، فى الوقت الذى كانت قوات رمسيس لم تعبر بعد نهر العاصى .

وعبر ( موتلى ) النهر جنوبى قادش ، قائداً جيشه اللجب ، فشطر فيلق رع شطرين .  
وكانت قوات ( موتلى ) راكبة مركباتها الخربية التى تزيد على الألفين وخمسمائة مركبة .  
بينما كان فيلق رع مكوناً من المشاة فقط .

وقد ظفر ( موتلى ) بالقسم الجنوبي من هذا الفيالق ، أما جنود النسب الآخر فارتدوا إلى



رمسيس الثانى - أو الأكبر

فى عفران شباه

عن تمثاله الموجود بمتحف تورين بإيطاليا ، ويعتبر  
أجمل تمثال يزين هذا المتحف

لم يكن رمسيس يحارب أهل هذه البلاد ، بل كان يحارب ملك خيتا الذى استعبد أهلها ، كانت حروبه ضد الحيثيين لا ضد السوريين مثلما كان يفعل تحوتمس الثالث فى حروبه الآسيوية ، فقد كانت مشبوبة على بقايا المكسوس لا على المواطنين .

خطر الذي أحدث بجيشه ، وبعد المسافة بينه وبين بقية هذا الجيش . فقد هجم بشجاعة نادرة على الجيشين المتدفقين عليه وركز هجومه على القسم الشرقي من قوات الأعداء ، فأوقع في قلوبهم زعج ، وأقام في النهر تحت أعين موتلى الذي وقف على الشاطئ المقابل مصحوباً بشمانية آلاف من مشاته .

وساق القدر إلى رمسيس حادثاً رجح كفته في ميدان المعركة ذلك أن الجيشين الذين أحاطوا بالمصريين من الجنوب والغرب لم يتابعوا هجومهم ، لاشتغالهم بالتهب والسلب ، فقد أخذوا يسلبون ما وصلت إليه أيديهم من مهمات المصريين ومتاعهم ، بدلاً من الاستمرار في تعقبهم ، واتفق في وقت اشتغالهم بالتهب أن وصلت إمدادات حربية مصرية آتية من الشاطئ ، وهي غير النبالق التي يتكون منها جيش رمسيس ، فانقضت هذه الإمدادات على الجيشين على غرة ، وأبادتهم عن آخرهم .

فكان ثبات رمسيس الثاني أمام المفاجأة الأولى ، وشجاعته في صد هجوم الجيشين ووصول هذه الإمدادات واشتراكها في القتال ، كل هذه الأسباب قد جعلت المعركة في مرحلتها الثانية نصراً مؤزرًا للجيش المصري .

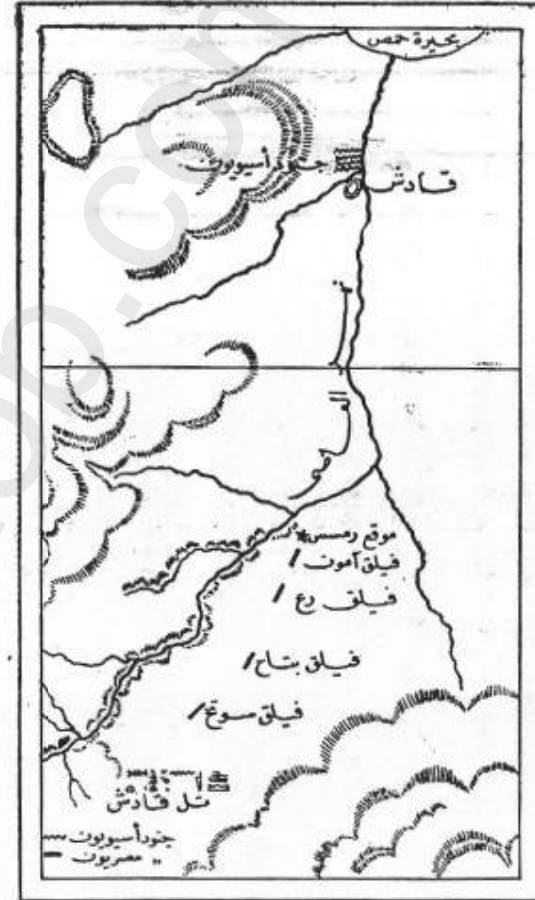
قال برستد في سياق وصفه للمعركة : « والمعروف أن المصريين دافعوا عن أنفسهم دفاع الأبطال حتى اضطروا ( موتلى ) أن يمد جنده بأخر رديف ، وهو المكون من ألف مركبة حربية مسلحة ، وبالرغم من هجوم رمسيس على أعدائه ست مرات فإن ( موتلى ) لم يرسل جنده للشاة الثمانية آلاف الذين كانوا معه على الشاطئ الشرقي لنهر العاصي ، ولذلك لم يحارب من الجيشين إلا قسم المركبات الحربية ، أما المشاة فلم يشتركوا في الكفاح ، ويلاحظ أن مقاومة رمسيس دامت حوالي ثلاث ساعات كان يراقب بلهفة في أثناءها ، وصول قواته الجنوبية التي لم تكون عبرت النهر بعد ، ولما مالت الشمس للمغيب لاحت في أفق السماء رهوس حراب فيلق بتاح لامعة مسرعة مكفهرة ، فابتسم لها محيياً رمسيس ، إذ علم بقرب نجاته . فوقع الجيشون بين قوتين مصريتين ، واضطروا أن ينسحبوا إلى قادش بعد ما تكبدوا خسائر جسيمة»<sup>(١)</sup> .

وإذ أدرك ملك الجيشين عظم الخسارة لحقت بجيشه فقد أرسل إلى رمسيس خطاباً يطلب فيه الصلح ، فوافق رمسيس على هذا الطلب ، ووقف القتال .

لم تكن معركة قادش معركة فاصلة ، ولم يستطع رمسيس أن يستولى على قادش ذاتها ، واتفق الطرفان على أن يحترم كل منهما حدود الآخر ، وهذا يدل على قوة مملكة الجيشين .

وعاد رمسيس إلى مصر . واقتصرت الدولة المصرية في آسيا على فلسطين ولبنان وجزء صغير من سورية .

(١) برستد - تاريخ مصر من أقدم العصور - المرجع السابق ص ٢٩٨ .



خريطة معركة قادش  
مقتبسة من خريطة برستد

معسكر رمسيس ودخلوه مبهوتين من المفاجأة ، ثم اقترب الجيشون من المصريين ، واتسعت مقدمتهم حتى طوّقت المعسكر المصري تماماً .

وفي المرحلة الثانية من المعركة تحول الموقف ، وكان النصر حليف رمسيس ذلك أنه على عظم

## معاهدة صلح وعدم اعتداء بين مصر وحيثا

( سنة ١٢٨٠ ق . م )

وثابر رمسيس على حروبه في آسيا عدة أعوام . ثم توفي موتلى ملك الحيثيين فخلفه أخوه ( خاتوسيل ) . ورأى من الحكمة أن يجارب مطامع آشور ، فأثر التحالف مع مصر ، وعقد مع رمسيس معاهدة صلح وعدم اعتداء .

وتعد هذه المعاهدة أقدم وثيقة من نوعها في تاريخ الشرق القديم ، بل في التاريخ الدولي العام .

وتوثقت الصداقة بين مصر وحيثا وقتاً ما .

وأكدتها صلة المصاهرة ، فقد زوّج ملك حيثا ( خاتوسيل ) ابنته لرمسيس الثانى ، وجاء زائراً لمصر ومعه ابنته وحضر الاحتفال البهيج فى طيبة بتأهيلها لرمسيس .

على أن رمسيس فى حروبه الآسيوية لم يصل إلى ما بلغه تحتمس الثالث .

وبالرغم من هجوم سبتى الأول ، وحروب رمسيس الثانى ، لم تتجاوز حدود مصر الآسيوية فلسطين وسورية الجنوبية ، واستحال على المصريين أن يحكموا سورية ثانية حكماً مستمراً .

ويبدو الفرق جلياً بين رمسيس الثانى وتحتمس الثالث ، فتحتمس الثالث كان من أبطال الحرب والكفاح ، على حين كان رمسيس أميل إلى السلم ، ولم يكن على كفاءة تحتمس فى قيادة المعارك ، فإن تسرعه فى معركة قادش كاد يورده مورد الهلاك ، لولا تدخل القدر فى المعركة .

وقد تزوج رمسيس الثانى فى حياته الطويلة بزوجات كثيرات ، عدا المحظيات والزوجات الثانويات ، كما تزوج من ثلاث من بناته ، ورزق بأولاد بلغ عددهم ٧٩ من الذكور و ٥٩ من البنات ، فزاد أولاده وبناته على ذرية أى ملك مصرى آخر<sup>(١)</sup> .

وعظم النفوذ السامى بمصر وقتئذ ، ثم ظهر الأوريون لأول مرة فى تاريخ مصر القديمة ، فأنزلوا جنودهم على ساحل غربى الدلتا ، واتحدوا مع الليبيين على اقتحام الوجه البحرى ، فصدتهم جيش ( منفتاح ) ولبعدهم إلى بلادهم الأصلية كما سيرد ذلك فى الفصل التاسع ، ثم اضطرت أحوال القطر المصرى بعد ذلك فسقطت الأسرة التاسعة عشرة .

وكانت طيبة عاصمة العالم المتمدن فى ذلك العصر ، وشغلت هذا المركز قبل روما بألف عام<sup>(٢)</sup> .

(١) أحمد فخري : مصر الفرعونية ص ٣٥٦ .

(٢) موريه Moret مصر الفرعونية ص ٣٦٩ .

## ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢

### تكريم رمسيس الثانى

فى سنة ١٩٥٥ نقلت حكومة الثورة تمثال رمسيس الثانى الضخم الذى كان ملقى على الثرى فى ميت رهينة منذ آلاف من السنين واقامته على قاعدة جرانيتية فخمة وسط ميدان من أكبر ميادين العاصمة ، وهو ميدان باب الحديد ، وأسمنته ميدان رمسيس ، وأسمنت الشارع المؤدى له شارع رمسيس ، فصار هذا التمثال رمزاً لعظمة مصر القديمة ، يشاهده القادمون إلى العاصمة من داخل القطر وخارجه .

وإن فى إقامته فى هذا المكان تكريماً وتقديراً لرمسيس العظيم .

### أمجاد رمسيس الثانى البنائية



معبد الرمسيوم بالقرنة (بالبر الغربى للنيل)

إنها منشآت ضخمة شيدها رمسيس الثانى فى مناطق عديدة بالوجه القبلى والوجه البحرى ، والتوبة .

ولا يوجد ملك من ملوك مصر له مثل هذا العدد من العماثر الشاهقة ، ولعلها كانت ولم تزال السبب فى ذبوع اسمه ورفعته شأنه بين ملوك مصر قاطبة .

فقد أسس مدينة ( بر رمسيس ) بشمال الدلتا ، ومكانها الآن على أرجح الآراء فى ( قنتيرة ) الحالية بمركز فاقوس الآن .



وحسبنا أن نذكر معابده العديدة التي شيدها، تلك المعابد التي هي من مفاخر مصر القديمة ، وكان لها الفضل الأكبر في تخليد اسم رمسيس ، وهي رمز خالد لما كانت عليه مصر من حصرة وعظمة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

ولقد شيد لنفسه معبداً ضخماً رائعاً بالبهر الغربي للتيل بطيبة يعرف بالرمسيوم ، ( ص ١٣٦ )  
وصرحاً شامخاً بمعبد القصر .

وأتم تشييد البهو الكبير ذى العمدة العظيمة في معبد الكرنك ، وهو الذي بدأ إنشائه في عهد رمسيس الأول ، ثم سبى الأول ، وأتمه رمسيس الثاني ، ويعد من أعظم عمائر معالم القديمة والحديثة ، والباقي إلى اليوم ، ويبلغ ارتفاع أوسط هذا البهو أربعة وعشرين متراً ، وسقفه مرفوع على عمد ضخمة عددها ١٣٤ عموداً ، يتجاوز قطر الواحد منها عشرة أمتار ( انظر ص ١٣٧ ) .

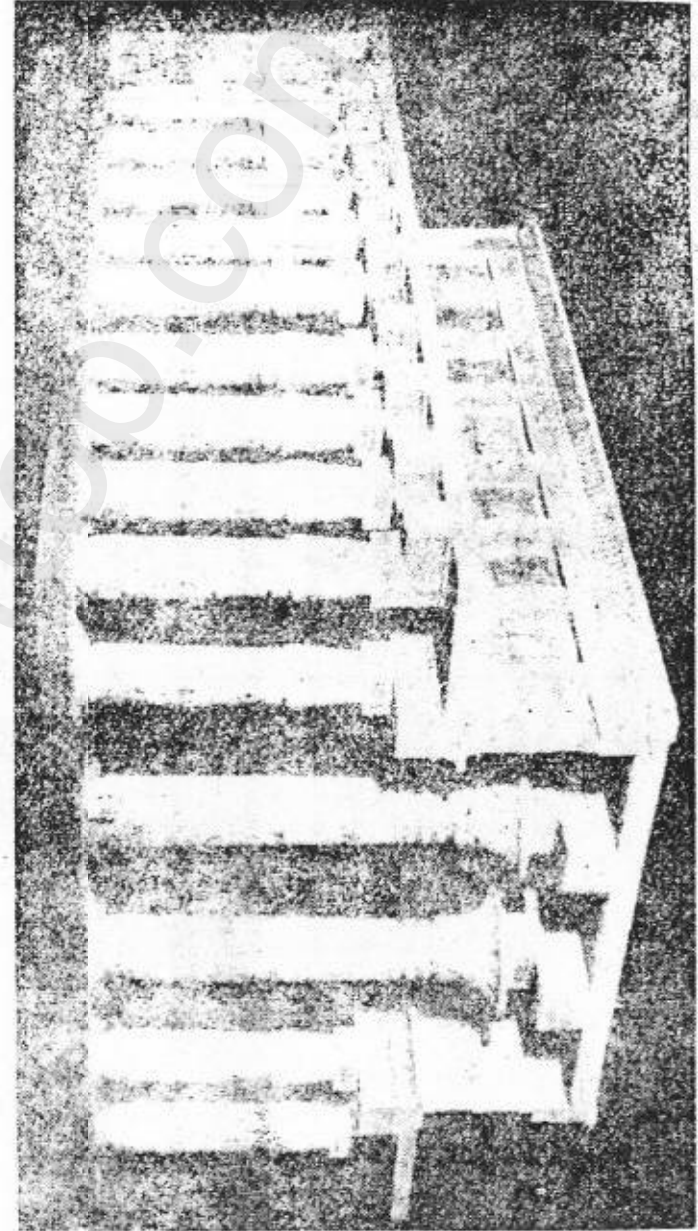
يقول ( برستد ) يصف بهو الأعمدة الكبير بالكرنك : « إن هذه الساحة أعظم العمارات تأثيراً في النفوس ، وقد وافق هلى هذا الأستاذ رسكن Ruskin حيث قال : « إن أقل ما يقال عن هذه الساحة أنها ضخمة شاهقة لدرجة تؤثر كثيراً في نفس ناظرها ، فإذا وقفت بجوار عمدتها والقيت بنظرك على تلك العمدة العديدة الشامخة المعتبرة أعظم أعمال البشر ، وأمعنت في رعوسها الباسقة الحاملة لصحن المعبد ، نقول : إذا لاحظت أن مسطح قمة كل عمود يسع ما يقرب من مائة رجل ، وأن جذر هذه الساحة تسع فيما بينها كيسة نوتر دام Notre Dame بباريس ، ويبقى منها مكان فسيح ، وإذا نظرت إلى باب ذلك المعبد العظيم البالغ طول عتبه أربعين قدماً وزنتها مائة وخمسين طناً تقريباً ، إذا تأملت كل ذلك لا يسعك إلا الإعجاب والإشادة بأعمال ذلك العصر الذي شيد رجاله أعظم ساحة ذات عمد أقامها البشر على ظهر البسيطة إلى الآن<sup>(١)</sup> ، وإذا كان تأثير السائح من ضخامة هذه الساحة أكثر من تأثيره بجمالها ورواقها ، فليذكر أن العمال الذين شيدها قد شيدها أيضاً معبد رمسيس المعروف بالرمسيوم الذي لا يقل في الجمال والكمال عن أحسن عمارات الأسرة الثامنة عشرة<sup>(٢)</sup> .

### معبد أبو سمبل

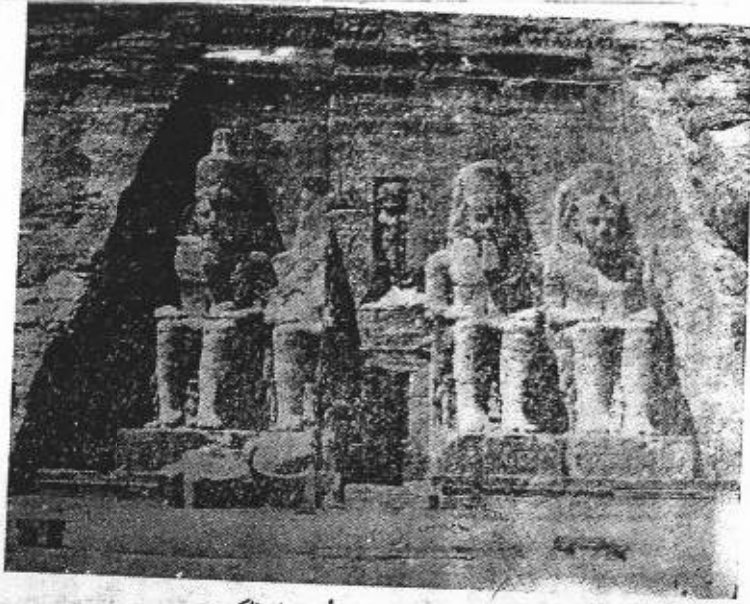
وشيد رمسيس الثاني معابد في النوبة .  
أهمها معبد ( أبو سمبل )<sup>(٢)</sup> أعظم وأجمل آثار رمسيس الثاني بالنوبة ، وقد نحنا في الصخر الذي يتكون منه الجبل ، بدلا من إقامتهما من الحجر ، فجاء آية في الروعة والضخامة والخلود على الزمن . ويقعان على شاطئ النيل .

(١) و ( ٢ ) برستد : تاريخ مصر من أقدم العصور . المرجع السابق ص ٣٠٣ .

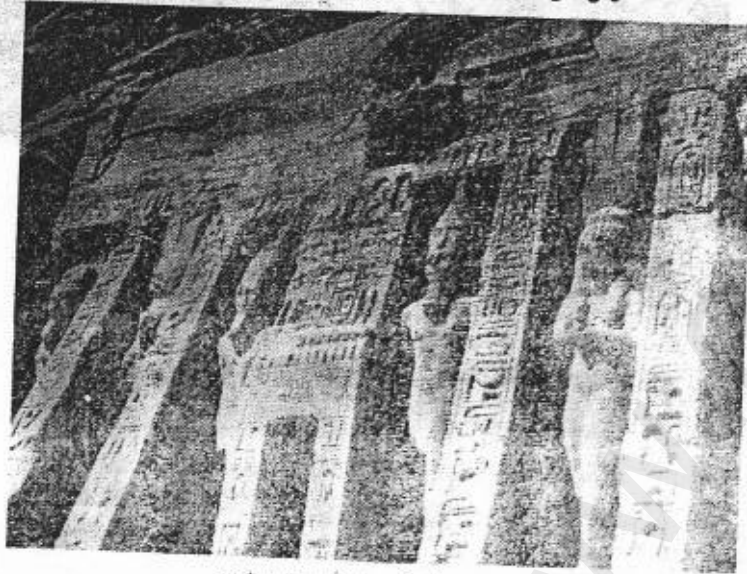
(٢) على بعد ٢٨٠ كيلو متراً جنوبي أسوان .



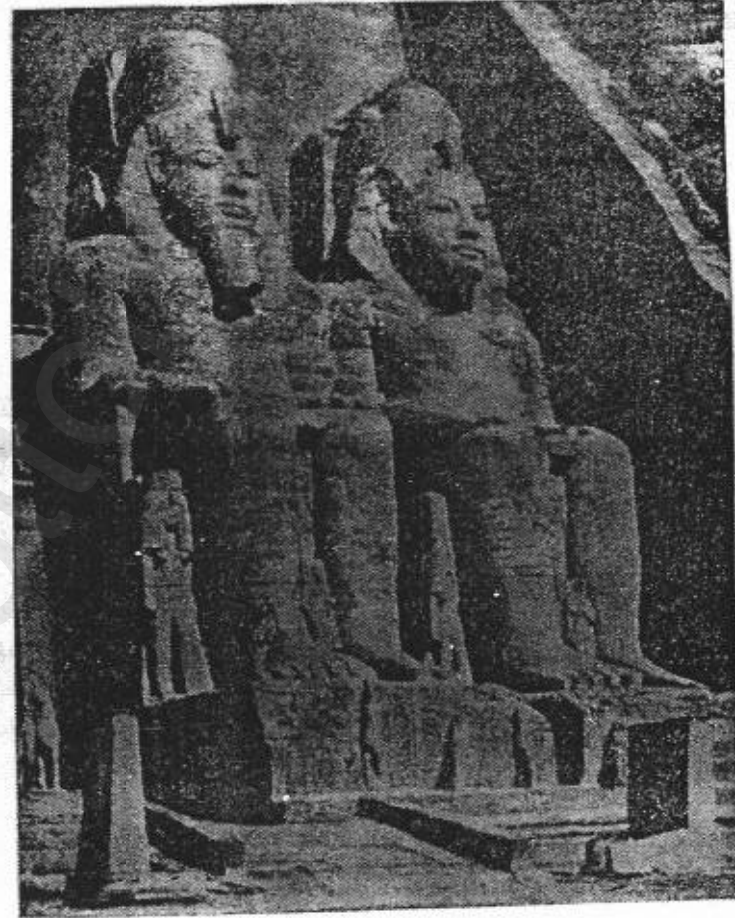
النهر الكبير ذو العمدة العظيمة بالكرنك ، ويبلغ ارتفاع الأعمدة العظيمة الخلاله تجاوزها بأكثر من ٨٠ قدماً ، وعميقها ٣٣ قدماً ، أما الأعمدة الرابطة المحورة تجاوزها على حدة الرامس (زهر النبات قبل أن يفتح) يبلغ ارتفاعها نحو ٤٣ قدماً



واجهة معبد (أبو سمبل الكبير)  
وعلى كل جانب من مدخل المعبد تماثلان هائلان لرئيسي الثاني جالسا



واجهة معبد (أبو سمبل الصغير)



التمثالان الهائلان لرئيسي الثاني جالسا  
بمدخل معبد (أبو سمبل) الكبير  
ارتفاع كل منهما عشرون مترا  
( انظر صورة مدخل المعبد جمائله الأربعة ص ١٤٦ )

وعلى صالة الأعمدة صالة أخرى تحتوي على أربعة أعمدة مربعة ، وفي جوانب هذه القاعة عدة غرف لحفظ القرابين ، وعلى ذلك قدس الأقداس حيث تشاهد في نهايته التماثيل الربعة لبتاح بامون ورمسيس وحمور أختي ، وتبلغ المسافة بين هذه التماثيل ومدخل المعبد ٦٣ متراً . أما المعبد الصغير فقد بناه رمسيس لعبادة المعبودة (حتحور) ، ويعرف بالمعبد الصغير أو معبد نفرتاري ، وتقع على مسافة نحو ١٥٠ متراً من شمال المعبد الكبير ، وقد نحته رمسيس الثاني أيضاً في الصحراء ، ويزين واجهة هذا المعبد ستة تماثيل أربعة منها لرمسيس الثاني ، والاثنان الآخران زوجته المفضلة الملكة نفرتاري ( ص ١٤١ ) .

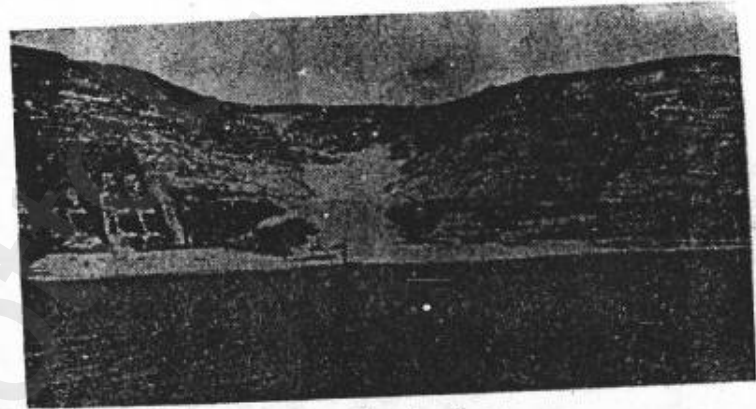
وقد استرعت هذه الآثار الخالدة أنظار العالم ، وبخاصة بعد أن تقرر إنفاذ مشروع السد العالي ، ويؤدي هذا المشروع أن تغمر مياه النيل مساحات واسعة من الأراضي ومنها البلاد القائمة فيها هذه الآثار ، فاهتمت الهيئات العلمية في مختلف البلدان بضرورة العمل على إنقاذ تلك الآثار لأنها ليست ملكاً لمصر وحدها بل تخص التراث الحضارى للإنسانية جمعاء .



الملكة نفرتاري  
زوجة رمسيس الثاني المفضلة  
كما تبدو منقوشة على جدران معبد ( أبو سمبل ) الكبير

وعلى مدخل المعبد الكبير من اليمين تماثلان هائلان لرمسيس الثاني جالساً يبلغ ارتفاع كل منهما عشرين متراً ( ص ١٤٠ ) ، وفي الجانب الأيسر من مدخل المعبد تماثلان هائلان آخران بنفس الارتفاع أحدهما قد كسر جزؤه ( العلوى ص ١٤١ ) . وقد بناه رمسيس لعبادة المعبود ( حمور أختي ) ، ويبلغ ارتفاع واجهة هذا المعبد ٣٣ متراً ، وفوق بوابة المعبد تحت تماثل المعبود ( حمور أختي ) ، وبجانب أرجل التماثيل الهائلة الأربعة على المدخل أو بينها ، توجد تماثيل لعائلة رمسيس الثاني ، كأمه وزوجته المفضلة نفرتاري ، وبعض بناته وأبنائه .

وعندما يدخل الزائر مدخل المعبد يشاهد صالة الأعمدة الضخمة التي تحتوي على ثمانية أعمدة على الوجه الأمامي لكل منها تماثل ضخم لرمسيس الثاني .



معبد ( أبو سمبل ) الكبير والصغير  
على شاطئ النيل  
الصغير إلى اليمين والكبير إلى اليسار

أما سقف الصالة فمزين تارة بالصقر المجنح وتارة بالنجوم ، وعلى جدران الصالة الأعمدة مناظر معركة ( قادش ) التي نشبت بين رمسيس والحيتيين ، ويشاهد الجيش المصرى وهو يزحف نحو المدينة ، والمعسكر المصرى وقد اكتظ بالجند والمركبات الحربية ، ومنظر الاسيرين اللذين أمسكت بهما القوات المصرية وهما يجلدان ليعترفا بمواقع جيش الحيتيين ، ثم رمسيس الثانى وهو يعقد مجلس الحرب ، ثم التحام الجيشين ، وانقضاء رمسيس الثانى بمركبته الحربية على العدو لذى أحاط به ، كما يشاهد الزائر مدينة قادش والجيش الحيتي وهو يتقهقر .



وكان رمسيس يعامل العمال الذين اشتغلوا في إقامة هذه المباني الضخمة معاملة إنسانية نعموا في خلالها برغد العيش وعاشت طبقات الشعب في عهده عيشة رخاء .  
وتوفي رمسيس الثاني حوالي سنة ١٢٢٥ ق . م وقد بلغ من العمر نيفًا وتسعين سنة ، وكانت وفاته في السنة السابعة والستين من حكمه ، وقد استمر عشرة فراعنة يسمون أنفسهم باسمه بعد وفاته .

## الفصل التاسع

### الدفاع عن كيان مصر في عهد خلفاء رمسيس الثاني

أخذ جيران مصر في أواخر عهد رمسيس الثاني ، يتطلعون إلى انتقاصها من أطرافها ، وخاصة حين تقدمت به السن وضعفت لديه الرغبة في الحرب والهيحاء ، على أنهم ظلوا ساكتين تهيأ من سطوته وبطشه ، فلما مات أخذوا يتحرشون بمصر .  
وفي الحق إن خلفاء رمسيس الثاني قد صمدوا لهذا التحرش ومأخذه من هجوم ، وقاموا بواجبهم في النضال عن كيان الوطن ، ودافعوا عنه بكل ما أوتوا من حول وقوة .  
وفي ذلك يقول موريه : « في مدى مائة وخمسين عامًا تقريبًا ( من سنة ١٣٠٩ إلى سنة ١١٦٨ ق . م . ) من عهد رمسيس الأول إلى الثالث قد أدهشت مصر العالم الشرقي بتفوقها في القوة الحربية وبارتقاء حضارتها التي لم يستطع الهمج أن يتألوا منها . »<sup>(١)</sup>

### منفتح

هو ابن رمسيس الثاني ، ولم يكن صغير السن حين آل إليه الملك ، بل كان في نحو الستين من عمره .

### منفتح يصد الغارات عن مصر

وفي عهده تأمر الليبيون<sup>(٢)</sup> وقرصان بحر الأرخيبيل على مهاجمة مصر من الغرب .  
فانبرى لهم ( منفتح ) وجرده عليهم جيشا صد هجومهم ، وكسرهم في غرب الدلتا وأوقع بهم هزيمة كبيرة أسفرت عن قتل عدة آلاف من المغيرين وأسر أخرى منهم ، فأمنت مصر شر الغزو الليبي .  
أما من جهة الشرق فلئن ظلت العلاقات ودية وقتًا ما بين مصر و ( الحيشيين ) تنفيذًا لمعاهدة الصداقة التي عقدت بينهما سنة ١٢٨٠ ق . م . منذ نحو ست وأربعين سنة ؛ فإن هذا الود ؛ يدم طويلاً .

(١) موريه Moret مصر الفرعونية ص ٣٢٦ .

(٢) في معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٧ ص ٣٤ عن ليبيا أنها ( لوبية ) وينسب إليها ( لوبى ) .  
أما تنطق الآن ليبيا ( المملكة الليبية المتحدة ) . وقد جربنا على هذا النطق .



صخور النوبة على شاطئ النيل



فمنفتح بالرغم من كبر سنه أظهر مضاء في العزيمة وقوة وصلابة في الكفاح ، واستحق  
إعجاب لصدده المهجمات الأجنبية عن مصر من الشرق والغرب . ومات بعد أن حكم نحو  
عشر سنوات .

### سيتي الثاني

لم تقع في عهده أحداث تستحق الذكر ، وقعت في البيت المالك انقسامات أودت  
بالأسرة التاسعة عشرة .

### الأسرة العشرون

( ١١٩٥ - ١٠٨٠ ق م )

#### رمسيس الثالث

اعتبر المؤرخ ( مانيتون ) رمسيس الثالث مؤسساً للأسرة العشرين .  
وقد عنى هذا الملك بإصلاح نظام الجيش ليكون عدته في الدفاع عن البلاد .  
وصدَّ غارة لسكان البحر المتوسط ، ونازلهم بأسطوله على شواطئ فينيقية فأوقع بهم ،  
وغرقت سفن كثيرة من سفنهم ، وأتقذ مصر من هذا الغزو الذي كان شبيها بغزو الهكسوس ،  
لولا أن سحقه رمسيس الثالث ، فاستحق الثناء العظيم على شجاعته في ردِّ العدوان الخارجي  
الغادر .

واستردت مصر بفضل هذا الدفاع نفوذها في جزء من سورية وفي فلسطين

وصدَّ هجوماً آخر لليبيين وحاربهم وهزمهم .

وحكم البلاد إحدى وثلاثين سنة .

ويعتبر آخر الفراعنة العظام من المحاربين في تاريخ الأسرة العشرين .

وتبع رمسيس الثالث في الحكم تسعة من الملوك سموا باسم رمسيس ، من رمسيس الرابع  
إلى الحادى عشر ، ولكن ليس فهم همه رمسيس الثانى ولا مضاء عزيمته ولا نباهة ذكره .

### الأسرة الحادية والعشرون

وتبعتها الأسرة الحادية والعشرون ، فحكمت نحو مائة وخمسين سنة ، وكانت عاصمة

البلاد في عهدها تانيس ( صان الحجر ) .

ولم يقع في عهد هذه الأسرة حادث يستحق الذكر ، وخيم على البلاد جو من الخمول

والترجع والانتكاس .



منفتح

ابن رمسيس الثانى وخليفته فى الحكم

فقد تبين أن الحثيين عاودتهم أطماعهم وعداوتهم القديمة ، وساعدوا قرصان بحر الأرخييل،  
على شنِّ الغارة على مصر .

ولم يكتفوا بذلك ، بل أوقدوا نار الفتنة فى الأقاليم السورية الخاضعة لمصر ، فهبت فيها  
وفى فلسطين اشتركت فيها قبائل بنى إسرائيل .

فانبرى لهم منفتح فى السنة الثالثة من حكمه وحاربهم وقمع هذه الفتنة وأمن حدود مصر  
الشرقية .

## الأسرة الثانية والعشرون

( سنة ٩٥٠ - ٧٣٠ ق م )

وظلت البلاد تعاني مرارة الفوضى والانقسام ، حتى قام زعيم يدعى ( شيشنق ) وأسس الأسرة الثانية والعشرين .  
وقام هذه الأسرة راجع إلى ضعف الأسرة الحادية والعشرين وإلى وفاة آخر ملوكها وانقراض ذريتهم .

### شيشنق الأول Sheshonk

هو الذى زعم بعض المؤرخين أنه لىبي ، وأنه أسس أسرة لىبية ، وأن اللبيين حكموا مصر فى عهده وعهد خلفائه .

والصحيح أنه وإن كان أصله البعيد يرجع إلى ليبيا ، لكن أسرته تمصرت منذ أن استوطنت مصر من عدة أجيال مضت وسكنوا أهناسيا المدينة ، وصاروا من المواطنين المصريين ، وتقلد كثير منهم مناصب الدولة ، وأظهروا فيها إخلاصاً لوطنهم .



شيشنق الأول  
مؤسس الأسرة الثانية والعشرين

فلا يصح القول بأن هذه أسرة لىبية وأن اللبيين حكموا مصر ، بل الصحيح أنها أسرة مصرية اندمجت فى المواطنين فصارت منهم ، شأنها فى ذلك شأن بعض الأسرات المالكة التى تولت الحكم ولا تزال تتواله فى بعض البلاد الأوروبية ، ويرجع أصلها البعيد أو القريب إلى سلالة أجنبية ، ولم يقل أحد إن هذه البلاد يحكمها الأجانب أو أشباه الأجانب ، فما يرى على أوروبا يسرى على مصر .

وفى ذلك يقول الدكتور أحمد فخري : « من التجنى على التاريخ أن يسمى وجود أفراد هذه الأسرة على عرش البلاد أنه استعمار لىبي ، أو أن مصر فقدت استقلالها وأصبحت محكومة بغير نياتها ، ففى كثير من بلاد الأرض فى الأزمان الغابرة وفى وقتنا الحاضر عائلات ملكية من أصل أجنبى ولكن لم يقل أحد إن إنجلترا محكومة بالأمان أو أن اليونان وبلجيكا وهولندا وغيرها مستعمرات ألمانية ، أو أنها فاقدة لاستقلالها لأن ملوكها الحاليين من أصل ألماني غير وطني » (١) .  
كان تولى ( شيشنق ) العرش برضا الأهلىين ، ولم يجد أى معارضة منهم ، وقد اتخذ تل بسطة ( الزقازيق الحالية ) عاصمة للملكه .

حقاً إن كهنة آمون فى طيبة لم يرتاحوا لجلوسه على العرش ، خوفاً على سلطاتهم وامتيازاتهم ، ونقموا منه تعيينه أحد أبنائه فى وظيفة الكاهن الأكبر لآمون ، وغضبوا لذلك ، ورحلوا إلى نياتا بالنوبة ، وأسسوا فيها أسرة حاكمة ولكن هؤلاء الكهنة لم يكونوا فى معارضتهم يمثلون الشعب .  
اعتبر مانيتون شيشنق مؤسس الأسرة الثانية والعشرين التى حكمت نحو قرنين ونصف حكماً حازماً .

وكان حريصاً على وحدة مصر واستقلالها ، عاملاً على رفعة شأنها ، وقد أعاد إليها الأمن والنظام ، وسعى جاهداً فى أن يسترجع لها عظمتها ومجدها وهبتها فى الخارج .  
وقد زوج ابنه وولى عهده ( أوسركون ) بابنة آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين ، وبذلك خلع عليه الدم الفرعونى .

وأخذ يسيطر نفوذ مصر على فلسطين حتى جعل سيادة مصر فيها فعلية ، بعد أن تراخت فى عهد الأسرة الحادية والعشرين بل منذ وفاة رمسيس الثالث ، واستولى على بعض المدن التى كان يحتلها اليهود .  
وغزا فلسطين كلها تقريباً ، واستولى على أورشليم ( بيت المقدس ) ، فجدد ؛ بذلك عهد فراعنة مصر الأقدمين .

وفى ذلك يقول برستد : « وهكذا أرجع شيشنق لمصر لأمد قصير بعض مجدها القديم الذى

(١) أحمد فخري مصر الفرعونية ص ٣٩٦ .

شاهدته الإمبراطورية في عهد الأسرة التاسعة عشرة لما أخذت ترد على خزائنها جزيرة الأقاليم الواسعة الممتدة من شمالى فلسطين شمالاً إلى أعالي النيل جنوباً<sup>(١)</sup> .

ورود ذكره فى الثورة باسم ( شيشق ) بالإصحاح الرابع عشر بالآية الخامسة والعشرين . ومات حوالى سنة ٩٢٠ ق م . بعد أن حكم مصر ٢١ سنة .

وخلفه ابنه ( أوسركون ) الأول فاتبع سياسة أبيه .

وتلاه ملوك آخرون من أسرة شيشق ، إلى أن أضمحل شأنهم وتفككت الجبهة الداخلية فى عهد أواخرهم .

وفى أواخر عهد هذه الأسرة ظهر الخطر الآشورى على مصر .

### الأسرتان الثالثة والعشرون والرابعة والعشرون

ناصر كهنه آمون ، ملوك الأسرة الثانية والعشرين العلاء ، وأقاموا ملكاً بدلهم ، فأسس الأسرة الثالثة والعشرين ، وتنازع أمراء البلاد السلطة وضعف شأن الحكم .

وظهر أمير يدعى ( تفتخت ) Tafnakt حاكم سايس ( صا الحجر ) غربى الدلتا<sup>(٢)</sup> ، وأسس الأسرة الرابعة والعشرين ، وتنازع الملك مع منافس له ، فازدادت البلاد ضعفاً . إذ صار فيها بيتان مالكان .

### قانون بوخوريس Bochoris

بدأت مصر منذ فجر التاريخ بنظام قانونى أصيل هو أقدم نظام عرفته الإنسانية ، وقد استمر هذا النظام قائماً أكثر من أربعين قرناً ، ولا يوجد له مثيل فى تلوخ الأمم الأخرى ، ولكنه لم يجاوز المرحلة التى وصلت إليه جميع الشرائع القديمة ، وهى مرحلة التدوين أو التقنين أى وضع القوانين فى صيغ محددة ونشرها على الناس<sup>(٣)</sup> .

ولما تولى الحكم بوخوريس بن تفتخت مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين لم يحكم سوى أربع سنوات ، وقد وضع قانوناً يسمى ( قانون بوخوريس ) عام ٧٤٠ ق م . أدخل فيه كثيراً من الإصلاحات والتعديلات على القانون القديم . وأتى فيه بجديد ، وأخرج قواعد القانون عن دائرتها الدينية وأضفى عليها طابعاً مدنياً .

ويعتبر هذا القانون المرحلة الأخيرة التى وصل إليها تطور القانون المصرى فى عهد الفراعنة ،

(١) برستد - تاريخ مصر من أقدم العصور . المرجع السابق - ص ٢٥٩ .

(٢) مكانها الآن قرب كفر الزيات . وهى غير صا الحجر ( قنيس ) .

(٣) عمر ممدوح مصطفى ، أصول تاريخ القانون ص ٥ .

وقد أشاد الإغريق بمكانة بوخوريس من هذه الناحية واعتبروه أحد عظماء المشرعين فى مصر القديمة .

ومن أهم اصطلاحات بوخوريس أنه نظم المعاملات على أساس حرية التعاقد ، ولم يبق فيها أثر للشكلية القديمة .

وفى الأحوال الشخصية ساوى بين الرجل والمرأة ، ومنحها حقوقاً لم تتمتع بها المرأة اليونانية ولا الرومانية ، وبقي الطلاق من حق الزوج وأصبح للزوجة بحكم مبدأ حرية التعاقد أن تشتترط أن يكون لها الحق فى فسخ عقد الزواج أو ما يدرا عنها خطر الطلاق ، كأن تحصل على إقرار من الزوج بمبلغ معين يلتزم به كنفقة حين الطلاق ، أو تتفق معه على شرط جزائى ، فيقوم الزوج بدفع مبلغ من المال إذا طلق زوجته .

وظل تعدد الزوجات مباحاً ، وحرم فقط على الكهنة ، ولكن الزوجة تستطيع أيضاً أن تنص فى عقد الزواج على الألباح للزوج أن يتزوج من أخرى وبذلك كان يتعذر على الزوج أن يتخذ أكثر من زوجة واحدة<sup>(١)</sup> .

### الأسرة الخامسة والعشرون

#### بعنخى Biankhi

كانت البلاد فى حاجة إلى منقذ يستخلصها من الفوضى والانقسامات ، ويعيد إليها وحدتها . لم يكن هذا المنقذ سوى الشاب ( بعنخى ) الذى أتقذ من ( نباتا ) على الشلال الرابع جيشه لاستخلاصها من الهاوية التى تردت فيها .

و ( بعنخى ) هذا هو الذى زعم بعض المؤرخين الأجانب أنه أثيوبى ، وأنه أسس أسرة أثيوبية ، وأن أثيوبيا حكمت البلاد فى عهده وعهد أسرته .

والصحيح أنه من النوبة ، والنوبة جزء لا يتجزأ من مصر ، وكانت ثقافتها مصرية ، وديانتها مصرية من عهد الفراعنة الأقدمين ، هذا إلى أن أصل أسرته من كهنة ( طيبة ) الذين هاجروا إلى الجنوب .

وكانت ( نباتا ) حصناً من حصون مصر الجنوبية فى زمن ( امنحوتب الثانى ) ، وكان لكهنة آمون الكلمة النافذة فيها ، وسبق أن أسسوا بها أسرة حاكمة .

حارب بعنخى جيش الأمير ( تفتخت ) حاكم بلدة سايس ( صا الحجر الحالية ) بمرکز كفر الزيات الآن الذى ادعى أنه الأحق بالملك ، وذهب بنفسه إلى طيبة ليقود جيشه ، وسار منها شمالاً حوالى سنة ٧٢١ ق م . واستولى على صعيد مصر ، ودانت له مدنه مدينة تلو الأخرى .

(١) عمر ممدوح مصطفى : أصول تاريخ قانون ص ٢٢٧ .

## الفصل العاشر

### تحرير مصر من الاحتلال الآشوري

كانت الدولة الآشورية من أقوى دول ما بين النهرين ( دجلة والفرات ) ، وعاصمتها ( نينوى ) .

وقد اتجهت أطماعها الاستعمارية إلى غربي آسيا في القرن التاسع قبل الميلاد .  
ولما جلس ( سرجون ) الثاني على عرش هذه الدولة حوالي سنة ٧٢٢ ق . م . تفاقمت أطماعها ، وكانت مصر قد أمّدت الأهلين في فلسطين وسورية ليقاوموا الغزو الآشوري .  
فنقم منها ( سرجون ) هذا الموقف ، وزحف على فلسطين ومنها إلى مصر ، فبلغ ( رفح ) ووصل إلى الحدود المصرية ، والتقى بقوات مصرية تعاون الفلسطينيين ، فردّته على أعقابها ورجع عن محاولة غزو مصر .

وبعد موته جلس ابنه ( سنحريب Senahrib ) على عرش آشور ، فقرر أن يغزو فلسطين ، ووقفت مصر تؤازرها وأرسلت إلى الحدود جيشًا بقيادة ( طهارقه ) .

وجاء سنحريب يهاجم مصر ، ففضى الطاعون في جيشه فارتد عنها ، ولم تعاوده فكرة مهاجمتها ، وعاد إلى بلاده ومات مقتولا في الطريق بيد أبنائه سنة ٦٨١ ق . م .

فتولى بعده ابنه ( أسر حدون ) ، وتولى طهارقه في العام نفسه عرش مصر ، فأعدّ العدة لمقاتلة الآشوريين إذا حدثتهم أنفسهم بغزو مصر .

وانتقل من طيبة إلى صان الحجر ( تاتيس ) ، ليكون على مقربة من حدود مصر الشرقية ، وليستعد لصدّ الهجوم الآشوري إذا وقع ، وأخذ يثابر على تخريص الفلسطينيين على الثورة على آشور .  
فتقدم ( أسر حدون ) نحو مصر عن طريق سيناء ، وساعده بدو الصحراء الذين أمّدوه بالإبل تحمل المؤون والماء لجنته ، وأرشدوه إلى مسالك الطريق حتى بلغ وادي الطميلات ، وسار في زحفه .

وقاومه طهارقه مقاومة بأسلة ، ولكن قوات ( أسر حدون ) غلبته على أمره ، واستمر في هجومه حتى بلغ ( منف ) واستولى عليها .

وارتد طهارقه جنوبا حوالي سنة ٦٦٧ ق . م .

ثم لم يلبث أن عاد إلى الشمال ، وهزم الحامية الآشورية واسترد منف .  
وعاد ( أسر حدون ) إلى مصر يريد احتلالها ، ولكنه مات في الطريق فخلقه على عرش آشور

وتابع السير حتى بلغ منف ، فاستعصت عليه أولاً ، ثم حاصرها حتى استسلمت .  
وجاءه أمراء الدلتا واعترفوا به ملكاً على مصر ، وسار منها شمالاً حتى بلغ أثريب ( بنها ) ، فجاهه بقية الأمراء واعترفوا له بالملك .

وإذ رأى الأمير تفنخت الذي كان يطمع في الملك أن أمراء لبلاد قد اعترفوا ببعنخي ملكاً استسلم له هو أيضاً ، ودانت مصر كلها شمالها وجنوبها ببعنخي مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين .

وساس بعنخي البلاد سياسة حكيمة ، وظل على العرش واحداً وعشرين عاماً .

وفي عهده بدأ عصر النهضة والإصلاح الذي ينسبه بعض المؤرخين إلى ( أبسماتيك ) الأول ، وهو في الواقع قد بدأ في عهد الأسرة الخامسة والعشرين ، أي من عمل بعنخي وخلفائه .  
فقد نهضوا بالبلاد نهضة شاملة ، وأعادوا لها بعض مجدها القديم .

### خلفاء بعنخي

وبعد وفاة بعنخي خلفه في الملك على التعاقب أخوه ثم ابنه ثم ابن آخر له ، وهو ( طهارقه Taharka ) ، الذي كان له شأن كبير في المقاومة الوطنية ضد الزحف الآشوري كما سيرد في الفصل التالي ، وكان أعظم ملوك هذه الأسرة وأمجدهم أعمالاً وحكم البلاد نحو خمسة وعشرين عاماً .



## الأسرة السادسة والعشرون أبسماتيك الأول

هو ابن الأمير ( نيخاو ) . وقد أسس الأسرة السادسة والعشرين حوالي سنة ٦٦٣ ق م .  
وجعل ( سايس )<sup>(١)</sup> حاضرتها .

وهو محرر مصر من الاحتلال الآشوري ، وقد أصبحت البلاد مستقلة في عهده .  
فهو قريب الشبه من هذه الناحية بأحمس الأول الذي حرر البلاد من حكم الهكسوس  
واستقلت البلاد في عهده ، وكذلك فعل أبسماتيك الأول ، وإنه ليشرفه أن يشبه من هذه  
الناحية أحمس الأول .

وكان على جانب كبير من الذكاء والحصافة ، وقد أصبح من شئون البلاد ونظم جيشها  
وأسطولها ، وأعاد إليها الأمن والوحدة والرخاء .  
ويسمى المؤرخون عهده عهد النهضة<sup>(٢)</sup> .



أبسماتيك الأول  
محرر مصر من الآشوريين

( اشور بانيبال ) Achour Banypal ؛ فأعد جيشًا آخر أغار على مصر ، وكتب له الفوز ،  
وهزم الجيش المصرى بعد حروب عنيفة ، واستولى على منف .

فارتد طهارقه ثانية إلى الجنوب ، واستولى آشور بانيبال على طيبة ، وخرّبها تخريبًا وحشيًا .  
وكان الآشوريون مضرب الأمثال في القسوة والفظاعة في معاملة الشعوب التي تغلبوا  
عليها .

وتعاون أمراء الدلتا على محاربة الآشوريين .  
وكان منهم أمير يدعى ( نيخاو ) امتاز بأنه من أكثرهم همة في مقاومتهم ، ولكن الآشوريين  
نجحوا في حملتهم الثانية ودخلوا طيبة وخرّبوها .  
وارتد طهارقه إلى نباتا بالنوبة ، وألمى أن يستسلم للآشوريين ، ومات بها مثقلًا بأعباء الكفاح  
والمقاومة .



طهارقه . بطل المقاومة ضد الغزو الآشوري

لم يبأس الشعب من الخلاص من الاحتلال الآشوري ، ومازال الأمراء يقودونه في المعركة ،  
ومنهم الأمير ( نيخاو ) ويعملون جاهدين على التحرر من هذا الاحتلال البغيض .  
وقد اعترفوا لزميل لهم وهو ( أبسماتيك ) بن نيخاو ، كما اعترف له الشعب بالملك ، وتحالفوا  
جميعًا على طرد الآشوريين من البلاد .

وإذ عادت الوحدة إلى الصفوف واتحدت كلمة المواطنين ، فقد هزموا الحاميات الآشورية ،  
وتحررت البلاد من الاحتلال الأجنبي على يد بطل من قِمتها وهو أبسماتيك الأول .

(١) هي صا الحجر القريبة من كفر الزيات الحالية ، وهي غير صان الحجر بمركز فاقوس شرقية .  
(٢) كما يسمونه بالمعهد الصاوي نسبة إلى صا الحجر العاصمة .

وقد استرد جزءاً من فلسطين من الآشوريين ، وتوفى سنة ٦٠٩ ق . م . ، وحكم نحو ٥٤ عاماً وترك البلاد في رخاء لم تر مثله منذ وفاة رمسيس الثالث .

على أن خطاه الأكبر أنه أكثر من استخدام الإغريق ( اليونانيين ) في الجيش المصرى وفى الحكومة ، وكان اليونانيون قد بدءوا يقدون على منصر منذ القرن السابع قبل الميلاد .

فأدى استخدام الأجانب إلى إضعاف الروح القومية فى نفوس المصريين ، ولم يفكر فى العواقب الوخيمة التى تترتب على هذه السياسة الحمقاء .

وأسس اليونانيون فى عهده مدينة لهم سموها نقراتيس ( نقراس )<sup>(١)</sup> على فرع النيل الكائوى حوالى منتصف القرن السابع قبل الميلاد .

### فضل الحضارة المصرية على حضارة اليونان

وفى عهد أيسماتيك الأول نشأت العلاقات التجارية والثقافية والعلمية بين مصر وبلاد اليونان وجزر بحر إيجه ، وأخذ علماء الإغريق وكتابها ينظرون إلى مصر على أنها مهد الحضارة والعلم ، فنقلوا إلى بلادهم كل أنواع العلوم المصرية من رياضة وفلك وهندسة وقوانين وديانة ، ويقتبسون ما يلائم تفكيرهم .

ومن دلائل ذلك أن ( سولون ) المشرع الإغريقى العظيم أخذ بعض تشريعاته عن القوانين المصرية .

يقول برستد فى هذا الصدد : « ولا يخفى أن العالم الغربى مدين بكثير من علومه وآدابه إلى أهالى وادى النيل ، كيف لا وهم زودوا أوروبا الجنوبية بالمدينة والمعارف ، فأخذت هذه تنتشر شمالاً متبعة سير النيل إلى الأقاليم الواقعة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط . »

وقال أيضاً : « وقد اجتمعت فى مصر السيادة الحربية والمدنية من أقدم العصور إلى ظهور مدينتنا وحضارتنا الحديثتين ، ولقد كان من أهم واجباتنا المقدسة ونحن من سلالة سكان أوروبا الأقدمين أن نرفع الستار ونزيل الحواجز ، التى تحجب عنا حوادث العصور السابقة ، تلك العصور التى تسلم فيها أجدادنا وديعة هذا التمدن الحديث . »

وقال فى هذا الصدد : « ويرجى أصل المدينة الحديثة إلى الأمم التى نشأت على شواطئ البحر الأبيض المتوسط ، الشرقية وإلى البلاد المجاورة لتلك الجهات ، وذلك منذ نحو ستة آلاف سنة تقريباً ، وكانت بلاد العراق مركزاً ثانياً لمدينة قديمة ، لكنها لم تشترك فى تكوين حضارتنا الحديثة ، لعدم اتصالها بسكان شواطئ البحر الأبيض المتوسط ، ويرمى ذلك إلى عدم اتصال هذا البحر بنهر الفرات ، مع أنهما كانا متصلين قديماً قبل ظهور هذه الحضارة ، لذلك اعتبر

المؤرخون أن حضارتنا الحالية نشأت على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، من المحيط الأطلسى إلى الأراضى الصحراوية شمالى إفريقية ، وإلى الخليج الذى كان متصلاً بالبحر الأحمر ، ثم إلى الشمال فى القارة الآسيوية ، ويخترق هذا الإقليم الشاسع واديان عظيمتان متجهتان شمالاً وجنوباً ، يعرف أولهما بوادى دجلة والفرات ، وهو فى القارة الآسيوية ، أما الثانى فإفريقية ، ويقال له وادى النيل ، وهذان الواديان هما منشأ المدينة القديمة ، فصار لذلك الجبهتين اللتين يبحث فيها عن تاريخ الإنسان القديم ، حتى ظهور الحضارة الأوروبية الحديثة ، وقد كانا أيضاً المهدين الوحيدين لحضارتين مختلفتين عمناً تدريجياً البلاد المجاورة حتى التقنا معاً بآسيا لصغرى ، ثم انتشرتا إلى جنوب أوروبا »<sup>(٢)</sup> .

ويقول الدكتور أحمد فخرى فى هذا المعنى : « إن اليونانيين أنفسهم يعترفون بفضل حضارات الشرق عليهم ، ويفتخر الكثيرون من رجائهم الذين وضعوا أسس العلوم اليونانية أنهم درسوا سنوات عدة فى مصر ، وتلقوا من كهنتها الكثير مما حملوه معهم إلى بلادهم ، لافى الطب أو فى القانون أو فى الرياضيات فقط ، بل فى كثير من النواحي الأخرى كالنحت والموسيقى .. إن المائة سنة الأخيرة قد أمدتنا بوثائق لا حصر لها عن مدى تقدم الشرق فى حضارته ، ومدى أثر مصر على غيرها من الحضارات ومن بينها حضارة اليونان ، لقد ثبت الآن أن افتخار اليونانيين بأنهم تعلموا ما تعلموه من مصر لم يكن مجرد ادعاء أو محاولة إضفاء شىء من الفخر على أنفسهم ، لما كان معروفاً عن بلاد النيل بأنها كانت بلاد الحكماء القدماء ، بل كان حقيقة مؤكدة ، لأنه بالرغم من أن الحضارة المصرية لم تكن فى وقت اتصال اليونانيين بها ، مصر القوية المتوثبة التى كانت من قبل ، إلا أن شعلة العلوم لم تكن قد خبت وانطفأت ، ولكنها ظلت مضيئة على الأقل بين كهنة المعابد وغيرهم من الطبقات ، وبخاصة من الموظفين ، ولم تلبث مصر بعد ذلك حتى دخلت فى دور جديد من أدوار تاريخها ، وهو دور النهضة التى ظهرت منذ الأسرة الخامسة والعشرين واستمرت طيلة أيام الأسرة السادسة والعشرين ، ويطول بنا الحديث لو حللنا أقوال كبار فلاسفة اليونان وعلمائها وإشاداتهم بمصر ، واعترافهم بأنهم تعلموا من المصريين ما تعلموه ، وما علموه بعد ذلك لتلاميذهم ، ويكفى أن نذكر ما كتبه فلاطون الذى قضى ثلاثة عشر عاماً فى مصر ، لندرك قيمة ما كان يحس به اليونانيون القدماء من دين للمصريين »<sup>(٣)</sup> .

(١) برستد : تاريخ مصر من أقدم العصور . المرجع السابق ص ١

(٢) أحمد فخرى : تاريخ الحضارة المصرية لخدمة من العلماء العصر الفرعونى ص ٥٩٩ .

## خلفاء أبسماتيك الأول

### نيخاو الثاني

خلف أبسماتيك الأول ابنه ( نيخاو ) الثاني ، وحذا حذو أبيه في دعم أسباب النهضة ، وزاد عليها أن عُني بالأسطول ، فأنشأ أسطولاً تجارياً رفع علم مصر فوق ظهر البحار ، وكان هذا الأسطول سيد بحار العالم في التجارة ، وأكبر أسطول تجارى في البحر الأبيض المتوسط . وأنشأ أيضاً أسطولاً حربيًا ، وقد سعى في استرداد أملاك مصر الآسوية التي كانت لها في عهد تحتمس الثالث .

وكانت آشور قد تولاهما الضعف منذ أن زاحتها ( بابل ) على السيادة والسيطرة ، ومازالت بها حتى استولت عليها .

### معركة أخرى في مجدو

( سنة ٦٠٨ ق م )

زحف نيخاو على فلسطين ، وأستولى على غزة وعسقلان ، وكانت فلسطين قد تحررت من آشور وآل الأمر في يهوذا إلى ملك يسمى ( بوشيا ) ، فظن أنه يستطيع أن يصدّ المصريين كما صدّ الآشوريين من قبل ، فدارت بين نيخاو وبوشيا حوالى سنة ٦٠٨ ق م . معركة في سهل ( مجدو ) الذى وقعت فيه أول معركة كربية منذ تسعمائة سنة بين تحتمس الثالث وأمير قادش ، وانتصر فيها تحتمس انتصاراً عظيماً كما سلف القول ( ص ٩٥ ) .

وانتهت المعركة هذه المرة بهزيمة بوشيا . وأصيب بجراح توفى على أثرها في أورشليم ( القدس ) .

وتمكن نيخاو من استرجاع فلسطين وسورية .

### الطواف حول القارة الإفريقية

وعهد نيخاو إلى بعض الملاحين اكتشاف سواحل إفريقية ، فقصوا في هذه المهمة نحو ثلاث سنوات في رحلتهم حول شاطئ إفريقية ، وعادوا إلى مصر من برغاز جبل طارق . يقول موريه Moret :

« كان لا بد من انتظار أحد عشر قرناً حتى يتسنى للبرتغاليين بقيادة فسكودى جاما لبيدوا من جهة مضادة الدوران حول القارة الإفريقية الذى بدأ به نيخاو ، والذى عاد بالفوائد العظيمة على علم الجغرافيا والتجارة العالمية »<sup>(١)</sup> .

(١) موريه Moret مصر الفرعونية ص ٥٧ .

## قناة نيخاو

ومن أهم أعماله العمرانية إعادة شقّ القناة المائية التي تصل النيل بالبحر الأحمر ، والتي تخرج من فرع النيل البيلويزى القديم وتسير في وادى الطميلات ، ثم تنثنى جنوباً فتخترق البحيرات المرة ثم تصب في البحر الأحمر ، ويقول برستد : إن مهندسى نيخاو نصحوه بعدم الاستمرار في حفر هذه القناة لظنهم أن سطح مياه البحر الأحمر أعلى من سطح الدلتا فيخشى على مصر من الغرق إذا تم حفر القناة «<sup>(١)</sup> .

وتوفى نيخاو سنة ٥٩٣ ق م . بعد أن حكم البلاد ستة عشر عاماً .

### أبسماتيك الثاني

فخلفه ابنه أبسماتيك الثاني وسار على سياسة أبيه ، ونفذ معاهدة أبيه مع بابل ، وقضى في الحكم نحو ست سنوات .

### أبريس Apris

وبعد وفاة أبسماتيك الثاني تولى الملك ابنه ( أبريس ) سنة ٥٨٨ ق م . وقد أراد أن يسترد نفوذ مصر في آسيا ، فجرد حملة على بابل في فلسطين ليطرده البابليين منها ، وانتهت بالفشل .

### أمازيس Amazis

وحدثت في عهد أبريس ثورة من ضباط الجيش ترجع إلى ممالأته لليونانيين ، فنقموا منه هذه النزعة وثاروا عليه .

فأنفذ إليهم جيشاً بقيادة ( أمازيس ) أحد قواد جيشه ، وهو من عامة الشعب ، وكان يشعر بشعور الشعب ، فانضم إلى الثوار ، وبايعوه ملكاً على البلاد ، ويبدأ حكمه سنة ٥٦٨ ق م . وقد مات أبريس في معركة مع الثوار .

وحكم أمازيس نحو ٤٤ سنة ، وتوفى سنة ٥٢٥ ق م .

وفى غضون هذه الأحداث تغير ميزان القوى في غربى آسيا فقد ورثت فارس دولة آشور بعد أن استولت عليها واحتلت عاصمتها نينوى .

وتولى العرش في فارس ملك جديد اسمه ( قورش ) .

(١) برستد - تاريخ مصر من أقدم العصور - المرجع السابق ص ٣٩٤ .

واستولى على بابل سنة ٥٣٩ ق. م. ثم على سورية وفلسطين ، وظل على العرش إلى أن مات سنة ٥٣٠ ق. م .  
وبعد وفاة ( قورش ) تولى ابنه ( قمبيز ) عرش فارس سنة ٥٢٩ ق. م .

### أبسماتيك الثالث

تولى الملك بعد وفاة أبيه أمازيس ، وهو الذى حدث فى عهده الغزو الفارسى سنة ٥٢٥ ق. م. ، ولم يطل حكمه أكثر من ستة أشهر .

### الفصل الحادى عشر

## الغزو الفارسى وثورات الشعب عليه

( سنة ٥٢٥ ق. م )

نكبت البلاد سنة ٥٢٥ ق. م. بالغزو الفارسى ، وكان يقوده قمبيز بن قورش .  
وقع الغزو الفارسى فى أوائل عهد أبسماتيك الثالث ، وكان قمبيز يعد له العدة من قبل ، فأخضع دويلات آسيا الصغرى وبعض الجزر اليونانية ، وجمع فى آسيا جيشاً جراراً لمهاجمة مصر ، وقد أفلح هذا الجيش فى حملته واحتل البلاد .

### مقدمات الغزو الفارسى

بعد أن سيطرت مصر على العالم المتمدن من أوائل القرن السادس عشر ، ونشرت علومها وحضارتها فى مختلف البلدان ، أخذت عوامل الضعف توهن من كيانها نتيجة للانقسامات الداخلية من جهة ، ولانغماسها فى الترف من جهة أخرى .  
وانضم إلى ذلك استعانة مصر بالجنود المرتزقة من الإغريق وغيرهم ، فضعفت الروح القومية فى الجيش .  
ولم تستطع مصر منذ عهد أبسماتيك الأول أن تستعيد قوتها بعد الانقسامات التى أضعفتها من قبل .

### الخيانات الثلاث

وساعد الفرس على غزو مصر خيانات ثلاث تألبت عليها ، وكان لها الأثر الأليم فى ضعف المقاومة .

### خيانة اليهود

وأولى هذه الخيانات اتفاق اليهود مع قمبيز على أن يتخذ من بلادهم قاعدة للانقضاض على مصر ، مقابل أن صرح لهم ببناء معبد أورشليم ، هذا إلى أنه اكتسب بهذا الاتفاق ولاء الجنود اليهود المرتزقة الذين كانوا فى الجيش المصرى<sup>(١)</sup> .

(١) بوزنر Posner التسلط الفارسى الأول على مصر ص ب .

La première Domination perse en Égypte.



ودارت معركة في بيلوز هُزم فيها الجيش المصري بقيادة أبسماتيك الثالث بعد مقاومة يسيرة ، إذ كان الجيش الفارسي أكثر منه عددًا وأشد قوة .

وهنا زعم بعض القصاص الخرافية أن قمبيز استعان على شل حركة المقاومة في بيلوز ، فأمر بأن توضع كلاب وقطط وحيوانات أخرى مقدسة على رأس القوة المهاجمة ، فامتنع المصريون عن استعمال أسلحتهم خوفًا على هذه الحيوانات .  
وهي رواية ظاهرة التلفيق ، ولو كان لها ظل من الحقيقة فلم لم يستعملها أعداء مصر على تعاقب القرون ؟

ولقد لقي الفرس مقاومة أخرى في ( عين شمس ) .  
وارتد أبسماتيك الثالث إلى منف ليقاوم الغزاة ، فتعقبه قمبيز ، وسقطت ( منف ) أمام هجوم الجيش الفارسي ، ووقع أبسماتيك الثالث أسيرًا في يد قمبيز .



الملك الشهيد  
أبسماتيك الثالث  
قلعه قمبيز إذ لم يستسلم للغزو الفارسي

فاليهود إذن قد مالوا الفرس وعاونوهم على غزو مصر في القرن السادس قبل الميلاد وجعلوا من فلسطين قاعدة للانتفاض عليها .

### خيانة فانيس Phanès

كان ( فانيس ) هذا إغريقيًا من هليكارناس ، وكان رئيسًا لفرقة من الجنود المرتزقة في الجيش المصري منذ عهد أمازيس ، فخان عهده لمصر ، وفر إلى معسكر الأعداء ، وأطلع قمبيز على أسرار الخطط الحربية التي أعدها المصريون لمقاومة الحملة الفارسية .

وبدأت هذه الخيانة قبل وفاة أمازيس ، وكان لها ولا ريب أثرها البالغ في إضعاف الجبهة المصرية .

### خيانة البدو في سيناء

وكان قمبيز يجهل الطريق الذي يجب أن يسلكه في سيناء ، فأطلعه ( فانيس ) الخائن على مسالك الصحراء ، وسهل له الاتصال بروؤساء البدو القاطنين بسيناء ، فوفروا له ولجيش الماء والمؤونة عبر الصحراء حتى وصل إلى أبواب مصر ، فكانت خيانة البدو من الأسباب التي سهلت لقمبيز غزو البلاد .

وقبيل ابتداء الغزو مات ( أمازيس ) في أواخر سنة ٥٢٦ ق م ، وتولى العرش بعده ابنه ( أبسماتيك الثالث ) وقد علم قمبيز بوقفة عدوه الجبار عند وصوله إلى بيلوز ، فعد ذلك فألاً حسناً له ، وتشاءم المصريون من وفاة أمازيس .

وكان اعتلاء أبسماتيك الثالث العرش في أشد الظروف خطراً ، إذ كان ( أمازيس ) ولا ريب أقدر منه على صدّ العدوان الفارسي ، وكانت له من خبرته وكفايته في القيادة وتفوقه على مواطنيه ما يجعل الأمل كبيراً في صد الزحف الفارسي ، ومررت البلاد بعد موته بفترة اضطراب في الأفكار ساعدت الفرس على الغزو .

### سير الغزو

حشد قمبيز جنوده في فلسطين ، وأرسل أسطولاً في عكا .

وزحف الجيش الفارسي من غزة والتقى بالجيش المصري في بيلوز ( الفرما ) سنة ٥٢٥ ق م . يعاونه أسطولاً من البحر .

### مقتل أبسماتيك الثالث

بعد أن وقع الملك الشاب أبسماتيك الثالث أسيراً في يد الفرس وعمل بقسوة ووحشية . وكان هذا الملك الشاب سيئ الحظ حقاً ، فإنه لم يكذب يعطى العرش حتى فوجئ بالغزو الفارسي ، ولم يكن لديه الوقت الكافي ليعيد العدة لصدده .

ولما دخل قمبيز منف تعمد إذلال المصريين ، فأجلس أبسماتيك وكبار المصريين الذين أسره معاً عند مدخل المدينة للزراية بهم ، وألبس ابنته وبنات الكبراء ملابس الجوارى والإماء ، وأمرهن أن يحملن الجرار لإحضار الماء ويسرن أمامه . فشق هذا المنظر على أبسماتيك ، ولكنه تجلد وسكت ، ونظر إلى الأرض وأطرق .

ثم أمر قمبيز بأن يمر أمام أبسماتيك صديق له في ثوب فقر وتسول ، فتأثر لمنظره وبكى ، فكان في بكائه على صديقه في محنته ، بعد جلده حين رأى ابنته في لباس الأرقاء ، أبلغ مثل على الوفاء والخلق الكريم .

### أحمد شوقي يسجل هذا الحادث

في قصيدة له سنة ١٨٩٤

وقد سجل شاعر العروبة الخالد أحمد شوقي هذا الحادث ، ضمن قصيدة طويلة له عن « كبار الحوادث في وادي النيل » نظمها وقدمها إلى المؤتمر المشرقي الدولي الذي انعقد في سويسرا عام ١٨٩٤ ، قال عن الحادث وملابساته :

لا رعاك التاريخ يا يوم ( قمبيز ) ولا طنطنتك بك الأنبياء  
دارت الدائرات فيك ونالت  
فيمصر مما جنيت لمصر  
هذه الأمة اليد العسراء  
نكد خالد وبؤس مقيم  
أي داء ما إن إليه دواء  
وشقاء يجذ منه شقاء  
يوم ( منفيس ) والبلاد لكسرى  
والمملوك المطاعة الأعداء  
يأمر السيف في الرقاب وينهي  
ولمصر على القذى إغضاء  
جىء بالمالك العزيز ذليلاً  
لم تزلزل فؤاده البأساء  
يبصر الآل إذ يراح بهم في  
موقف الذل عنوة ويجاء  
بنت فرعون في السلاسل تمشى  
أزعج الدهر عريها وانخفاء  
فكأن لم ينهض بهودجها الدهر ولا سار خلفها الأمراء

\*\*\*

وأبوها العظيم ينظر لما رذيت مثلما تُرذَى الإماء  
أعطيت جرة وقيل إليك النهير قومي كما تقوم النساء  
فمشت تظهر الإبناء ونحى الدمع أن تسترقه الضراء  
والأعداء شواخص وأبوا بيد الخطب صخرة صماء  
فأرادوا لينظروا دمع فرعون وفرعون دمعه العنقاء  
فأروه الصديق في ثوب فقر بسأل الجمع والسؤال بلاء  
فيكى رحمة وما كان من يكي ولكنما أراد الوفاء  
هكذا الملك والمملوك وإن جا ر زمان وزوّعت بلواء

\*\*\*

لا تسلني ما دولة الفرس ساءت دولة الفرس في البلاد وساءوا  
أمة همها الخرائب تُبليها وحق الخرائب الإغلاء  
وارتوى سيفها فعاجلها الله بسيف ما إن له إرواء

\*\*\*

ولم يبق قمبيز على أبسماتيك وقتله ، إذ لم ير منه خضوعاً للغزو الفارسي ، فلم يطل حكمه أكثر من ستة أشهر .  
ويمقتله انتهت الأسرة السادسة والعشرون .

واغتصب قمبيز الملك في مصر ، وأسس أسرة أطلق عليها المؤرخون اسم الأسرة السابعة والعشرين ، وكانت تمثل الاحتلال البيضي ، فلا يصح إدراجها ضمن الأسرات المصرية .

### هزيمة قمبيز في النوبة

أعد قمبيز جيشين ، خرجا من طيبة ، أحدهما قاده بنفسه - لاحتلال النوبة - ولكنه أصيب بهزيمة منكرة على أيدي حكام نباتا الذين ردّوه على أعقابهم .

### هزيمة قمبيز في الصحراء الغربية

أما الجيش الآخر فكان مصيره أسوأ من مصير الجيش الأول ، إذ سار من طيبة ، فوصل إلى الواحات الخارجة ، وهناك استراح من مشاق السفر ، وأخذ ما يلزمه من المنقوشة ، وسار يقصاً باحة ( سيوة ) ليستولى عليها ، ويهدم معبد آمون ، فهبت على الجند عاصفة عاتية من الرياح

وعُرفت هذه الحروب بالحروب الميديّة ، وكان الملك دارا معتزماً غزو اليونان ، واشتبك  
زيامهم في حرب طويلة المدى ، بدأت بمعركة ( ماراتون ) بالقرب من أثينا هزم فيها الفرس  
سنة ٤٩٠ ق م .

وبعد هزيمة الفرس في معركة ( ماراتون ) اعتزم دارا استئناف الغزو من جديد بجيش  
جوار ، ولكنه مات قبل أن يبتدئ وعيه .

وفي خلال استعداده لاستئناف القتال سحب جزءاً من قوات الاحتلال في مصر ، ليستعملها  
في المعركة القادمة ، على أنه في عهد دارا قامت في البلاد حركة وطنية للتحرر من الاستعمار  
الأجنبي ، قاتل المصريين ، واشتبكوا بقوات الاحتلال الميديّة في أرجاء الرادي ، فكسروها .

وبما توفي دارا الأول سنة ٤٨٥ ق م . خلفه على عرش فارس ابنه ( أجزر كسيس ) .  
وزحف على مصر ليقمع الثورة فتصدى له فينأؤهما ، ولكن الثورة عظيتم على أمرهم وأخذت  
تورثهم . ، وبذلك انتهت الثورة الأولى بالإخفاق .

وكان اليهود في البقعتن ( جزيرة أسوان ) وغيرها من المدن المصرية أحراراً للفرس ضد المصريين  
في كفافهم .

وارتد الفرس عن بلاد الإغريق بعد هزيمتهم في معركة ترمبيل وفي معركة سلايس  
البحرية وكانها سنة ٤٨٠ ق م .  
وقتل أجزر كسيس سنة ٤٦٤ ق م . بيد قائد حربه .

وكان هذا الماهل مشهوراً بالخلاعة والإثم .  
وخلفه ( أرتا جزر كسيس ) .

### الثورة الثانية

وثار المصريون للمرة الثانية ضد الاستعمار الفارسي سنة ٤٦٠ ق م . بقيادة الرجيم  
( إينابورس Inaros ) أحد أفراد أسرة أيسماتيك ، وقد لقي الوطنيون دعمه وشاركوه في ثورته .  
وبعد أن انتصروا على جيش الفرس ظفر بهم ( أرتا جزر كسيس ) وأعلم إينابورس سنة  
٤٥١ ق م . وأخفقت الثورة الثانية .  
وعادت مصر تزحف تحت نير الفرس من جديد .

### الثورة الثالثة

جلاء الفرس للمرة الأولى  
( سنة ٤٠٤ ق م )  
ومات ( أرتا جزر كسيس ) سنة ٤٢٤ ق م . فخلفه على العرش ( دار الثاني ) .

أثارت عليهم الرمال ، فهلكوا في الصحراء ولم يتنج منهم أحد ، ولم يذهب أحد منهم إلى سيوة ،  
ولا عاد أحد منهم إلى الواحات الخارجة .  
ونصب قمبيز نفسه ملكاً على مصر ( فرعونياً ) .

### انتصار قمبيز

لم يتق قمبيز طويلاً بعد إخفاقه في فتح النوبة وسيوة ، وعاد أدرجه إلى فارس ، فمات في  
الطريق سنة ٥٢٢ ق م . وتقل إليه مات متحمراً إذ كانت تصيحه نوبات عصبية .

وقد جرى انتصاره إلى إخفاقه في حملته على النوبة وحملته الأخرى على راحة سيوة .  
وخلفه إليه ( دارا ) الأول .

وقد أراد ( دارا ) أن يستميل إليه المصريين ويخفف عنهم وطأة الموان التي لاقيه من الغزو ،  
فرفع عنهم بعض القود ، ووجه إلى مصر زائراً سنة ٥١٨ ق م . وأمر بتغيير سياسة أبيه قمبيز  
وتوثر إصلاحات جزئية .

ولكن المصريين ظلوا على سطوتهم على الاحتلال الأجنبي ، وأخذوا يهدون الأمة للتحرر منه .  
فلما ، ولا يقنع الغزو الفارسي من مكانة المصريين وبلغ حيويتهم .

بأن فارس كانت الدولة القوية حريها في ذلك العصر ، وكانت ولا ريب أقوى من مصر  
وقفت ، كما لم يلمن في حيوية الشعوب الأوروبية أن خضعت وبقاها الإمبراطورية الرومانية ،  
إذ كانت أقوى دولة في العالم .

والإمبراطورية الرومانية ذاتها على ما بلغت من قوة وسلطة قد استهدفت في القرن الخامس  
بعد الميلاد لغزوات أقوام من المبعج اقتضوا عليها قهروما وذكوا معالمها ، وبرزوا أوصالها ، ومن  
بقاياها نبتت القوميات الأوربية .

### ثورات الشعب على الاحتلال الفارسي

لم يقبل الشعب المصري الاحتلال الفارسي ، وظل يكافحه ، وتطاعت ثورته بين حين وآخر .  
الثورة الأولى ضد الفرس  
( سنة ٤٨٦ ق م )

إن أول ثورة شبت ضد الاستعمار الفارسي كانت سنة ٤٨٦ ق م . في عهد الملك دارا  
الأول ، فقد كان مستموراً بإعداد الممدات للوحف بقوافه النوبة والبحرية على بلاد الإغريق  
( اليونان ) .

## تقطاب الأول وتقطاب الثاني

ومن تولى الحكم في هذه الفترة (فترة الاستقلال) تقطاب الأول ، وقد تولى سنة ٣٨٠ ق م ، وقضى في الحكم نحو ثمانية عشر عامًا ، وهو سمودي اللبث .  
ونجح في صد هجوم عيف للفرس على مصر .  
وقد وصلت مصر في عهد تقطاب الأول إلى مكانة ممتازة من الرقي والتمتع ، وتقدمت فيها العمارة والفنون الجميلة .  
وتراجعت مكانة الدولة الفارسية بعد الهزيمة التي حانت بها في مصر ، وانشق عنها بعض ولاياتها .

وقد ترك تقطاب الأول عمائر وآثاراً دلت على ثبات مركزه واستقرار نفوذه .  
ففي عهد الكرتك أقام بولاية كبرى ارتفاعها تسعة عشر متراً ، وقد أتم هذا البناء تقطاب الثاني وأقام مهالي أخرى كثيرة في الوجه القبلي والوجه البحري .  
وخلفه تقطاب الثاني ، وقد حكم أيضاً نحو ثمانية عشر عامًا .  
وهو آخر فرعون وطني حكم مصر .

## عودة الفرس إلى مصر ثم مجيء الإسكندر الأكبر

( سنة ٣٤١ ق م )

وفي سنة ٣٤١ ق م : جرد الفرس حملة جديدة على مصر ، وكان يبول الحكم فيها تقطاب الثاني ، وهاجمت مصر براً وبحراً ، فهزمت الجيش المصري ، واحتلت البلاد ثانية بعد أن كان الفرس قد جلا عنها ، وبعد أن استردت مصر استقلالها منذ أكثر من ستين عامًا ، ولم يذعن تقطاب الثاني للاحتلال الفارسي الجديد ، وارتد سنة ٣٤١ ق م . إلى النوبة فتأدياً مع الروع أسيراً في يد الفرس ، ولم يعرف ماذا كان مصيره .

وأسس الفرس أسرة جديدة غاصية .  
لم تدع مصر للاحتلال الفارسي الجديد ، بل تحججت فيها الانتفاضات القومية .  
إلى أن جاء الإسكندر الأكبر سنة ٣٣٣ ق م . بحارب الفرس ، وصادق المصريين .

وإثارت مصر في وجه الفرس بقيادة البطل أمير تانوس ( آمون حر ) سنة ٤١٠ ق م .  
وامتدّت الثورة عدة سنوات .  
انصهرت هذه الثورة ، وحزرت البلاد من احتلال الفرس سنة ٤٠٤ ق م .  
تزوج أمير تانوس ( آمون حر ) محر البلاد من الاحتلال الفارسي ملكاً على مصر المستقلة سنة ٤٠٤ ق م . مؤسساً الأسرة الثامنة والعشرين الذي كان ملكها الوحيد ، وحكم البلاد نحو ست سنوات .  
وتمت مصر باستقلالها ثانياً وستين عامًا ، توارث العرش في خلالها الأسرات الثامنة والعشرون والثامنة والعشرون والثلاثون ، وكلها مصرية .



تقطاب الثاني  
آمن ملوك الفرصنة في مصر



ملحق للفصول السابقة  
الأسرات الملكية في مصر القديمة  
الدولة القديمة  
الأسرة الأولى  
( ٣٢٠٠ - ٣٠٠٠ ق م )<sup>(١)</sup>

الملك مينا  
عحا  
جر  
واجيت  
وديمو  
عزيب  
سمرخت  
قاع

الأسرة الرابعة - بُناة الأهرام  
( ٢٦٨٠ - ٢٥٦٠ ق م )

حبا  
نفر كا  
حوى

سنفرو  
خوفو  
ددف رع  
خفرع  
منكاورع  
شيسكاف

الأسرة الخامسة  
( ٢٥٦٠ - ٢٤٢٠ ق م )

أوسر كاف  
ساحو رع  
نفرار كارع  
شيسكا رع  
نفر رع  
نو سررع  
منكو حور  
دداكارع ( أسيسى )  
أوناس

الأسرة السادسة  
( ٢٤٢٠ - ٢٢٨٠ ق م )

تيتي  
أوسر كارع  
بيبي الأول  
مرن رع

الأسرة الثانية  
( ٣٠٠٠ - ٢٧٨٠ ق م )

حطب سخموى  
رع نب  
تريمو  
سخم بب  
يريب سن  
سخم سخم  
سخم سخموى

الأسرة الثالثة  
( ٢٧٨٠ - ٢٦٨٠ ق م )

زوسر  
سخم سخات

(١) اعتمدنا في هذه التواريخ على كتاب الدكتور أحمد فتحى ( حصر القرعونية ) ص ١٧ وما بعدها .

الدولة الوسطى  
الأسرة الحادية عشرة كانت تنازع الأسرة العاشرة  
( ٢١٣٤ - ١٩٩١ ق م )

إنتف الأول  
إنتف الثاني  
إنتف الثالث  
متوحتب الأول  
متوحتب الثاني  
متوحتب الثالث  
متوحتب الرابع  
متوحتب الخامس

الأسرة الثانية عشرة  
أسرة أمنمحات  
( ١٩٩١ - ١٧٧٨ ق م )

أمنمحات الأول  
سنوسرت الأول  
أمنمحات الثاني  
سنوسرت الثاني  
سنوسرت الثالث  
أمنمحات الثالث  
أمنمحات الرابع  
الملكة سبك نفرو

الأسرة الثالثة عشرة  
( ١٧٧٨ - ١٦٢٥ ق م )  
نحو ستين ملكا ضعفت في عهدهم الجبهة الداخلية .

الأسرة الرابعة عشرة  
( ١٧٧٨ - ١٦٥٤ ق م )  
بدأت في الوقت الذي بدأت فيه الأسرة الثالثة عشرة وزادت عليها .

بيبي الثاني  
مرن رع الثاني  
الملكة نيتو كريس

الأسرة السابعة  
( ٢٢٨٠ ق م )

سبعون ملكا حكموا سبعين يوما كما ذكر المؤرخ المصرى مانيتون

الأسرة الثامنة  
( ٢٢٨٠ - ٢٢٤٢ ق م )

نفر كارع الأصغر  
نفر كارع  
جد كارع ... إلخ إلخ .

الأسرة التاسعة  
( ٢٢٤٢ - ٢١٣٣ ق م )

أحتوى الأول  
نفر كارع  
أحتوى الثاني  
ستوت  
أحتوى الثالث  
...

الأسرة العاشرة  
( ٢١٣٣ - ٢٠٥٢ ق م )

مرى حتحور  
نفر كارع  
أحتوى الرابع  
مرى كارع  
أحتوى الخامس

الأسرة التاسعة عشرة  
( ١٣٠٤ - ١١٩٥ ق م )

رمسيس الأول  
سيتي الأول  
رمسيس الثاني ، أو الأكبر  
منفتاح  
آمون مس  
منفتاح الثاني  
سيتي الثاني  
الملكة تاوسرت

الأسرة العشرون  
( ١١٩٥ - ١٠٨٠ ق م )

ست نخت  
رمسيس الثالث  
رمسيس الرابع  
رمسيس الخامس  
رمسيس السادس  
رمسيس السابع  
رمسيس الثامن  
رمسيس التاسع  
رمسيس العاشر  
رمسيس الحادي عشر

الأسرة الحادية والعشرون  
( ١٠٨٠ - ٩٥٠ ق م )

سمنديس  
حريحور  
بسونس  
أمنابت  
سيامون

الأسرة الخامسة عشرة والسادسة عشرة  
من المكسوس . وتمتلان الاحتلال الأجنبي . ولا يصح اعتبارهما ضمن الأسرات  
المصرية .

الأسرة السابعة عشرة

( ١٦٦٠ - ١٥٧٠ ق م )

استقل بالحكم فرع من ملوك طيبة في أواخر عهد المكسوس وبدأت حرب التحرير  
في عهد سقن رع

...

...

...

سقن رع  
كامس

الدولة الحديثة

الأسرة الثامنة عشرة

( ١٥٧٠ - ١٣٠٤ ق م )

أحمس الأول  
أمنحوتب الأول  
تحوتمس الأول  
تحوتمس الثاني  
الملكة حتشبسوت  
تحوتمس الثالث ، أو الأكبر  
أمنحوتب الثاني  
تحوتمس الرابع  
أمنحوتب الثالث  
أخناتون ( أمنحوتب الرابع )  
سمنخ كارع  
توت عنخ آمون  
أي  
حورحجب

بسونس الثاني  
بسونس الثالث

الأسرة الثانية والعشرون  
( ٩٥٠ - ٧٣٠ ق م )

شيشنق الأول  
أوسركون الأول  
تاكيلوت الأول  
أوسركون الثاني  
شيشنق الثاني  
تاكيلوت الثاني  
شيشنق الثالث  
بامى  
شيشنق الرابع

الأسرة الثالثة والعشرون  
( ٨١٧ - ٧٣٠ ق م )

بادويست  
أوسركون الثالث  
تاكيلوت الثالث  
أمون رود  
أوسركون الرابع

الأسرة الرابعة والعشرون  
( ٧٣٠ - ٧١٥ ق م )

تفنخت  
بوخوريس

الأسرة الخامسة والعشرون  
( ٧١٥ - ٦٦٣ ق م )

بعنخى  
شيبكا

شيبكا  
طهارفه

الأسرة السادسة والعشرون  
( ٦٦٣ - ٥٢٥ ق م )

أيسماتيك الأول  
نيخاو الثاني  
أيسماتيك الثاني  
أيريس  
أمازيس  
أيسماتيك الثالث

الأسرة السابعة والعشرون  
( ٥٢٥ - ٤٠٤ ق م )

تُحذف لأنها تمثل الاحتلال الفارسي ، ولا يصح إدراجها ضمن الأسرات المصرية .

الأسرة الثامنة والعشرون  
( ٤٠٤ - ٣٩٨ ق م )

أمير تاوس ( آمون حر ) اعتلى العرش على أثر ثورة على الفرس .

الأسرة التاسعة والعشرون  
( ٣٩٨ - ٣٧٨ ق م )

نفرتس  
أوكوريس  
بساموتيس  
نفرتس الثاني

الأسرة الثلاثون  
( ٣٧٨ - ٣٤١ ق م )

نقطانب الأول  
ناخوس  
نقطانب الثاني



ثم وصل إلى مشارف مصر على رأس جيشه البالغ نحو أربعين ألف مقاتل يعاونه أسطوله الذي كان يسير على مقربة من الشاطئ .  
وبلغ ( بيلوز ) « الفرما » . وكانت وقتئذ أول حدود مصر .

### دخوله مصر

( سنة ٣٣٢ ق م )

وكان هزائم الفرس أمام زحفه قد أفقدتهم القوة على صدّه ، فدخل مصر في خريف سنة ٣٣٢ ق م .

ووصل دون قتال إلى ( منف ) عاصمة مصر وقتئذ .

ولم يجد الوالي الفارسي الذي كان يحكم مصر مفرا من التسليم إذا رأى أن مقاومة الإسكندر لا تجدى .

وقد ابتهج المصريون لهزيمة الفرس ، ورأوا في الإسكندر بادئ الأمر منقادا لهم من الاحتلال الفارسي ، ولم يكونوا لينسوا أن الفرس قد انتزعوا عرش مصر من آخر ملوك الفراعنة ، وأقاموا حكما أجنبيا بغيضا امتهن كرامة بلادهم ، مما حفزهم إلى الثورة عليه ثلاث مرات .

احترم الإسكندر ديانة المصريين وعاداتهم وتقاليدهم .

ولم يكتف بذلك ، بل توج نفسه تنويجا فرعونيا في معبد ( بتاح ) بمدينة ( منف ) ، وقلد الفراعنة الأقدمين فيما كانوا يفعلون عند اعتلائهم عرش مصر .

وإذ كان المصريون يرمزون بالكبش المقدس إلى الإله آمون ، فقد أمر الإسكندر أن تبرز في صورته قرنا ( آمون ) من قمة رأسه .

ولعل هذا التصوير هو الذي جعل بعض مؤرخي العرب يسمونه الإسكندر ذي القرنين .

### الاستقلال الداخلي لمصر

واجتذب إليه قلوب المصريين من الناحية السياسية بأن قرّر لمصر الاستقلال الداخلي ( الحكم الذاتي ) .

واختار حاكمين لمصر ، أحدهما مصري ، والثاني أناضولى أو فارسي ، ومنح كليهما السلطة الكاملة في إدارة منطقتيه .

على أن الحاكم الأخير لم يلبث أن استقال ، أما الحاكم المصري فلم تزد سلطته على سلطة وزير داخلية .

وعهد بالشئون المالية إلى حاكم « يوناني » .

### الفصل الثاني عشر

## الإسكندر الأكبر في مصر وجلاء الفرس عنها

( سنة ٣٣٢ ق م )

### تمهيد

بلغ الصراع بين الفرس والإغريق ( اليونانيين ) مرحلة حاسمة حين تولى الإسكندر عرش مقدونيا وعمره عشرون سنة ، ودارا الثالث عرش فارس .

وكانت الدولة الفارسية قد اتسع ملكها ، فشمل آسيا الغربية ، وامتد من الهند إلى البحر المتوسط ، وكانت لها قوة بحرية ضخمة على شواطئ ذلك البحر ، ولها السيادة عليها ، وكانت سورية وفلسطين ضمن أملاكها .

فاعتزم الإسكندر قهر هذا العدو الجبار ، وأعدّ لذلك جيشا عير به بوغاز الدردنيل ، وكان يسمى هلسبونت Hellespont .

واشتبك بجيش الفرس عند نهر ( جراتيق ) Granique الذى يصب في بحر مرمره ، فظفر بهم ظفرا عظيما سنة ٣٣٤ ق م .

وزحف بعد هذه الواقعة بجذء الشاطئ الغربى لآسيا الصغرى ، ثم في قلب الأناضول .

حتى التقى بالفرس سنة ٣٣٣ ق م في ( إيسوس ) Issus الواقعة على الخليج المعروف الآن بخليج الإسكندرونه ، فانتصر عليهم انتصارا ساحقا ، وفر دارا الثالث منهزما إلى ( بابل ) .

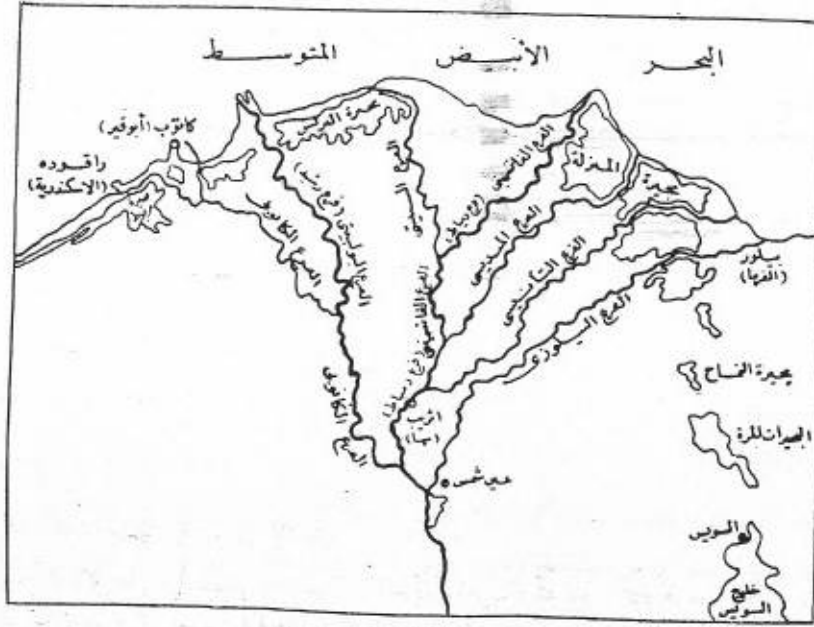
لم يشأ الإسكندر أن يتعقب دارا بعد واقعة إيسوس .

وآثر أن يزحف أولا على البلاد الواقعة على شواطئ البحر المتوسط ، لكي يخضعها ويسط سلطانه عليها ، ولا يتخذ منها الأسطول الفارسي قواعد له تتوق زحفه .

وكانت هذه الخطة المحكمة دليلا على بعد نظره ونفاذ بصيرته في الحروب .

فزحف الإسكندر على نغور البحر المتوسط في فينيقية وسورية وفلسطين فاحتلها ، وخضعت له ، كما خضعت دمشق وبيت المقدس .

ثم احتل النغور دون مقاومة ، فيما عدا ( صور ) التى قاومت مقاومة شديدة ، فحاصرها وفتحها عنوة ، وكذلك قاومت غزة ، فحاصرها وأخضعها .



فروع النيل القديمة السبعة بالدلتا

- |                   |                                |
|-------------------|--------------------------------|
| ١- الفرع اليلورى  | ٢- الفرع الثانى                |
| ٣- الفرع المنبسى  | ٤- الفرع الفاتمى ( فرع دمياط ) |
| ٥- الفرع السبى    | ٦- الفرع البولبى ( فرع رشيد )  |
| ٧- الفرع الكانوبى |                                |
- ويبدأ الفرع الكانوبى من رأس الدلتا ويسير إلى قرية زاوية البحر ( بمركز كوم حمادة الآن ) ويتجه إلى الشمال الغربى حتى يصب فى خليج ( أبو قير ) . وكانت ( أبو قير ) تسمى ( كانوب )

وعين الإسكندر قوادًا على الدلتا من المقدونيين .

وعامل المصريين بوجه عام معاملة كريمة ولم يعاملهم معاملة المهزومين ، لأنه إنما انتصر على الفرس ، واحترم المصريين لعراقتهم وحضارتهم وماضيهم للمجد .

ولم تستن النيات النهائية للإسكندر أثناء مقامه فى مصر ، ولم يتسع الوقت ليدرك المصريون حقيقة مقاصده .

وإنما رأوه يحطم دولة الفرس الذين ساموا المصريين الخسف والاضطهاد أثناء احتلالهم المقوت للبلاد .

فلا غرو أن فرحوا لمجيء الإسكندر ، كما فرح الفرنسيون لاحتلال الأمريكان وحلفائهم فرنسا سنة ١٩٤٥ فى الحرب العالمية الثانية ، إذ كان فى هذا الاحتلال المؤقت سحق لأعدائهم ( الألمان ) وتحرير لفرنسا من نيرهم .

### تأسيس الإسكندرية

( سنة ٣٣٢ ق م )

يعتبر تأسيس الإسكندرية أخلد عمل للإسكندر فى مصر .

فقد رأى أن يؤسس مدينة جديدة للشمال الغربى للدلتا يجعلها عاصمة للبلاد ، وتكون أقرب إلى مقدونيا ، وأخذ يرود الشواطئ الشمالية ليختار الموقع الجدير بهذه الغاية ، وكان يصاحبه فى اختياره مهندس المدعو دينوقراطس Diocrates .

وكان يبحث عن موقع على شاطئ البحر المتوسط بعيد عن مصب الفرع الكانوبى<sup>(١)</sup> ليكون بمنأى عن رواسب الطمي التى يلتقى بها النيل فى البحر ، وقد تعيق الملاحة .

وأعجبه الشاطئ الممتد من البحر شمالاً إلى بحيرة مريوط جنوباً .

فاختار قرية كانت تدعى ( راقودة ) على شاطئ البحر المتوسط ، وكانت لا تزيد على ميناء صغير للصيادين ، تجاورها جزيرة مقفرة كان الصيادون يأوون إليها أيضاً تدعى جزيرة « فاروس » ( رأس التين الآن ) .

وكان ملوك مصر الأقدمون قد أقاموا فى هذه القرية نقطة عسكرية لصد من تحدته نفسه من الأجانب عن دخول البلاد أو التسلل إليها .

فأسس فيها سنة ٣٣٢ ق م العاصمة الجديدة ، وسماها باسمه ( الإسكندرية ) . ثم أمر بإنشاء جسر بين موقع راقودة والجزيرة المذكورة ، ليكون للمدينة الجديدة ميناءان : الميناء الشرقى . والميناء الغربى ، يتصلان بواسطة ممرين فى طرفى الجسر الموصل لجزيرة فاروس بالشاطئ .

(١) من فروع النيل القديمة ( انظر الخريطة ص ١٩٤ ) .

## زيارة الإسكندر لواحة سيوة

وبعد أن وضع تخطيط مدينة الإسكندرية ، اتجه إلى المكان المعروف الآن بمرسى مطروح . ومن هناك قصد واحة ( سيوة ) حيث كان بها معبد آمون ، ووصل إليها بعد مسيرة اثني عشر يوماً .

وزار المعبد ، ورحب كبير الكهنة بمقدمه ، ومنحه لقب ( ابن آمون ) .

وقد أراد الإسكندر بهذه الزيارة أن يثبت للرأى العام العالمى نسيه للآلهة ، وتأييد إله سيوه لمشروعاته المقبلة ، وقد كان هذا الإله يتمتع بين الإغريق بمكانة سامية .

وذهب بعد الزيارة إلى ( منف ) .

ولم يكن معروفاً على وجه التحقيق مقاصد الإسكندر من فتوحاته ، ولا من مجيئه إلى مصر كما سلف القول ، ولكن تاريخه يدل على أنه لم يقصد قهر الفرس فحسب ، بل كان يتطلع إلى أن يكون سيد العالم ، وكان يطمح فى أن يؤلف بين الشرق والغرب ، ويجعل منهما مجموعة يكون هو رئيسها الأعلى .

لقد كانت سياسته أقرب إلى الإنسانية .

ومن الدلائل على مقاصده فى التقريب بين الشرق والغرب ، أنه تزوج أثناء فتوحاته الآسيوية من فارسية تدعى ( روكسانا ) ابنة والى باكتريا Backtria ( بلخ ) ، ورغب إلى بعض قواده أن يتزوجوا مثله بسيدات شرقيات .

وبعد أن قضى فى مصر نحو ستة أشهر ، غادرها فى ربيع سنة ٣٣١ ق . م . ليتم فتوحاته .

فاخترق فلسطين فسورية مرة أخرى ، وسار منها إلى بلاد الرافدين ( دجلة والفرات ) ، وتعقب ( دارا الثالث ) ، فهزمه فى واقعة ( أربل ) Arbēles فى أكتوبر سنة ٣٣١ ق . م . وفر دارا مقهوراً .

ودك الإسكندر مملكة فارس ، واستولى عليها وأسس على أنقاضها إمبراطورية وصلت إلى شواطئ الهند ، وامتدت من مقدونيا إلى الهند .

ولما عاد إلى ( بابل ) مرضى بالحمى ومات سنة ٣٢٣ ق . م . قبل أن يتم الثالثة والثلاثين من العمر .

لم تتبين مقاصد الإسكندر نحو مصر كما أسلفنا ، على أنه وهو فى أسبا قد أصدر أمره بإقضاء الحاكمين اللذين عينهما وهو فى مصر ، وأبدل بهما حاكماً مقدونيا واحداً<sup>(١)</sup> .

(١) بيير جوجيه Pierre Jouguet مصر البطلمية ( ص ٦ ) .

## الفضل الثالث عشر

### البطالة فى مصر وثورات الشعب عليهم

( ٣٢٣ - ٣٠ ق . م )

بعد وفاة الإسكندر فى ( بابل ) ، اجتمع بها قواد جيشه للبحث فى مصير الإمبراطورية بعد وفاة عاهلها العظيم ، وخاصة لأن الإسكندرية لم يترك وصية ، ولا رشح أحداً خلفاً له ، ولا نظم طريقة للحكم من بعده ، ولم يكن له وريث فى الملك .

حقاً إن زوجته الفارسية ( روكسانا ) كانت حاملاً حين وفاته .

ولكنها كانت سيدة « شرقية » ، وكان فريق من المقدونيين ينكرون على طفلها حق اعتلاء عرشه ، ويطلبون بالمناداة بأخ الإسكندر غير الشقيق ( ارهيدايس ) ملكاً ، واستقر الرأى أخيراً على المناداة بأرهيدايس ملكاً عليهم تحت الوصاية مع الاحتفاظ بحق جنين روكسانا فى الملك إذ كان ذكراً باعتباره شريكاً فى الملك تحت الوصاية .

وبعد الفراغ من مشكلة ولاية العرش قسمت ولايات إمبراطورية الإسكندر بين قواده ليحكموها باسم التاج المقدونى .

فكانت مصر من نصيب بطليموس Ptolemée بن لاجوس Lagos وهو من أشهر قواد الإسكندر ، وقد اختارها لنفسه .

وقسمت باقى البلاد الأخرى بين قواد الإسكندر .

وحضر بطليموس إلى مصر فى خريف سنة ٣٢٣ ق . م<sup>(١)</sup> ، باعتباره والياً عليها ، وحكم البلاد حكماً مطلقاً .

وأفضت أطماع قواد الإسكندر إلى حروب شعواء قطعت أوصال الإمبراطورية وقامت على أنقاضها ثلاث ممالك مستقلة كانت أعظمها واقواها دولة البطالة فى مصر .

ففى سنة ٣٠٥ ق . م نادى بطليموس بنفسه ملكاً على مصر .

وجعل الملك وراثياً فى ذريته ، ومن هنا جاءت تسميتهم بالبطالة ، لأنهم جميعاً تسموا باسمه . فالبطالة إذن هم أسرة أجنبية ، قضت المصادفات التعسة أن يؤسسوا لهم ملكاً فى مصر ، إحدى الدول التى فتحها الإسكندر الأكبر .

وقد اتخذوا الإسكندرية عاصمة لهم ، ولا غرو فهى المدينة التى أسسها الإسكندر ، وكانت

(١) بيير جوجيه - مصر البطلمية المرجع السابق ص ١٠ .

جثمانه مؤثراً في ( منف ) ، ثم نقل منها إلى الإسكندرية بعد أن أتم بطليموس تشييد ضريح لخم الإسكندر في ساحة ( السوما )<sup>(١)</sup> ، ( انظر موقعها على الخريطة ص ١٩٨ ) .  
 وأصبح بذلك على نفسه مجسماً ، يؤمنه احلافه الفاتح العظيم ، ويحمله أقرب الناس إليه .  
 وهذا الضريح قد عثفت عليه القرون وعفى حتى الآن ( ١٩٦٢ ) عن أعين العلماء والأثريين ، ولا يعرف ماذا كان مصيره .

على أنه من البت أن يد الضريب قد اعتدت إلى قبر في عهد البطالمة أنفسهم ، فقد ذكر ( بيغان ) Bevan أن بطليموس العاشر ، قد سطا على ثلوث الإسكندر ، وكان مصنوعاً من الذهب الخالص ، واستبدل بالذهب زجاجاً ، وكانت دعواه في هذا العمل للكر أنه في حاجة إلى الذهب لسد نفقات جنوده فاستاء الإسكندريون فذا العمل المرزى<sup>(٢)</sup> .

وقد آله بطليموس الأول بعد وفاته ، ووضعت سنة ثاليه ملوك مصر ، وعند وفاته اتبع ابنه رغبة أبيه ، فأله باسم ( سوزر ) أي اللقظ ، ثم لم يلبث أن آله نفسه وزوجته في حياتهما باسم الإلهين أفانوس أي الإلهين الأخوين ، وبعد ذلك ألهم أصبح كل بطليموس يرتقى العرش بولاه نفسه وزوجته في حياتهما ، ويحفظان بألوهيتهما ( البطالمة ) بعد ماتهما .

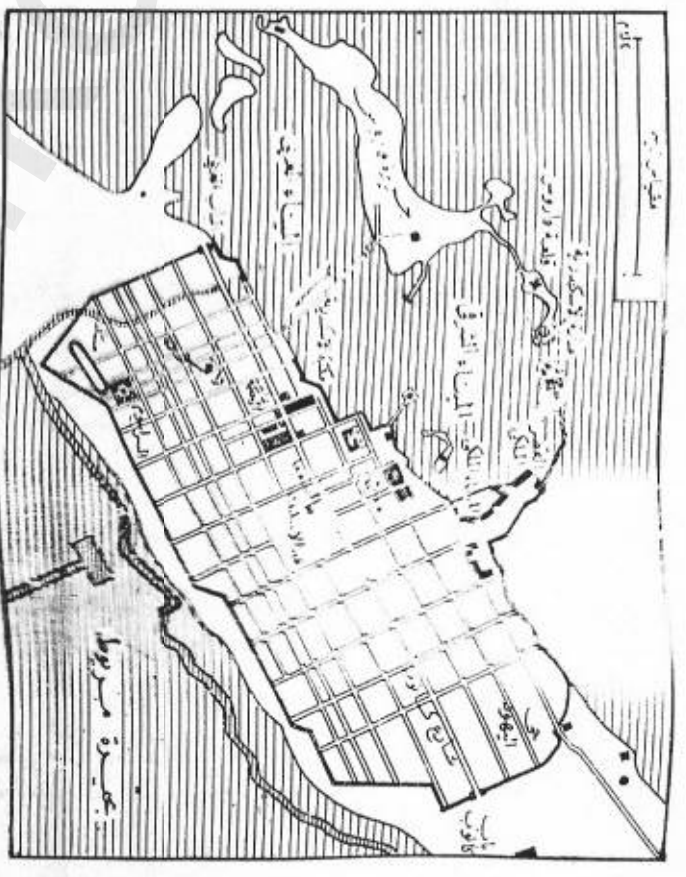
وأنم بطليموس الأول إنشاء مدينة الإسكندرية كما خططها الإسكندر ، وتم تشييدها في عهده وفي عهد خلفه بطليموس الثاني .  
 وصارت من أعظم مدن العالم مؤثراً ومكانة ، وكانت ( ولا تزال ) تحتك إعجاب أهلها والسائحين والفاصلين إليها بمناظرها البديعة ، وطول شواطئها على البحر المتوسط ، واتساع رقعتها ، واستقامة شوارعها المتعامدة في زوايا قائمة ، وما فيها من المآهد والبراري واللاصب والنباتات .

وأشأ جيشاً واسطولا عزز بهما القوة الحربية التي تركها الإسكندر في مصر ، واتخذ منها سناً أو وسيلة لإخضاع مصر لأطماعه الاستعمارية وتحقيق أغراضه في البلدان المجاورة .

### مباراة الإسكندرية

وأقام على صخرة شرقى جزيرة فاروس ( المارة ) التي اشتهرت بمباراة الإسكندرية العظيمة مكانها الآن قلعة قايتباي ) ، وهي التي اعتبرت إحدى عجائب الدنيا السبع القديمة .  
 وقد أكملها ابنه بطليموس الثاني .

(١) وقد يكون السب في قلته إلى الإسكندرية أن بطليموس الأول اعتمد عاصمة للبلاد بدلاً من ( منف ) ليكون ليد عن الشعب المصري وأقرب إلى بلاده ( مدينا ) .  
 (٢) Bevan يفتاح تاريخ اللاجيدون ( البطالمة ) Histoire des Lagides من ٣٦٤ ولزاهيم نصفي ، تاريخ مصر في عصر البطالمة ١ ، ١٢٣٣ .



بموقعها على البحر المتوسط أرب إلى الادمم ( مدينا ) . ويقع على حوض لاقتناض عليهم من المصريين فيما لو الادمم عاصمتهم في ( منف ) .  
 فهم من هذه الادمم قد للدمر المكسوس ( لرمه ) في تصفة ( تواريت ) القرية من حدود مصر الشرقية عاصمة لهم كما أسلفنا ( ص ٧٣ ) .  
 وبطليموس الأول هو مؤسس دولة البطالمة في مصر .  
 وقد كان ولا ريب، حاربا قويا ، حكمه لصرح ، وسيط حصة ومع الألق بعد المطامع وحسبك كذ ، هو ، هواد الإسكندر وزميله في فتحة لعظمة .  
 وقد أمكنه أن يؤسس ، أدمه ولسله دولة تحت حكم مصر بوجه قريه من سنة ٣٢٣ ق م ، إلى أن تمها ، في واقعه ( اكويو ) لحيه سنة ٣٠٥ ق م . ثم انتهى حكم البطالمة واستولى الروم ، ٤٠٠ م على مصر سنة ٦٤٠ م .

### نقل جثمان الاسكندر إلى مصر

وكان أول عمل حرمه وفاته ، بطليموس الأول جسد مركبة خشبية من الإسكندر إلى مصر . ثم نقل وفاته في سنة ٣٠٥ ق م إلى مدينا .



وأشأ مدينة سماها بطلمية Ptolemais حيث تقوم اليوم بلدة ( المنشية ) بمحافظة سوهاج ، وأتجه نشاطه إلى تعميرها لتنافس طيبة عاصمة العالم القديم في مصر الفرعونية .  
ولم يكن بطليموس على أخلاق قوية ، فقد كانت له محظيات كثيرات<sup>(١)</sup> .  
ومن عشيقاته ( بريكي ) Berenike التي كانت متزوجة من قبل ، وأحبها وزوجها هو على زوجة أخرى له ، وهي يورديكي Eurydike .

ولمحت له بطليموس الثاني .

فبريكي هي الجدة العليا لأسرى البطالمة<sup>(٢)</sup> .

وقبل إن بطليموس الثاني ليس لها شرعا لبطليموس الأول .

وتوفي بطليموس الأول عام ٢٨٣ ق . م .

وخلفه على الملك بطالة عبيدون تماقرا على عرش مصر .

ولم يعرف عنهم في الجملة سوى أنهم أهل خلاعة ومجون ، وفساد في الأخلاق والسير .

فبطليموس الثاني ( فيلادلف ) Philadelph كان منعصما في الملذات . وكان له عشيقات عديبات من جميع الطبقات . وكان يزن الذهب في العالم بإغراقه في البذخ والشهوات<sup>(٣)</sup> .

وكان إلى جانب ذلك مستبعا طامعا ، وكان لزواجه بأخته ( أرسينوي ) Arsinoe ( وكان زواج الأخ بأخته ممنوعا في شريعة الإغريق ) أثر كبير في سياسته ، إذ كانت لها السيطرة التامة عليه ، وكانت امرأة لا تتورع عن ارتكاب الجرائم ومنها القتل والاضتيال لكي تنفذ بالسلطة ونشاط<sup>(٤)</sup> .

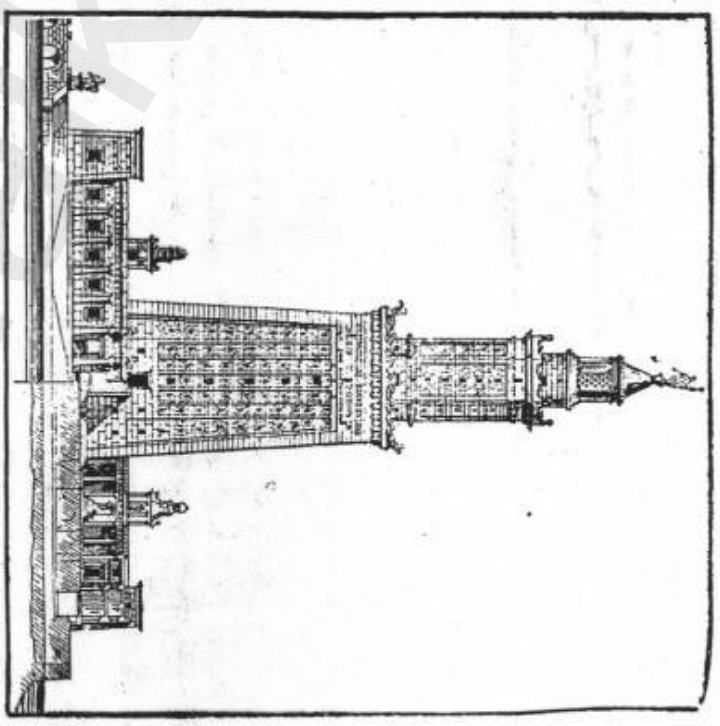
وطليموس هنا هو الذي عهد إلى المؤرخ المصري ( مانيون ) أن يضع كتابا باللغة اليونانية عن تاريخ مصر القديمة ، ففعل ، ولكن الكتاب أحرق ضمن مكتبة الإسكندرية سنة ٤٨ ق . م . ولم يبق منه إلا شذرات قلها بعض المؤرخين .

وطليموس الثالث ( افرجيت ) Euergete هو ابن بطليموس الثاني ، وقد تولى العرش سنة ٢٤٦ ق . م .

وبعد وفاة بطليموس الثالث آل العرش إلى ابنه بطليموس الرابع ، وكان شاكيا عاليا في الثانية والعشرين من عمره ، شغفا بالجون .

٢٠٠ ق . م .

١١) إبراهيم نصفي - تاريخ مصر في عصر البطالمة ج ١ ص ٥٣ .  
١٢) سيرجوخه - مصر العلمية ص ١٠ - الرابع السابق .  
١٣) سيرجوخه - مصر العلمية ص ٤٧ - الرابع السابق .  
١٤) سيرجوخه - مصر العلمية ص ٤٨ - الرابع السابق .



عارة الإسكندرية القديمة .  
أقامها بطليموس الأول وأكملها ابنه بطليموس الثاني

وزادت التجارة الخارجية في عهد البطالمة الأول ، وصارت الإسكندرية ملتقى القادمين من ثلاث الجهات .  
وتبنى مدرسة الإسكندرية الجامعة ( دار الحكمة ) ، وكانت تعرف عندهم بالوزيون ( مولد بيت الشعر والفن ) .  
وتنصرح فيها العلوم المروقة في ذلك العصر من رياضات وفلسفة وطب وآداب وطيبة وغيرها . وبذلك وجلب إليها طائفة من علماء الإغريق ( اليونانيين ) .  
وتركبت الدراسة فيها باليونانية .  
وتبنت جامعة الملكة الشهيرة التي عرفت بمكتبة الإسكندرية وأتم ابنه بطليموس الثاني عهده ونظمها .

وقد اصطفى من أجله رفاقاً من حثالة الإسكندرية أطلق الإسكندريون عليهم اسم ( إخوان الأنس )

وكان عبداً طبعاً لعشيقته المفضلة أجاتوكليا Agateoclea التي قلبت الدولة كلها رأساً على عقب ، ولم تقنع هي وأسرتها بالسيطرة على الملك ، بل تغلغل نفوذها في الدولة إلى حد طغى على نفوذه<sup>(١)</sup> .

ويقول ( هارولد بل ) عن بطليموس الرابع إنه كان غرا فاجرا مهتكا ، وكان ذليلاً مستضعفاً<sup>(٢)</sup> .

وتعاقب البطالمة على العرش ، وكانت غالبيتهم أهل مجون واستهتار بالأخلاق والفضائل الشخصية والسياسية ، وكانت قصورهم مباءة لأحط أنواع الفساد والرذائل . وظلوا كذلك حتى انقرض حكمهم بانتحار كليوبترا آخر ملوكهم سنة ٣٠ ق . م .

### سياسة البطالمة في مصر

حكم البطالمة على الرغم من إرادة أهلها ، ولم تكن لهم صلة بها ، اللهم إلا في أن بطليموس الأول كان كما أسلفنا أحد زملاء الإسكندر في الحروب ، هذا إلى أنهم اتخذوا سمات الفراعنة ليتمتعوا بما كان للفراعنة من سيطرة مطلقة على البلاد .

ولقد سار البطالمة في الملك الذي آل إليهم سيرة تختلف عن سيرة الفراعنة ، وسيرة الإسكندر وسياسته ، فلم يجرموا حتى الاستقلال الداخلي الذي لقره الإسكندر في مصر .

### التفرقة العنصرية

وإن ما شهدته المصريون منهم ، قد دل على مقاصدهم من البقاء فيها كانت ولا ريب مقاصد استعمارية بغضه ، وكانوا يتبعون في مصر سياسة التفرقة العنصرية .

فقد أخذت هجرة المقدونيين واليونانيين إلى مصر تتفاقم في عهدهم ، إذ رأوهم يؤلفون دولة يونانية ويحتلون بنى جلدتهم إلى مصر ، ويرغبونهم في البقاء فيها بمختلف الوسائل والامتيازات .

وبدأت هجرة هؤلاء المستعمرين إلى مصر في عهد بطليموس الأول ، واستمرت في عهد خلفائه من بعده .

(١) بيرجوجيه - المرجع السابق ص ٦١

(٢) هارولد بل Harold Bell الهلينية في مصر ص ٨٢ . تعريب الأستاذ زكي على .

أراد البطالمة أن يجعلوا من مصر دولة مقدونية لا مصرية ، وأن يتخذوها مستعمرة لهم فيكونون أهم ملوكها وحكامها المستعمرين .

ولم تكن لهم يد على مصر حتى يؤول إليهم حكمها بإرادة أهلها ، ولا علاقة لهم بها من قبل ، ولا ضم أسرة معروفة فيها ، فإن تسميتهم بالبطالمة راجع إلى أن أول ملك منهم كان اسمه بطليموس بن لاجوس .

وحتى لو كانت مصر قد أفادت من الإسكندر إذ حررها من حكم الفرس ، فلم تكن لترضى أن يكون هو ملكاً عليها بدلاً من الفرس .

فمن باب أولى لم يكن لبطليموس هذا أي يد عليها ، بل كان اعتلاؤه عرشها اغتصاباً منه . وقد اتسم حكمه ، وحكم خلفائه من بعده بطابع الغضب والقهر ، وبخاصة لأنهم نظروا إلى مصر كأنها مستعمرة مقدونية ولم ينسوا يوماً صفتهم اليونانية .

واستمرت اللغة اليونانية لغتهم ، وقد جعلوها اللغة الرسمية للدولة ، وكانوا يجهلون اللغة المصرية ، ولم يحاولوا قط أن يتعلموها ، ولم يتعلمها ( العامة منها ) سوى ( كليوبترا ) آخر البطالمة .

ولم يعترفوا باللغة المصرية في مخاطباتهم أو في مراسلات الحكومة . وعلى الرغم من طول المدة التي حكموها فيها مصر والتي بلغت ثلاثة قرون ، فإنهم لم يتركوا لغتهم ولم يتعاملوا بغيرها ، وظلوا مقدونيين يونانيين طوال هذه القرون .

واستأثر الإغريق بالمناصب الرفيعة في الدواوين وفي القصر الملكة ، ولم يكن نصيب المصريين سوى الوظائف الصغيرة فحسب .

واستعلى البطالمة على المصريين عامة ، واتخذوا من اليهود عملاء لهم وأولياء ، وأغدقوا عليهم المزايا ليضمنوا بقاءهم إلى جانبهم ، وليفسدوا بهم القومية المصرية .

وظل البطالمة يونانيين في تفكيرهم وشعورهم ولغتهم وفي كل مظاهر حياتهم . فالمصريون في عهد البطالمة قد فقدوا استقلالهم ، وأسس إليهم في حياتهم الاقتصادية والشخصية .

وعاملهم المقدونيون واليونانيون من أول عهد بطليموس الأول معاملة شعب مغلوب على أمره ، بينما علموا بنى جنسهم معاملة السادة ، فكان هذا ولا ريب ضروب الاستعمار .

واعتمد البطالمة على المقدونيين واليونانيين في حكم البلاد ، وفي تنظيم قوة الدفاع عنها ، وحكموا البلاد باعتبارهم أجانب عنها ، وفتحوا لليونانيين والمقدونيين أبواب الوادي ، ودعواهم لإقامة فيه ، وأجزلوا لهم العطايا والمنح والمزايا ، كل ذلك على حساب الوطنيين .

وبلغ تعصب البطالمة لجنسهم وكرهيتهم للمصريين أن حظر بطليموس الثاني ( فيلا دلف )

على انصرين الوافدين على الإسكندرية أن يطيلوا إقامتهم فيها<sup>(١)</sup> ، ولما زال هذا الخطر ، تألفت من المصريين بالإسكندرية طبقة من الصناع والعمال وبعض الجنود ، وكانوا يعتبرون عنصرًا أجنبيًا عن المدينة ، ولم يندمجوا في هيئة المواطنين<sup>(٢)</sup> .

وأثأ البطالة جيشًا معظمه من المقدونيين واليونانيين . ولم يجندوا فيه المصريين خوفًا من أن تستثيرهم الروح الحربية ، وتخفروهم إلى المطالبة بحقوقهم واستقلالهم ، وكانت لهم فيه الأعمال الثانوية فقط ، كالنقل والتموين ، وكان البطالة يستقدمون الجيوش المرتزقة من مقدونيا واليونان ، ويفرونهم بالاقطاعات الزراعية يمنحونهم إياها ترغيبًا لهم في البقاء في مصر .

واستزفوا ثروة البلاد في سبيل إشباع أطماعهم وأطعام بنى جديدهم . وقصروا أعمال السخرة في المنافع العامة على المصريين دون المقدونيين واليونانيين ، مع أن مزايا هذه السخرة قد استأثر بها هؤلاء الأجانب المستعمرون .

وزادت أعباء الضرائب على عاتق الأهلين بسبب إسراف البطالة في نفقاتهم وأهوائهم ، وكثرة الحملات البرية والبحرية التي شنوها على جيранهم دون أن يعود منها أى فائدة لمصر ، واستمروا في سياسة اضطهاد المصريين .

لجأ المصريون في مقاومة هذا الاضطهاد منذ الساعة الأولى إلى المقاومة السلبية ، أى الإضراب عن العمل . واشترك في هذا الإضراب الفلاح في المزارع ، والعامل في المصانع وفى المناجم والمهاجر ، وكانت الحكومة تقابل هذا الإضراب بالقمع والاضطهاد .

فلجئوا إلى سياسة جديدة في المقاومة ، وهى هجر المزارع والمصانع ، والاختفاء في الصحارى والمعابد .

وضعت أسس السياسة الاستعمارية في عهد بطليموس الأول ، وسار على نهجه خلفاؤه ، وصارت أداة الحكم أجنبية ، وعومل المصريون بالزراية والاضطهاد .

ولم يندمج المصريون فى المقدونيين واليونانيين ، ولم يستطع البطالة أن يدمجهم فى جنسهم . ولكن جنح بعض المصريين إلى مصانعة البطالة لكى يأمنوا على أنفسهم وينالوا عطف الغاصبين ، فإن جمهرة الشعب قد بقيت بمنأى عن مصانعة الغرباء المستعمرين .

وسن البطالة من النظم والقوانين ما جعل المصريين وخاصة الفلاحين مضطهدين مسلوبة حقوقهم ، متقلبن بالضرائب والالتزامات ، وظهر البطالة على حقيقتهم ، وهى أنهم غزاة غاصبون ، ومستعمرون مستبدون .

يقول ( بييرجوجيه ) إن البطالة احتكروا موارد البلاد الاقتصادية ، وانحصرت القوة

الاقتصادية فى يد الملك على حساب الكهنة وعلى أساس استعباد الطبقة العامة من الأهلين<sup>(١)</sup> .

كان الملك البطلمى يعتبر نفسه مالكا لجميع الأراضى ، وكان النظام الاقتصادى المتبع هو الاستبداد الاقتصادى<sup>(٢)</sup> .

وكان الاحتكار الملكى ، علاوة على الأراضى ، يشمل للمناجم والمهاجر والملح والنظرون والجمعة والشبنة والزيت ومصائد الأسماك وديع الجلود والورق والبخور ، والروائح والحمامات والمصارف ( والبنوك ) ومنسوجات التيل والصوف والقنب ، وبالنسبة للمصرى لم تكن له أية حرية اقتصادية .

وكان الملك البطلمى يعتبر مصر ضريبة له ، ووزير ماليته مدير الضريبة .

وحرص البطالة على أن يصيغوا هذه الفكرة فى عبارات واضحة ، وأن يثبوا فيها القوة نتيجة اتفاق زعموا أنه عقد بين آله مصر ومؤسس أسرة البطالة ، إن نقشا هيروغليفيا على جدران معبد ( ادفو ) ، يروى كيف أن الأراضى المنزرعة فى كل أنحاء مصر من إلفتين ( أسوان ) حتى البحر ، قد أهداها إله حوروس إلى ابنه الملك حوروس الحى ( بطليموس ) ، ومعها وثائق الملكية وسجل وصفى للممتلكات وعقود الاستيلاء عليها ، وقد خطها جميعًا بيده إله توت المسجل السماوى<sup>(٣)</sup> .

واحتكر المقدونيون واليونانيون المناصب الممتازة فى الريف والحضر . ولا غرو فالأسرة المالكة الأجنبية فى بلاد يحكمها جهاز من الموظفين لا تشعر بالاستقرار والطمأنينة إلا إذا استندت إلى مجموعة من الموظفين الأجانب<sup>(٤)</sup> .

يقول ( هارولد بل ) Harold I. Bell فى هذا الصدد : « إن المصريين الذين رحبوا بالأمس بمقدم الإسكندر واعتبروه مخلصًا لهم ، كان لهم بعض العذر فيما خامرهم من شعور ، بأنهم فى عهد البطالة إنما كانوا يعاملون فى الواقع على أساس أنهم شعب ذليل مقهور ، وكان شعورهم بتلك المذلة والمنزلة الدنيا قد تأكد لديهم بما كانوا عليه من عدم المساواة من الناحيتين : الاجتماعية والاقتصادية ، وكان بعض الكهنة من ذوى المراتب السامية ، ونفر قليل من أفراد المصريين الذين تولوا وظائف هامة فى السلك الإدارى ، يؤلفون نوعًا من الأرستقراطية الوطنية ، ولكن الغالبية العظمى من المصريين كانوا ينتمون إلى طبقة منزلتها فى المجتمع أدنى من منزلة المستوطنين من اليونانيين فى مصر ، فكان من المصريين من اتخذوا الحرف والصناعات مهنة لهم ، ومنهم من

(١) بييرجوجيه - مصر البطلمية ص ٦٨

(٢) بييرجوجيه - مصر البطلمية ص ٧٦

(٣) إبراهيم نصحى - مصر فى عصر البطالة ج ١ ص ٤٦٩ من الطبعة الأولى .

(٤) بييرجوجيه - مصر البطلمية ص ٨٥

استأجر الأراضي الملكية ، ولو أن بعضهم تسلم حصصاً من الأراضي أو استحوذ على قدر من الأرض الخاصة ، فإن حصصهم وأصبتهم كانت في العادة أقل من مثيلاتها لدى اليونانيين ، وفي الحق إنهم كانوا يواجه عام فقة المستأجرين والمستخدمين فهم الأداة المنفذة والطبقة الكادحة والعاملة باليد ، وتقبلها من الناحية الأخرى طبقة يدها السلطة الإدارية ، ولها المهمة والنفوذ ، ولا ريب أن المصريين كانوا يشعرون بما هم عليه من منزلة دنيا ، وكثيرون منهم كانوا يقابلون ما يعدونه من قبيل احتكار اليونانيين لشأنهم بالعدوان والنفور .

إلى أن قال : « وكان أمراً طبيعياً أن يقابلوا أفعال أولئك اليونانيين بشيء من الأنفة القومية والاحتقار لأساليب وأقدار أولئك المستوطنين المحدثين المتحذلقين ، ولدنيا دليل قاطع مشتمل على بعض قطع من الأدب المتأجج بروح الوطنية والمنطوى على بعض النبوءات ، يشير إلى وجود حزب وطني ناهض كانت نداعبه الأحلام ، ويتطلع إلى اليوم الذي ينتظر فيه طرد الملك الأجنبي البغيض من البلاد » .

إلى أن قال : « ومن بين الحروب الداخلية التي نشبت في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد . واستنزفت قوى الملكية اندلعت بضع ثورات وحركات قومية كان الوازع لها حب الوطن ، ومنذ عهد مبكر يرجع إلى القرن الثالث ، ترامت إلى سمعنا أنباء عن قيام اضطرابات وطنية » .

وقال أيضاً : « وكان الملك يؤلف بين جميع هذه العناصر المتباينة رباطاً من التبعية المشتركة والخضوع لإرادته ، فهو وحده المصدر الذي يستمد منه القضاء والعدالة ويرجع إليه في جميع مظاهر السلطة الإدارية ، وكانت مصر ضيعة الملك وكبار الموظفين الإداريين فيما بمثابته أتباعه ورجال دوائره » (١) .

وفي هذا المعنى يقول بيير جوجيه : « سيرى القارئ أن خلفاء أول البطالمة ينفذون سياسة هيلينية واسعة النطاق تقضى بتتخية العنصر الوطني عن المناصب الرفيعة ، وإقصائه إلى المكان الدليل ، بل وتغصب أملاكه المتوارثة لصالح المهاجرين وذرياتهم ، وهذا النظام قد أدى إلى رد فعل عنيف وإلى انقلابات أضعفت أسرة البطالمة » (٢) .

وقال جوجيه في موضع آخر : « إن البطالمة قد أقطعوا الأراضي من شاءوا من رجالهم وجنودهم ، وفي اتباع هذه الوسيلة اضطهاد للمصريين الذي رآوا على طول البلاد أراضي خصبة تنتقل ملكيتها إلى الأجانب ، بل ويجبر المصريون على إخلاء جزء من مساكنهم ليحتلها أولئك الغريباء ، ولقد بدأت هذه السياسة من عهد بطليموس الأول الذي أعطى لجنوده أراضي واسعة » (٣) .

وحتى أعمال العمران التي قام بها البطالمة كشق الترع وإقامة الجسور واستصلاح الأراضي ، قد أكره فيها المصريون على العمل وقاموا بها على وجه السخرة ، ولم يستفد المصريون من استصلاح الأراضي الزراعية ، فقد أقطعها البطالمة لبني جلدتهم (١) .

وقال جوجيه في موضع آخر : « إن مصر قد أصابها الفقر بسبب الأزمات الاقتصادية في عهد البطالمة » (٢) .

وقد ترتب على سياسة الاضطهاد الاقتصادي التي اتبعها البطالمة ، نقص سكان الريف ، ونقص مساحة الأراضي المنزرعة .

قال الدكتور إبراهيم نصحي في هذا الصدد : « وقد نتج عن نقص سكان الريف وأد الأطفال الذين كانت الفاقة تدفع الأهالي إليه ، وعن نشاط الإسكندرية الصناعي والتجاري الذي كان يجلب العمال إلى العاصمة ، وعن الحروب والثورات الدموية التي كان يفنى فيها الكثيرون » (٣) .

### الثورات على البطالمة

لم تستم أمة المصرية لحكم البطالمة ، ولا فئيت شخصيتها في الاستعمار المقدوني الإغريقي ، واحتفظت بطابعها وتقاليدها وديانتها ولغتها القديمة .

وكان الحكم البطلمي يستند إلى القوة ، فإن الحماية البرية والبحرية التي تركها الإسكندر في مصر قبل أن يغادرها ، قد اتخذ منها بطليموس الأول نواة قوة عسكرية أكبر منها وأعظم ، استخدم فيها المرتزقة والمتطوعين من أبناء مقدونيا وبلاد الإغريق وآسيا .

وكان المصريون محرومين من جيش وطني من عهد الاحتلال الفارسي ، فلما زال الاحتلال حل محلّه الاحتلال المقدوني الإغريقي ، واستمر المصريون محرومين من جيشهم الوطني .

وحرص البطالمة في أوائل عهدهم على حرمان المصريين شرف الاشتراك في حروبهم ، وقصروا قواتهم المقاتلة على العناصر المقدونية والإغريقية .

وحتى الذين استخدموهم من المصريين كانوا يعهدون إليهم بالثبوت الثانوية في الجيش ، كالنقل والتأمين وما إلى ذلك .

فلا غرابة في أن يكره المصريون حكم البطالمة الذي تكشف عن استعمار محقوت .

(١) إبراهيم نصحي - تاريخ مصر في عهد البطالمة .

(٢) بيير جوجيه - مصر البطلمية ص ١٦٧ .

(٣) إبراهيم نصحي - تاريخ مصر في عصر البطالمة ج ٢ ص ٤٧٧ من الطبعة الأولى .

(١) هارولد بل - الميلينية في مصر - تعريب الأستاذ زكي على ص ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٥ .

(٢) بيير جوجيه - مصر البطلمية ص ٣٥ .

(٣) بيير جوجيه - مصر البطلمية ص ٣٧ .



على أن المصريين مع صبرهم ومصابرتهم ، لم يدعوا فرصة تمر إلا واغتنموها للثورة على المستعمر البغيض .

وبرهنت الحوادث على قوة الحيوية الكامنة في هذا الشعب ، وصموده أمام العقبات ، وثورته على الاستعمار المرة تلو المرة ، حتى يتحرر منه .

يقول الدكتور إبراهيم نصحي في هذا الصدد : « لقد ضاق المصريون زرعًا بالنظام الاقتصادي الجديد منذ عهد ، فيلادلفوس ، فإن وثائق زينون تحدثنا عن وقوع اضطرابات بين المزارعين ، كانت تنتهي بإضرابهم عن العمل وفرارهم إلى المعابد للاجتماع بالألهة ، ولم تقل عن ذلك شأنًا الاضطرابات التي كانت تنشأ بين المشتغلين بالصناعة والتجارة في كنف النظام الجديد ، ولم يفض ذلك إلى الاضراب عن العمل فحسب ، بل كذلك إلى تهريب السلع وبيعها دون تصريح .

« وقد أدت أيضًا مختلف أنواع الخدمة الجبرية إلى إضرابات واضطرابات هائلة ، ولشد ما كانت تقابلها بعقوبات صارمة ، وقد وجد العيون مرتعا خصبًا في هذه الحالة ، التي لا يمكن تفسيرها بالنقائص الطبيعية في كل نظام جديد لم يألفه الذين كانوا يطبق عليهم ، إن السبب أبعد مدى من ذلك ، لأن النظام لم يكن صارمًا فحسب ، بل كان تطبيقه في قبضة أجناب اعتبروا أنفسهم أرفع قدرًا وأعظم شأنًا من المصريين ، ولم يتكلموا اللغة المصرية ، بل أرغموا على الأقل بعض المصريين على تعلم لغتهم الأجنبية ، وكانوا لا يعيدون آلهة بل آهنتهم الأجنبية التي أحضروها معهم ، ولا يجيئون الحياة التي كان المصريون يالفونها بل حياتهم الخاصة ، وكانوا يرغمون أهالي البلاد على بذل أقصى الجهد في استغلال المرافق الاقتصادية ، ولم يتحمل المصريون كل ذلك في سبيل آهنتهم أو ملوكهم الوطنيين ، الذين يعتقدون نفس المعتقدات الدينية ويتكلمون نفس اللغة ويجيئون نفس الحياة ، وإنما في سبيل خدمة قاهر أجنبي ومن يحيط به من الأجناب الذين منحهم أفضل المناصب وخير الفرص لإثراء أنفسهم ، فظفر الأجناب بالثروة حين حلت الفاقة بالمصريين ، وإذا احتاج مصري إلى اقتراض نقود أو بذور فإنه كان يقترضها عادة من أحد هؤلاء الأجناب ، وإذا أراد استئجار قطعة أرض فإنه كان يستأجرها عادة منهم ، فلا عجب إذن أدرك المصريون أنهم قد أصبحوا غريباء في بلادهم ، أداة يجب أن تكون طليعة في خدمة الأجناب ، ووسط هذه الظروف كان من اليسير أن يندلع ليهب الثورة لأي سبب ، فقد امتلأت النفوس غضبًا وحقنًا ، وتوفر جيش الثورة من ملايين الزراع والصناع والعمال الذين لم ينقصهم الفادة ، فإن رجال الدين ، وقد كذبهم البطالة بالقيود التي كسرت شوكتهم ، كانوا يحنون إلى استعادة ما كانوا ينعمون به في الماضي من الكرامة والعزة والنفوذ والثراء ، ولم يؤد مضى الزمن إلا إلى ازدياد الهوة من الفريقتين ، وساعد على ذلك أيضًا صرامة العقاب ، الذي كان يكال للناقمين على سوء الحال ، ولذلك فإن الاضطرابات التي بدأنا نشهدها في عهد فلادلفوس لم تنقطع في عهد خلفائه بل ازدادت عنفاً وشدّة .

« وإذا كانت أشد ثورات المصريين لم تقع إلا بعد انتصارهم في موقعة ( رفح ) ، فإن ذلك يرجع

دون شك إلى أنه كان ينقص المصريين الحافز الذي يعيد إليهم ثقتهم بأنفسهم ، ويذكي روح الوطنية الكامن في صدورهم ، فيخلصوا بلادهم من نير الأجنبي كما تخلص أجدادهم من الهكسوس<sup>(١)</sup> .

## أول ثورة على البطالة في عهد بطليموس الثالث إيفرجيت Evergete - الخير

إن أول ثورة قام بها المصريون ضد البطالة كانت في عهد بطليموس الثالث ( إيفرجيت ) . وترجع أسبابها إلى ازدياد روح التذمر والسخط على الحكم البطلمي ، ذلك السخط الذي بدأ في عهد بطليموس الأول ، ولم يصل إلى حد الثورة ، ولكن كانت له مظاهر خطيرة ، كالتوقف عن العمل بين الزراع والصناع والعمال المصريين بسبب كثرة الضرائب التي كانت الحكومة تفرضها عليهم .

وقد اشتد هذا السخط في عهد بطليموس الثالث ، لازدياد ما فرضه على الشعب من الضرائب والإتاوات بسبب حربه التي شنّها على ( سلوقس )<sup>(٢)</sup> Seleucus ملك سورية ، فازداد عسف الحكومة وضغطها على المواطنين ، وتفاقت وسائل القسوة في تحصيل الضرائب .

وفرض إيجارات مجحفة على الفلاحين ، الذين كانوا يزرعون أرض الملك ، حتى اضط هؤلاء إلى الهجرة من أماكن إقامتهم وعملهم ، مما أدى إلى إفقار القرى من ساكنيها<sup>(٣)</sup> .

وزاد في تيار السخط انخفاض منسوب فيضان النيل ، وحلول القحط في البلاد ، واشتداد الضيق بالأهلين ، فحنقوا على الملك الذي كان يشتط في القسوة عليهم ويجمع منهم الأموال لينفقها في حروب لا طائل تحتها ، كما حنقوا على رجال الحكومة لما عانوه من مساوئهم .

نشبت الثورة بين الأهلين حوالي سنة ٢٤٦ ق . م . في الوقت الذي كان الملك بطليموس الثالث يحارب في سورية .

فلما بلغته أنباء الثورة أسرع في العودة لإخمادها بقوة الجيش .

ولم تعد هذه الثورة أنحاء الدلتا .

وقد أفلح بطليموس الثالث في إخمادها بالقوة المسلحة .

غير أنها تركت في نفوس المصريين جراحًا أليمة حفزتهم إلى التريص بالبطالة الظالمين ، ومعاودة الكرة للثورة عليهم .

(١) إبراهيم نصحي - تاريخ مصر في عهد البطالة - ج ٢ ص ٧٦٨ طبعة أولي .

(٢) وإليه تنسب كلمة السلوقين والدولة السلوقية ، كما نسبت كلمة مصر البطلمية إلى البطالة .

(٣) الدكتور محمد عواد حسين - حركات المقاومة الوطنية في مصر البطلمية - طبع سنة ١٩٤٩ ص ١٧ .

## معركة رفح سنة ٢١٧ ق م

### والثورة الثانية

#### في عهد بطليموس الرابع

#### فيلوباتور Philopator (أى المحب لأبيه)

كانت سياسة البطالمة الثلاثة الأول إقصاء العنصر المصرى عن الجيش ، وجعله مقصوراً على المقدونيين واليونانيين .

ولما توفى بطليموس الثالث خلفه سنة ٢٢١ ق م . ابنه بطليموس الرابع ( فيلوباتور ) ذلك الشاب العايب الذى سبق الحديث عنه واستفاضت أبناء سيرته ( ص ٢٠٤ ) .

فانتهم أنطيوخس Antiochus ملك سورية هذه الفرصة وأعد جيشاً لمهاجمة مصر . وأدرك بطليموس الرابع أن قواته المقدونية واليونانية ليست كفيلاً بصد هذا الهجوم .

فاضطر إلى إدخال المصريين فى قواته المسلحة كجنود محاررين ليزداد بهم منعة ، فوجد منهم نحو عشرين ألف مقاتل ، مسلحهم بأسلحة مقدونية ودرهمهم وفقاً لفنون الحرب المعروفة فى ذلك العصر .

وفى عام ٢١٧ ق م بلغ الملك أنطيوخس بجيشه مشارف ( رفح ) ، والتقى بجيش بطليموس الرابع .

وبعد أن انتصر أنطيوخس على الجناح الأيسر الذى يقوده الملك الشاب وفشلت الجنود المقدونية فى صد الجيش السلوقى ، انبرى لهم المصريون الذين امتازوا بشجاعتهم وحسن بلائهم فى القتال ، فهزموا السلوقيين .

وانتهت معركة رفح بنصر مؤزر ناله الجيش البطلمى ، بفضل الفرقة المصرية .

فالنصر الذى أحرزه المصريون فى معركة رفح قد ملأ نفوسهم حماسة وثقة .

وبدأ البطالمة لأول مرة يعاملونهم لوقت محدود معاملة الأعداء بعد أن كانوا ينظرون إليهم كأنهم مقهورون .

يقول هارولد بل فى هذا الصدد : « ومن ذلك الحين أخذت الثورات تنشب من وقت لآخر ، وتقع غالباً فى الإقليم الطبى ، ولكن ليس هذا على سبيل الحصر بحال ما ، فهذا الإقليم كان دائماً الموطن الذى نبتت فيه القومية المصرية »<sup>(١)</sup> .

ويقول الدكتور إبراهيم نصحى : « إن الثورة التى وقعت فى عهد بطليموس الرابع ، لم تختلف كثيراً فى طبيعتها عن الثورة التى وقعت فى عهد بطليموس الثالث ، والثورات التى وقعت فى

عهد البطالمة المتأخرين ، لكن ثورة عهد بطليموس الرابع كانت أخطر من سابقتها لأن الجنود المصريين كانوا عندئذ أفضل تدريباً وتسليحاً ، ورأوا فى ميدان القتال أثناء موقعة ( رفح ) أنهم لا يقلون كفاءة ومقدرة عن الإغريق والمقدونيين ، وعندما عاد الجنود المصريون من انتصارهم فى موقعة ( رفح ) إلى قراهم ، وأخذوا يباشرون حياتهم العادية . ازداد إحساسهم بالألم من مركزهم الوضع بالنسبة للأجانب ، وحقنوا أكثر مما كانوا يحقنون فى الماضى على الأعباء المتزايدة التى كان النظام الاقتصادى يفرضها عليهم ، فلا عجب إذن أن انتهم رجال الدين المخلصون كل هذه الظروف واستنصروا وطنية المصريين ومشاعرهم الدينية ، فهبوا ثارين على طغاتهم ، وكل من لاذ بهم ، أو انتصر لهم ، أو تخلف عن ركب الوطنية ، ولا يبعد أن أحد العوامل الهامة التى ألهمت مشاعر المصريين وخاصة فى مصر العليا ، ودفعتهم إلى الثورة ضد لبطالمة ، كان بقاء التقاليد الفرعونية فى وادى النيل جنوبى مصر لأنه إذا كان الغزاة المقدونيون والإغريق قد أخضعوا بمصر نفسها فإنهم لم يخضعوا كل دولة الفراعنة القدماء ، أو بعبارة أخرى كل منطقة الحضارة المصرية ، ولا شك فى أنه عندما كان المصريون الوطنيون يرون تقاليدهم القديمة نسود ذلك الإقليم الواقع على الحدود الجنوبية ، كانت صدورهم تتأجج وطنية ، وكانت تبدو لهم بارقة أمل فى إحياء ماضيهم المجيد واسترجاع حريتهم العزيزة ، فيدفعهم كل ذلك إلى البذل والفداء »<sup>(١)</sup> .

كانت واقعة رفح نقطة تحول كبير فى موقف المصريين تجاه غاصبيهم وبداية الثورات الوطنية التى زلزلت عرش البطالمة ، فثار المصريون فى الوجه البحرى عام ٢١٦ ق م . يريدون التحرر من البطالمة ، وامتدت الثورة إلى مصر الوسطى ، ثم إلى مصر العليا .

وقد أسفرت هذه الثورة عن استقلال إقليم طيبة عن حكم البطالمة نحو عشرين عاماً ( من سنة ٢٠٦ إلى سنة ١٨٦ ق م ) .

وقد أضعفت هذه الجهود سلطان البطالمة عامة ، وانتهى بهم اضعف إلى الارتقاء فى أحضان ( روما ) ، يلتهمون منها المعونة والحماية .

غير أن الحكومة عادت وبسطت سلطانها عليها فى عهد بطليموس الخامس سنة ١٨٦ ق م . ، ونجحت فى القضاء على هذه الثورة ، واستلزم إخمادها جهوداً عسكرية كبيرة .

كانت هذه الثورة أخطر ثورة قامت ضد البطالمة ، وقد أخدمتها الحكومة وأعدمت زعماءها .

وقد علل الدكتور إبراهيم نصحى اخفاق الثورات عامة على البطالمة بأسباب عدة ، منها أن الثوار لم يكونوا فى قوة البطالمة الحربية التى امتازت بتفوقها فى الأسلحة والعتاد والأموال ، ومنها أن المصريين لم يكونوا على اتحاد تام فى الهدف والغاية ، بل كانوا يصابون أحياناً بداء الانقسام . وأن البطالمة استطاعوا أن يجندوا إلى صفهم بعض العناصر ليضربوا بها الثورة<sup>(٢)</sup> .

(١) إبراهيم نصحى - تاريخ مصر فى عصر البطالمة ٧٧٤/٢ من الطبعة الأولى .

(٢) إبراهيم نصحى - تاريخ مصر فى عصر البطالمة - ج ٢ ص ٧٩٧ من الطبعة الأولى .

(١) هارولد ا . بل - الجليلية فى مصر - تعريب الأستاذ ركى على ص ٨٣ .

« والثورات التي ملأت عهد بطليموس الرابع ( فيلپاتور ) ، وبطليموس الخامس ( اپيانا )  
قد أحدهما بطليموس التاسع تحت أسوار مدينة طيبة<sup>(١٧)</sup> .

### الثورة الرابعة

في عهد بطليموس السادس  
فيلومتور ( Philometor ) ( الخب لأمه )  
وحاية روما للبطالة

بعد وفاة بطليموس الخامس سنة ١٨٠ ق م . اعتلى العرش ابنه بطليموس السادس ، وكان  
هذا أيضا صغير السن لم يجاوز السابعة من عمره ، ووضعت الوصاية عليه .

واشتكت مصر والسارقين في حرب حثيئة .

وانتصر الملك السلوقي ( أنطيوخس الرابع ) ، ملك سورية على الملك البطلمي في يليز  
( الغرما ) ، وزحف حتى وصل إلى منف ، واحتال على بطليموس السادس حتى قفز عليه ،  
فنادى الإسكندرليون بأبيه الصغير ملكا ، وهو الذي عرف فيما بعد باسم بطليموس الثامن ،  
وبعد ذلك استأنف أنطيوخس الرابع زحفه حتى ضرب الحصار على الإسكندرية ، وقطع اتصالها  
برأ بمصر .

فاستمرخ الملك البطلمي بروما لحمايته ، لكن روما لم تستطع التدخل وقتئذ لأنها كانت  
على وشك دخول الحرب القديزية الثالثة ، ولم يتقد مصر في ذلك الوقت إلا وقوع اضطرابات  
في الدولة السلوقية اضطرت أنطيوخس إلى مغادرة مصر ، تاركًا وراءه فيها ملكين : بطليموس  
الصغير في الإسكندرية ، وبطليموس السادس في منف ، معللا الأمل في أن الخلاف بين الأخوين  
سيهدأ له في المستقبل سبيل الاستيلاء على مصر ، ولكن كليوتيرة الثانية أحت الملكين استعصمت ،  
أن توافق بينهما ، وحكم ثلاثتهم سويا ! وبعد عامين عاود أنطيوخس غزو مصر ، وعندما تدخلت  
الجمهورية الرومانية ، وقد برزت قوتها في الميدان ، وأخذت تعمل لحفظ التوازن بين دول  
الشرق ، ورأت أن أنطيوخس وقد استمر في زحفه حتى ضرب الحصار في الإسكندرية لم يعد  
من مصلحتها تركه وشأنه ، وكانت روما قد خرجت مستمرة من حربها مع مقدونيا سنة  
١٦٨ ق م . فرأت أن تمل إرادتها على أنطيوخس بطريقة بالغة متعنى القسوة والإذلال .

إذ جاء السفير الروماني وسلمه رسالة حوت قرار مجلس الشيوخ الروماني في هذا الصدد ،  
فاطلع أنطيوخس على الرسالة ، وأعلن أنه سيتخير الأمر مع رفاقه .

(١) سيرجونه - الرجح السابق ص ١١٧ - ١١٩ .

وبما قبل من المآخذ على هذه الثورات ، فحسب المصريين أنهم قاموا بالثورة المرة تلو المرة ،  
ولم يسكتوا على الحكم الأجنبي ولا استسلموا له وأنهم بثوراتهم المتكررة ضد البطالة قد زلزلوا  
دولتهم ، حتى انتهت إلى الانحلال والذوال .

### الثورة الثالثة

في عهد بطليموس الخامس  
إيپفان ( Epiphane ) ( الظاهر )

اعتلى بطليموس الخامس عرش مصر سنة ٢٠٣ ق م . وهو حدث صغير السن ، فقول  
الوصاية عليه وصى قائد وهو ( أجاثوكليس ) Agathocles ( أجاثوكليا )  
عشيقة بطليموس الرابع التي تقدم الحديث عنها ( ص ٢٠٤ ) ، وقد امتلأ البلاط الملكي  
بالإسكندرية بالسكرات والوزاربات .

والتمت السخط على سيرة الوصي ، ولما تمت الثورة على الانصر في الإسكندرية .

وتفجع عنها قتل الوصي أجاثوكليس وأحت أجاثوكليا وأمها ، وعين وصى آخر ، فلم تنقطع  
الثورة .

وعصت الثورة الوجه البحري والوجه القبل : وكانت أنيدوس ( العربة المدفونة ) معقل  
الثورة في الصعيد .

فخرجت عليها المكورة البطلمية جيشا لحصارها ، ولكن أهلها استسلموا في الدفاع عنها ،  
وزودوا هذا الجيش عنها .

واستمرت الثورة في الوجه القبل حتى عام ١٨٤ - ١٨٣ ق م . وهو العام الذي قضى  
فيه على الثورة في الدلتا عندما استولت قوات بطليموس الخامس على سايس<sup>(١٨)</sup> .

ويبلغ من وحشية هذا الملك أنه عندما سلم زعماء الثورة بعد أن آمنهم على حياتهم  
أعلمهم بطريقة وحشية<sup>(١٩)</sup> .

يقول سير جرجيه في هذا الصدد : « جاء إيبراك المصريين في القتال ضد أنطيوخس نتيجة  
اضطراب بطليموس الرابع إلى الاستمالة بهم ، ولكن هذه الاستمالة جاءت وبأعلى ، لأن الوطنيين  
وقد استأروهم انصهار ( رفع ) ، لم يعد في الإمكان أن يحصموا المخصخ للبطالة ، وأخذوا يعملون  
على أن يكون لهم رئيس منهم .

(١١) صا الحبر ومكافئها الآن بالقرب من كفر الزيات الحالية .

(١٢) لإبراهيم نغمسي - تاريخ مصر في عصر البطالة الرجح السابق ص ١٧٥/١ ( من الطبعة الثانية ) .

## الثورة السادسة في عهد بطليموس التاسع والعاشر

ازدادت الأحوال اضطراباً بعد وفاة بطليموس الثامن، إذ تجدد النزاع العائلي بين حداثه، وكان قد أوصى بأن تخلقه زوجته كليوبترا الثالثة<sup>(١)</sup>. على أن تشارك معها من تختار من وديها بطليموس التاسع (الأكبر) والعاشر (إسكندر). وكانت كليوبترا تؤثر لئنها بطليموس الإسكندر، وشاعت الدسائس والمؤامرات في انقصر، وأكرهها الشعب على اختيار الابن الأكبر شركاً لها، فقبلت ذلك مرغمة. ولم يمض عامان حتى تجددت الثورة، وخاصة في مصر الوسطى، وفي الصعيد. ووجد الملك بطليموس التاسع على الثوار جيشاً حاصراً في طيبة (مقل الثورة) وظفر بهم وخرب المدينة سنة ٩٥ ق م. تخريباً وحشياً. وفي هذا الصدد يقول هارولد بل: «كانت مصر طوال فترات طويلة من القرنين الثاني والأول قبل الميلاد تتردى في هاوية من الحرب الأهلية وتتن من غصصها وويلاتها، ويبدو أن الإقليم الطبي كان من وقت لآخر مستقلاً بالفعل عن مقر الحكومة بالإسكندرية، وفي سنة ٨٥ ق م. استماتت طيبة في الثورة والعصيان، مما أدى بها إلى نهاية أليمة بتخريبها والقضاء عليها فعلاً، وكانت عاصمة البلاد العتيقة في عصور مجد مصر وعظمتها، تلك هي حال «طيبة» ذات الأبواب المائة» كما سماها هوميروس، لأن ما بقي منها منذ ذلك الوقت لا يعدو بضع قرى متناثرة وسط الأثار المخلفة عن سالف عصرها الزاهر»<sup>(٢)</sup>.

## بطليموس الثاني عشر (الزمار)

ولم تنقطع الثورات ضد الحكم البطلمي، وزاد من أوارها تدخل الدولة الرومانية لحماية من تراه سخاضاً لنفوذها من الملوك البطلمية. إلى أن اعتلى العرش بطليموس الثاني عشر (أوليتس = الزمار)، وقد أطلق عليه الشعب هذا اللقب تعبيراً عن أبرز صفاته، إذ كان يجيد العزف على الموسيقى. وقد جاهر برلائه لروما، والتبس منها العضا. والعون لثبيت مركزه المتداعي. وذهب إلى روما فعلاً سنة ٥٨ ق م. وأطال مكثه هناك عدة سنوات، وعاد إلى مصر سنة

(١) هي غير كليوبترا السابعة التي اشتهر اسمها في التاريخ.  
(٢) هارولد بل: مصر البطلمية. مرجع السابق. ترجمة الأستاذ زكي على ص ٨٧.

فلم يكن من السفير الروماني إلا أن خط بعصاه دائرة على الرمال حول أنطيوخوس، وأعلن أن الأمر يقتضى أن يمدى الملك الجواب قبل مبارحته تلك الدائرة.

فأذعن أنطيوخوس وأتفه راغم، وكظم غيظه، واضطر للنزول على إرادة روما، فقررت إظهاراً لقوتها أن تطلب منه الوقوف في زحفه حتى لا يقوى بفوزه على البطلمة، وانسحب من مصر.

ومن يومئذ صارت دولة البطلمة تحت الحماية الفعلية للجمهورية الرومانية، واستغلت روما النزاع الذي دبّ بين أفراد أسرة البطلمة لدعم نفوذها في مصر.

وكانت أولى حلقات هذه المرحلة النزاع بين بطليموس السادس وأخيه الصغير وشريكه في الملك.

وقد أهدت هذه الأحداث المشاعر الوطنية ضد القصر الملكي، ووجدت هذه المشاعر صداها في موظف كبير في القصر يدعى ديونيسيوس بتروسرايس، وكان مصرياً من أفراد الحاشية الملكية، فتزعم ثورة جديدة على البطلمة سنة ١٦٥ ق م.

وسارع ديونيسيوس هذا إلى الاحتشاد في (الحدرة)، وقاتلت جموع الثوار قوات الملك بطليموس السادس، ولكنها ظهرت عليهم وظفرت بهم. وانتقلت الثورة إلى الوجه القبلي، فانتصرت عليهم قوات الملك في أحميم.

وعندما اشتد النزاع بين الأخوين، تدخلت روما، لالتصلح ذات الين بينهما، ولادعم عرش البطلمة، بل لتزيده ضعفاً على ضعف بتقسيم الدولة بين الأخوين، فباركت روما عقد اتفاق بينهما سنة ١٦٣ ق م. تقرر بمقتضاه أن تكون مصر وقبرس من نصيب الأخ الأكبر، وبرقة من نصيب الأخ الأصغر!

وهكذا ظفرت روما بتفكيك عرى الدولة البطلمية، وصارت الحكم في المنازعات الداخلية فيها.

## الثورة الخامسة في عهد بطليموس الثامن

بعد وفاة بطليموس السادس ومقتله بطليموس السابع آل العرش إلى أخيه بطليموس الثامن، وكانت سيرته من الفساد والقسوة قد أوججت نار العداوة ضده، فاشتعلت الثورة في طول البلاد وعرضها، وكانت مزيجاً من النزاع العائلي والثورة الوطنية، وبعد جهد أحمدد الملك بالفترة والوحشية، ثم أصدر قرارات عفو سنة ١١٧ ق م. تدعو إلى تهدئة الحال.



### مصرع بومبي Pompei

وفي غضون ذلك جاء مصر القائد الروماني الشهير بومبي الذي كان وقتا ما مقصلا عاما في روما ، وكان خصما ليوليوس قيصر ومزاحماً له على السلطة .  
وكان مجيئه لمصر لاجئاً بعد هزيمته أمام يوليوس قيصر ، وظن أنه سيجد فيها العون ، إذ كان صديقاً لبطليموس الزمار ، وعاونوه في روما على العودة للحكم .  
ولكن بومبي لم يكذب يدنو بقاربه من الشاطئ بالقرب من بيلوز ، حتى اغتاله صف ضابط روماني في خدمة الجيش البطلمي ، فمات قتيلًا سنة ٤٨ ق م .

### يوليوس قيصر وكليوباترة

وجاء يوليوس قيصر إلى الإسكندرية سنة ٤٨ ق م . يتعقب خصمه بومبي ، ومعه قوة من أربعة آلاف مقاتل ، وعلم بنياً مصرع بومبي ، فأظهر الحزن على خاتمته .  
وكان أنصار بطليموس الثالث عشر ( ابن الزمار ) يظنون أن قيصر سيعود من حيث أتى ، بعد مصرع خصمه ، ولكنه لم يرحب الإسكندرية ، بل بقى فيها كأنه الحاكم بأمره .  
واتخذ قصر البطلمة مسكناً له ، وكان ذلك بمثابة اعتبار مصر ولاية رومانية .  
وأمر كليوباترة وأخاها بتسريح جيشهما والحضور إلى الإسكندرية للفصل في النزاع القائم بينهما ، وفقاً لوصية أبيهما الزمار .  
وكانت كليوباترة وقتئذ في أقصى حدود مصر ، فخشيت إن هي وصلت إلى الإسكندرية أن يقتلها رجال البلاط من أنصار أخيها .  
فجاءت خفية بطريق البحر ، يصحبها كاتم أسرارها ، ووصلت في زورق إلى القصر الملكي ، وأدخلها كاتم أسرارها إلى القصر ملفوفة في سجادة ! .  
فلما رآها يوليوس قيصر في هذا الوضع ، بهت لهذه المفاجأة .  
ومن هذه اللحظة وقع الدكاتور الروماني العظيم في غرامها .  
وقبلت أن يحكم يوليوس قيصر بينها وبين أخيها ، واستعملت مع قيصر سلاح الفتنة والإغراء لتجلبه إلى صفها .  
فاستدعى أخاها للتوفيق بينه وبين أخته ، ولكن الملك الصبي لم يكذب يرى أخته حتى استولت عليه عاصفة من الهياج والغضب ، وراح يجرى في الشوارع ليستصرخ الجمهور .  
وقد أعاده جنود قيصر إلى القصر .  
وكادت تحدث فتنة بين الجماهير ، لولا أن هدأ قيصر روعها ، وتلا على الجموع وصية

٥٥ ق م . بعد أن اشترى ذمم رجال السياسة في روما ليؤيدوه في مركزه ، واشتط في معاملة الأهلين ، واستنزف أموالهم ليسدد ديونه من المرابين الرومان .  
وكتب وصيته بأن يخلفه على العرش أكبر أولاده ، وهما كليوباترة الشهيرة ( السابعة ) مشتركة مع أخيها بطليموس الثالث عشر .  
ولما كان هذا الزمار غير مطمئن إلى الشعب المصري في تنفيذ وصيته لكرهته له ، فقد أودع الوصية لدى الجمهورية الرومانية ، وعهد إلى الشعب الروماني الإشراف على تنفيذها ! .  
وكان ذلك اعترافاً منه بحماية روما لمصر .  
وتوفي بطليموس الزمار هذا سنة ٥١ ق م . محتقراً من الشعب ومن الرومان معاً .

### كليوباترة Cleopatre

ترك بطليموس الزمار بيتين : هما كليوباترة Cleopatre وأرسينوى Arsinoé وولدين وهما بطليموس ( الثالث عشر ) وبطليموس ( الرابع عشر ) .  
وكانت وصيته كما أسلفنا أن تخلفه على العرش كليوباترة وأكبر ولديه ( بطليموس الثالث عشر ) ، على أن يتزوج أخته الكبرى ( كليوباترة ) ، ويشتركا معاً في الحكم .  
كانت كليوباترة تبلغ الثامنة عشرة من عمرها ، وأرسينوى في السادسة عشرة ، وبطليموس الثالث عشر في الثالثة عشرة ، والرابع عشر صغير السن<sup>(١)</sup> .  
وقد تطلعت كليوباترة منذ الساعة الأولى إلى الانفرد بالحكم ، ومن هنا نشأ النزاع بينها وبين أختها ، وكان رجال القصر من ناحيتهم يريدون الاستئثار بالسلطة ، فأوغروا صدر أخيها وضموا إليه جمهرة الإسكندرانيين .  
وفي بداية الأمر لقي بطليموس الثالث عشر عطف الأهلين الذين تقموا من كليوباترة سعيها لاغتصاب الملك من أخيها ، فثاروا عليها ، وخرجت من الإسكندرية ، لالتستسلم للأمر الواقع ، بل لتدبر الدسائس لتنتزع الملك لنفسها .  
وجندت من استطاعت تجنيده من البدو المتأخمين للمطود الشرقية ، وكانت تعرف لغتهم ، واعتزمت دخول مصر ثانية على رأس جيشها ! .  
وكان أنصار الملك الصغير قد جمعوا أيضاً ليصدوا كليوباترة في زحفها .  
وفي صيف سنة ٤٨ ق م . كان الجيشان وجهاً لوجه على منفة من بيلوز ( الفرما ) .

(١) بيرجوجيه - مصر البطلمية ص ٥٣ .

ببليوس الزمار التي تقضى باشتراك الأخوين معاً في الحكم وبأن ترعى روما تنفيذ هذه الوصية ، وأصبح بذلك حقه في التدخل في هذا النزاع .

هذه حواضر الناس ظاهراً ، وتم الوفاق بين كليوبترا وأخيها وفقاً لرغبة قيصر ، وتنفيذاً لوصية لبيها الزمار .

## الحرب في الإسكندرية

( سنة ٤٨ - ٤٧ ق م )

على أن ( أخيلاس ) قائد الجيش البطلمي ، وكان من أنصار الأخ المزاحم لكليوبترا ، أراد لكي يضعف قوة قيصر ، ويوقع الذعر في صفوف جنده أن يحاول إخراجه من مصر ، فجاء من بيلوز على رأس جيشه ، وقلجاً بوليوس قيصر في الإسكندرية ، ولم يكن قيصر مستعداً لهذه المفاجأة ، إذ لم تكن القوة التي لديه تكفي لصد هذا الهجوم . على أنه وهو القائد الخنك لم يعدم الوسيلة للدفاع .

فأضرم النار في أسطول البطلمة الراسي في الميناء الشرقي ، وتعالى لهب هذا الحريق وامتد إلى الحى المجاور للميناء ، وفيه المكتبة الشهيرة المعروفة بمكتبة الإسكندرية فدمرها . قال جوجيه في هذا الصدد : « وكذلك احترقت المكتبة الكبرى وما تشمله من كتب قيل إنها بلغت ٤٠٠,٠٠٠ كتاب »<sup>(١)</sup> .

ولما وصل إلى بوليوس قيصر للمدد تغلب على الجيش البطلمي وهزمه في حرب دارت رحاها براً وبحراً في الإسكندرية ، وغرق كثير من أفراد الجيش البطلمي أثناء تفهقرهم ، وكان ببليوس الثالث عشر أحد هؤلاء الغرقى ( سنة ٤٧ ق م ) .

وانفردت كليوبترا بالحكم ، مستندة إلى سلطة بوليوس قيصر ، على أنها تزوجت بأخيها الأصغر ( ببليوس الرابع عشر ) وكان صبيّاً دون الثامنة عشرة من عمره ، وقيل إلى بوليوس قيصر رغب إليها هذا الزواج ، لكني يحترم ( ظاهراً ) وصية لبيها الزمار ، إذ أوصى بأن تشتريه مع أخ لها في الحكم وأن تزوجه .

على أن بوليوس قيصر قد أطلال مكته في الإسكندرية بدون مقتض . وبين أنه شغف حباً بكليوبترا ، وأراد قضاء أطول مدة ممكنة إلى جوارها . وبقي إلى جانبها قرابة ثلاثة أشهر أخرى قام معها في خلالها برحلة نيلية إلى أقاصى الصعيد ( سنة ٤٧ ق م ) . ورزقت منه بمولود اسمته ( قيصرين ) أى قيصر الصغير ، تيمناً باسم أبيه الطبيعي .

(١) بير جوجيه Pierre Jouguet مصر البطلمية . ص ٢١٢ .

وقد تبعت كليوبترا بوليوس قيصر إلى روما بصحبتها ابنها الرضيع قيصرين وزوجها الصغير ببليوس الرابع عشر ، وأعد لها بوليوس قيصر قصرًا في روما عاشت فيه زهاء سنتين ، وشهدت موكب النصر الذي أقيم في روما لبوليوس قيصر ، ومشت فيه أختها الصغرى ( أرسينوى ) مكبلة بالسلاسل والأغلال ضمن الأشخاص الكبار الذين حاربوا قيصر وأسرهم وساروا في ركابه .

وكان لكليوبترا ولا ريب دخل في مصير أختها ، إذ كانت تغار منها وتكرهها وتعمل على إزاحتها من طريقها .

ولم تقنع كليوبترا بسجن أختها الصغرى أرسينوى ، بل حرصت أنطونيوس فيما بعد على قتلها رغم أنها كانت لاجئة إلى معبد أفسوس ، فقتلت .

على أن استدعاء قيصر لكليوبترا واستضافته إياها في قصر له ، جعله موضع التندر لدى الرومان والزراية بهذا المسلك غير القويم ، من الدكتاتور العظيم .

## مصرع بوليوس قيصر

وظلت كليوبترا تعيش في روما عيشة البذخ والترف ، إلى أن لقي بوليوس قيصر مصرعه سنة ٤٤ ق م .

ويرجع مقتله إلى كراهية فريق من الرومان له ، إذ شاع بينهم أنه يريد أن يحيل الجمهورية إلى ملكية مطلقة ، يكون هو على رأسها ، فانقض عليه بعض زملائه وفي مقدمتهم ( بروتس ) ، وقتلوه بخناجرهم في مجلس الشيوخ .

## عودة كليوبترا إلى مصر

وبعد أن لقي بوليوس قيصر مصرعه ، تخرج مركز كليوبترا ، فعادت أدراجها إلى مصر ومعها ابنها ( قيصرين ) وزوجها ببليوس الرابع عشر .

وقد لقي هذا حثفه عقب عودته من روما ، وقيل إن كليوبترا دست له السم فمات في سن مبكرة ، وانفردت هي بالحكم .

أثار مصرع بوليوس قيصر النزاع الداخلي في روما ، وقد انتهى هذا النزاع بانتصار أنصار قيصر ، وتقاسم السلطة اثنان من القواد وهما أوكتافينوس Octavius وأنطونيوس Antonius فاحتص أولهما بالولايات الغربية للدولة الرومانية وآل إلى أنطونيوس شؤون البلاد الشرقية .

## كليوبترا وأنطونيوس

وكانت كليوبترا قد لزمتم موقفاً غير واضح بعد مصرع قيصر ، منتظرة لمن تكون له الغلبة في هذا الصراع الرهيب .

وانسحب، أنطونيوس إلى الإسكندرية، واستبد به البأس، فانتحر سنة ٣٠ ق. م. بأن يقر بطنه بخنجره، فصرعه الخنجر.

ثم انتحرت كليوبترا من بعده حتى لا يقودها أوكتافيوس إلى روما ويعرضها في موكب انتصاره، وكان انتحارها بدرجة حية أحضرتها خصيصاً لتكون بها نهايتها، فكان فيها أنوث الزوام.

### كليوبترا آخر البطالمة

إن كليوبترا هي آخر ملوك البطالمة، وقد كانت سيدة مقدونية يونانية، ولم تكن فيها قطرة دم مصرية.

تولت العرش وعمرها لا يزيد على ثمانية عشر عاماً، وقد شغلت الفترة الأخيرة من حياة الدولة البطلمية، بما انتهى بانتحارها وسقوط هذه الدولة.

وكان انتحارها خاتمة محتومة لحياتها، وحياة الدولة البطلمية.

فقد وضعت لنفسها قاعدة ظنت أنها تستطيع أن تثبت بها عرشها المتداعي وهي أن تأسر كبار الرجال بغرامياتها، فيذعنون لإغرائها وأهوائها.

ولم تكن الغراميات في أى عصر من العصور وسيلة للدبلوماسية الناجحة التي تنهض بالدول والشعوب.

ومن ثم انتهى دور كليوبترا بالإخفاق والانتحار.

لقد فتنت وقتاً ما يوليوس قيصر وهو فى أوج سلطانه، وانتهى الأمر إلى أن لقي مصرعه على يد برونس وشركائه.

وحين آل أمر الدولة الرومانية إلى أنطونيوس وأوكتافيوس أرادت أن تأسر كليهما واحداً بعد آخر، لتضمن لنفسها على العرش.

ولقد أنلحت فى السيطرة على أنطونيوس، فوقع فى شرك حبيها، ونسى واجبات منصبه، وتزوج بأوكتافيا أخت أوكتافيوس، ولم يمنعه هذا الزواج من أن يعود إلى غرام كليوبترا.

ويقول بعض المؤرخين إن كليوبترا لم تكن أجمل من أوكتافيا، ولم تكن تفضلها إلا بأنها سيدة لعوب، تأسر الرجال بعثها وجاذبيتها وعذوبة حديثها.

ولم تكن ترى فى الحب ارتباطاً شريفاً، بين قليين متحابين يجمع بينهما الإخلاص والوفاء المتبادلان، بل كانت ترى فيه مصيدة للرجال، تأسرهم به واحداً بعد آخر، غير ناظرة إلا إلى

فلما آل الأمر إلى أوكتافيوس وأنطونيوس، أرسل هذا من مدينة ( طرسوس ) بمقاطعة كليكتا آسيا الصغرى إلى كليوبترا يستدعيها لكي يحاسبها على موقفها السلبى، وعدم معاونتها لأنصار يوليوس قيصر.

فذهبت إليه سنة ٤١ ق. م. فى سفينة فاخرة بدت فيها كأجمل ملكة تحيطها مظاهر الزينة والترف والآلات الطرب.

فما أن رآها أنطونيوس، حتى وقع فى شرك حبيها. فصطح عنها وذهب معها إلى الإسكندرية حيث عاش وإياها فى لهُو وعيث.

وبالرغم من أن الأحداث السياسية قد اضطرتته إلى البعد عنها طوال أكثر من ثلاث سنوات، فضاها فى الحروب، فإنه عاد إليها مغرماً بها، واستهان بواجبات منصبه، وكان فى غضون ذلك قد تزوج سنة ٤٠ ق. م. بأوكتافيا أخت أوكتافيوس، ولكنه عاد إلى علاقته بكليوبترا وتزوج بها سنة ٣٧ ق. م. واعترف بأن قيصر هو الوارث الشرعى ليوليوس قيصر.

فى حين أن أوكتافيوس كان يعترف بهذه الوراثية<sup>(١)</sup>.

فاشتدت العداوة بينهما، ولم يكن بدّ من الحرب ليصرع أحدهما الآخر.

### معركة أكتيوم البحرية سنة ٣١ ق. م. بين أوكتافيوس وأنطونيوس

#### وانتحر أنطونيوس ثم انتحار كليوبترا سنة ٣٠ ق. م.

كانت معركة أكتيوم البحرية فاصلة فى صراع الخصمين، وفى مصير أنطونيوس، فقد خرج إليه أوكتافيوس والتقى به فى أكتيوم Actium ( غربى بلاد اليونان ) سنة ٣١ ق. م.، ووضعت كليوبترا جميع قواتها تحت تصرف أنطونيوس.

وقد وقعت بينه وبين أوكتافيوس معركة بحرية فى أكتوبر سنة ٣١ ق. م. دارت فيها الدائرة على أنطونيوس.

وفر بعدها مع كليوبترا إلى مصر، فتبعهما أوكتافيوس ووصل إلى بيلوز ( الفرما ) واحتلها، ثم واصل زحفه على الإسكندرية.

وخرج أنطونيوس لملاقاته، فانتصر عليه أوكتافيوس فى المكان الذى أطلق عليه الرومان اسم ( نيكوپوليس ) أى مدينة النصر بوضاحية الرمل، وتقع تقريباً فى الجهة المعروفة الآن ببولكى ( إيزيس ) وما حولها<sup>(٢)</sup>.

(١) أم أوكتافيوس كانت ابنة أخت يوليوس قيصر وكان يوليوس قيصر قد بنى أوكتافيوس.

(٢) تاريخ الحركة القومية ج ٢ ص ٢٣٧ من الطبعة الأولى.

١٤١١ وأموالها. ومثل هذا النوع من المجون هو أبعد ما يكون عن الحب الشريف ، وأقرب  
إلى الفساد والتدهور والسقوط الأدبي والمعنوي .

وأما من أجل ذلك كانت شوّما على من أحبّتهم أو تظاهرت بالحب هم .

قبل إنها أحببت ابن بومبي خصم يوليوس قيصر ، وأمّدتته بنجدة بحرية ولكن بومبي آل  
إلى القتل ، إذ لقي مصرعه على شاطئ بيلوز سنة ٤٨ ق . م . ، وأحبها يوليوس قيصر  
مصرعه في روما إذ طعنه بروتوس وشركاؤه طعنات قاتلات في الوقت الذي كانت كليوبترا  
عيشة الهوى والغرام على ضفاف نهر التيبير .

١٤١٢ لقي يوليوس قيصر مصرعه بادرته هي بالرحيل عن روما وعادت أدرابها إلى مصر .

١٤١٣ أحبها أنطونيوس أعماه الحب عن واجباته نحو دولته ، وتردى في هوة الانحدار والسقوط  
منه مكانته ومنى بالهزيمة وفي واقعة أكتيوم سنة ٣١ ق . م . وانسحبت كليوبترا من المعركة  
لتفاسم أنطونيوس مرارة الهزيمة ، وعادت إلى مصر ، وعاد إليها هو أيضا ثم لم يلبث أن  
الدم بتأثير اليأس والإخفاق والهزيمة .

١٤١٤ فتملكها اليأس ، وعرفت المصير الذي كان ينتظرها لو بقيت على قيد الحياة ، فإنها ولا ريب  
كانت ستساق أسيرة ذليلة مكيلة بالقيود والأغلال تجتاز شوارع روما في موكب النصر  
لأوكتافيوس الظافر .

١٤١٥ وتذكرت أنها ستلقى المصير الذي لقيته أختها ( أرسينوى ) حيث سارت مكيلة بالأغلال  
في موكب النصر الذي أقيم ليوليوس قيصر ، فأثرت الموت على هذا المصير ، وانتحرت  
٣٠ ق . م .

وانتهى بانتحارها حكم البطالة في مصر .

## الفصل الرابع عشر

### مقاومة مصر للاستعمار الروماني وعصر الشهداء

صارت مصر ولاية تابعة للدولة الرومانية بعد انتصار أوكتافيوس على أنطونيوس في واقعة  
أكتيوم سنة ٣١ ق . م . ، وانتحار أنطونيوس وكليوبترا سنة ٣٠ ق . م . ودخول أوكتافيوس  
الإسكندرية ظافراً ( أول أغسطس سنة ٣٠ ق . م . ) .

واعتمدت الدولة الرومانية على قوتها الحربية لتثبيت مركزها في مصر ، فأبقت بها حامية  
من نحو ثلاثين ألف مقاتل كانت كافية لإخماد الثورة فيها .

يقول ( هارولد بل ) في هذا الصدد : « كانت إفريقية ومصر الموردان الرئيسيين  
للغلال إلى الإمبراطورية الرومانية ، أما إفريقية ولاية تابعة لمجلس الشيوخ ، هدأت أحوالها  
منذ أمد طويل ولم تصبح في حاجة إلى قوة حربية وأما مصر فنظراً لقرب عهدها بالغزو  
الروماني ، ولشهرتها بالشغب والاضطرابات ، كانت في حاجة إلى حامية قوية ، فأبقى  
أوكتافيوس فيها ما لا يقل عن ثلاث فرق مضافا إلى ذلك القدر المقرر لتلك الفرق من  
القوات المساعدة »<sup>(١)</sup> .

لم يكن استيلاء الرومان على مصر أمراً مستغرباً .

فإن دول أوروبا جميعاً قد دانت الدولة الرومانية ، واستقرت سيطرتها على جميع الشعوب  
التي تحيط بحوض البحر المتوسط ، ولم يبق خارجاً عن سيطرتها سوى بعد الدول في آسيا والقبائل  
المتبررة شمالي الدانوب .

وانفرد أوكتافيوس بادئ الأمر بالسياسة العليا في الدولة الرومانية ، ولقب ( أغسطس -  
العظيم ) وصار الرئيس الأعلى للدولة ، فصارت له سمات الإمبراطور ، وانتهى بذلك عهد  
الجمهورية الرومانية ، وبدأ عهد الإمبراطورية في روما والبلاد التي تبعتها .

وتولى ولاية من قبل روما شؤون الحكم في مصر .

وضت الإسكندرية عاصمة البلاد كما كانت في عهد البطالة ، ومقراً للوالي الروماني ،  
واستمرت اللغة اليونانية لغة الدولة الرسمية .

(١) هارولد ا . بل - مصر الحديثة - تعريب الأستاذ زكي على ص ٩٢ .



وبلغت أملاك الدولة الرومانية ذروتها في عهد الإمبراطور تراجان Trajan فكانت تمتد من نهر دجلة شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ، ومن إنجلترا إلى الصحراء الكبرى جنوباً . ولم يكن حكم الرومان خيراً من حكم البطالمة ، فلقد جعلوا مصر مستعمرة رومانية ، وعاملت روما الشعب المصرى كأنه شعب مقهور على أمره .

وميز الرومان اليونانيين واليهود على المصريين ، لعلمهم أنهم لا يكثرثون إلا لمصالحهم الشخصية ، ولا ينظرون إلى مصر إلا من الزاوية الإستعمارية وبعد وفاة أغسطس تولى الحكم بعده الإمبراطور نيبريوس . وفى عهده حظر الرومان على المصريين حمل السلاح ، ومن يحمله كان يحكم عليه بالإعدام ، وذلك خوفاً من ثورتهم<sup>(١)</sup> على أن سكان الإسكندرية أظهروا حنفيهم على اليهود عملاء الاستعمار الرومانى .

واهتم الرومان بمصر وإستبقائها فى حوزتهم لأنها كانت أعظم مورد للقمح إلى روما .

### مظالم الحكم الرومانى

كانت مظالم الحكم الرومانى لا تقل عن مظالم البطالمة ، كلاهما كان يعتبر مصر مستعمرة له ، وكلاهما كان يرهق الشعب ويتر من أكثر ما يمكنه من الضرائب . ولم يكن للعدل ظل من الوجود فى هذا العهد .

وكان الرومان واليونانيون واليهود هم المميزون فى عهد الاستعمار الرومانى أما الشعب المصرى فكان يعانى الاضطهاد والضيق والحرمان . وساءت الحالة الاقتصادية فى البلاد .

وفى ذلك يقول ( هارولد بل ) : « وقصة مصر الرومانية على أى حال سجل أليم للاستغلال المنطوى على قصر النظر ، والذي كان مصيره المحتوم أن يودى بالبلاد إلى خراب اقتصادى واجتماعى ، وقد أشرت من قبل إلى ما تنطوى عليه النظرية الباطلة التى تقضى باعتبار معاملة أمة من الأمم على أساس أنها مجرد ضيعة تستغل لصالح حكامها وسادتها ، إلى أن قال : « وكان جزء كبير من القمح الذى يقدمه الفلاحون الملكيون على سبيل الإيجار أو يدفعه ملاك الأراضى كضريبة ، وكذلك الضرائب النقدية العديدة ، كل هذا يشحن إلى روما لينتفع به الشعب الرومانى مع ما فى هذا من خسارة جسيمة فادحة بالنسبة لمصر<sup>(٢)</sup> . إلى أن قال : « وتمسك الرومان بأهداب الفكرة الأساسية ، وهى أن مصر بقرة حلوب ، تدر لبنها لصالح روما وما يعود عليها

بالخير ، ولا ريب أن تلك البقرة كانت غنية بلبنها ، ولكن روما حرصت على الإفراط فى استنزاف ذلك اللبن إلى آخر قطرة بانتظام » ، ثم قال : « وحتى قبل القرن الأول الميلادى بدت البوادر المنذرة بالسوء ، فالفيلسوف اليهودى فيلون Philo عندما كان يؤلف كتيبه فى عهد كاليجولا Caligula وكلوديوس Claudius قدم صورة فظيعة للأحوال السائدة فى عصره ، فتحدث عن حياة الضرائب الذين لم يكونوا يتورعون عن الاستيلاء على موبياء العاجز عن سداد الضرائب المستحقة عليه ، كمن يكرهوا ذوى قرياه على دفع المتأخرات ، كما أشار إلى الزوجات والأطفال وغيرهم من الأقرباء الذين زج بهم فى غياهب السجون ولاقوا أصناف التعذيب ، كمن يعترفوا بمكان الهارب المطلوب ، كما تحدث عن قوى برمتها بل ، ومدن هجرها سكانها ، وفى تاريخ مبكر يرجع إلى عام ٢٠ بعد الميلاد ، بدأنا نسمع عن التجاء دافعى الضرائب إلى الفرار والاعتصام بأحد المعابد ، وفى بردية كتبت فى تاريخ يتراوح بين عام ٥٥ و٦٠ م . أبلغ الجباة الموكلون بتحصيل ضريبة الخراج الرأسى من مست قرى بالإقليم الأرسينوينى ( الفيوم ) ، فى تقرير ضمنوه أن « السكان فى القرى سالفة الذكر ، بعد أن كانوا كثيرين تضاعف عددهم إذ ذاك وانكماشوا حتى أصبحوا قلة من بضعة أفراد ، لأن البعض أثر الفرار بعد أن ضاقت سبل الرزق فى وجوههم ، والبعض الآخر أدركهم الموت دون أن يتركوا ذرية من بعدهم » ، إلى أن قال : « ويبدو أن الإجراءات التى أخذها تيريبوس بوليوس الإسكندر قد أثمرت وأتت أكلها ، لأنه ليس من قبيل الصدف فى أغلب الظن أن ما بقى من سجلات يرجع تاريخها إلى النصف الثانى من القرن الأول ، اشتملت على بيانات أقل من سالفاتها عن وجود اضطراب خطير ، ولكن بدعة فى النظام الإدارى كان قد سبق إدخالها فى مصر وقد رها أن تكون ذات أثر وخيم ، فالبيروقراطية البطلمية كانت بصفة خاصة مخترفة ، تعتمد على التطوع فى الحصول على الموظفين والأيدى العاملة فيها ، وجباية الضرائب تجرى عيها عن طريق طرحها فى مزاد يشترك فيه الملتزمون الذين كانوا يتقدمون بعهاءاتهم بمحض حريتهم ، والمستأجرون الملكيون ، على الرغم مما كان يفرض على حريتهم فى التنقل من قيود ، كانوا يتقدمون بطلباتهم بمحض الاختيار لإبرام عقود الإيجار لهم ، وفى أوقات الأزمات والملمات كانت الحكومة تعتمد إلى أدراج أسماء الأشخاص الذى تتوسم فيهم الأهلية والصلاحية ضمن موظفيها ، حتى ولو كان هذا ضد إرادتهم ، كما كانت الحكومة تعتمد إلى إكراه الملتزمين فى جباية الضرائب على الاضطلاع بعقودهم وإلى إكراه الفلاحين على قبول عقود الإيجار » .

ثم قال : « وتطبيق هذا النظام بشدة لا هواده فيها أدى الأمر إلى القضاء أولاً على الفلاحين الموسرين ، ثم على الطبقة الوسطى ذات الغنى واليسار ، على أن الإكراه والإجبار لم يقتصر على هذا النطاق ، فإن الشروط المعروضة على الفلاحين المستأجرين لأراضى الدومين لم تكن سخية ، كما أن الترضيات والإعفاءات التى كانت تبذل فى أوقات الضنك الاقتصادى والضيق المستحکم كانت مرموقة بالبعض والحقد ، إلى حد أنه أصبح من المستحيل فى بعض الأحيان العثور على من يتقدم للمزايدة فى العطاءات طوعاً واختياراً ، وفى مثل هذه الأحوال ، كانت الدولة تلجأ إلى الإكراه

(١) فيكتور شابو Victor Chapot - مصر الرومانية L'Égypte Romaine ص ٢٤٨

(٢) هارولد بل - مصر الهلانية ص ١٠٣

## الثورة في الشمال الشرقي من الدلتا

وشبت الثورة في الشمال الشرقي من الدلتا ، بتل المسخوطة ، فأخذتها القوة .

## الثورة في النوبة

وكان أهل النوبة قد عاونوا ثوار طيبة في كفاحهم ضد المستعمرين الجدد ( الرومان ) . فلما نجح الحاكم الروماني في إخماد ثورة طيبة ، زحف جنوباً لإخماد الثورة في النوبة فيما وراء شلال أسوان ، ولكنه لم يوفق في إخمادها ، وترك لأهل النوبة استقلالاً ذاتياً ، واعترموا بالسيادة الرومانية اسماً لا فعلاً .

ثم قام النوبيون في نحو سنة ٢٤ ق م . بثورة جامحة ، وهاجموا الحاميات الرومانية في صعيد مصر ، فاستعد الرومان لإخماد هذه الثورة وأخمدوها واستولوا على نبالا عاصمة النوبة ، ونهبوها . وبعد عامين من إخماد هذه الثورة قامت الملكة ( كانداكي ) وزحفت على الرومان عند قلعة إبريم ، وإذ تعادلت القوتان عقد صلح بين الرومان والنوبيين ، كان من أهم شروطه إعفاء النوبة من دفع الجزية للرومان ، واستمر السلم لفترة طويلة . وأقام الرومان الحصون والمعازل في بعض بلاد النوبة كالدكة وكلاشبة وقرطاسة وإبريم . ولا تزال آثار هذه الحصون باقية إلى اليوم .

## عداء المصريين للرومان واليهود

رأى المصريون من مملأة الرومان لليهود في الإسكندرية ما زادهم سخطاً على الاحتلال الروماني ، وثارَت الإسكندرية على اليهود عملاء هذا الاحتلال كما كانوا عملاء الاحتلال البطلمي من قبل .

وفي عهد الإمبراطور تراجان جدد بناء حصن بابلون ليكون المقر الرئيسي للحامية الرومانية . ولا تزال آثار هذا الحصن قائمة إلى اليوم بمصر القديمة ، وهو الحصن الذي قاوم العرب سنة ٦٤١ م ، حين فتحهم لمصر .

## ظهور المسيحية في مصر

إن الاضطهاد الذي وقع على المصريين من الحكم الروماني كان من أسباب انتشار المسيحية في مصر .

فقد قام القديس مرقس Saint Marc أحد حواربي السيد المسيح إلى الإسكندرية ، وبشر بالمسيحية السمحة ، فاعتنقها الكثيرون .

وإلجبار بإحدى وسيلتين إما يضم ما يؤجر من الأرض في نطاق قرية ما إلى قرية أخرى حيث يقع عبء زراعتها على كاهل القرويين بتوزيعها عليهم عن طريق القرعة ، وإما باللجوء إلى وسيلة يبتنق عليها ( العبء الإضافي ) وبمقتضاها كانت أنصبة من أرض الديرين تقتطع وتلحق بأرض المنيكية الخاصة ، حيث يضطر ملاكها أن يزرعوها مع أملاكهم الخاصة ، وبهذه الطريقة كاد أن يؤول الأمر في النهاية بأرض الدومين إلى أن يعثرها الزوال في العصر البيزنطي ، بأن تبتلعها الأرض الخاصة التي أصبحت مرتبطة بها ، وفي حالة تطبيق الطريقة الأولى المنطوية على التوزيع كانت الجماعة كلها مسئولة عن زراعة الأرض وبالتالي عن دفع الضرائب ( وهذا هو بيت القصيد ) ، أما في حالة تطبيق الطريقة الثانية فكل فرد مسئول عما التزم به ، ولكن ظهرت المسئولية الجماعية باطراد ، على حد قول فيلون ، بمضى الزمن واتخذت طابعاً عاماً : فإذا توارى واحد من دافعي الضريبة المستحقة عليه تجبى من زملائه من أعضاء الجماعة ، وإذا عجز مستأجر عن دفع ما عليه أو هرب مالك للأرض فإن واجب فلاحه هذه الأرض كان يقع على الآخرين ، وفضلاً عن ذلك فإن أولئك الذين كان من واجبهم ترشيح شاغلي الوظائف - سواء أكانت مما يدخل في نطاق الوظائف التي يؤجر عليها شاغلوها أم الوظائف الشرفية - اعتبروا ضامنين ، بل إنهم كانوا أنفسهم مسئولين عما قد ينشأ من عجز بسبب المرشحين من قلوبهم ، ولابد أن الفرد أخذ يشعر شيئاً فشيئاً على توالي السنين بوقوعه داخل شبكة ضاقت منافذها وأحكمت حلقاتها ، حتى لم تعد تسمح لأحد بالفرار منها<sup>(١)</sup> .

وظلت مصر تزحج حكم الرومان سبعة قرون بدأت من سنة ٢٠ ق م . وانتهت بالفتح العربي عام ٦٤٠ - ٦٤٢ ميلادية على يد عمرو بن العاص .

## الثورات على الرومان

### الثورة في منطقة طيبة

لم تكد تمضى بضعة أشهر على الغزو الروماني حتى نشبت الثورة في الوجه القبلي . وكانت ( طيبة ) معقلها ، كما كانت معقل الثورات في عهد البطاللة ، ونكل الثائرون بجباة الضرائب من الرومان .

فجردت الحكومة حملة على طيبة بقيادة جالوس الحاكم الروماني ، وكان أول حاكم على الإسكندرية . فأخذم الثورة ونكل برجالها ، واستولى على خمس مدن ، منها فقط والأقصر وأسوان ، وتقدم إلى ما وراء الشلال الأول .

(١) هارولد بل : اهلبينية في مصر . تعريب الأستاذ زكي على ص ١٠٦ .

وكان اعتقاد المصريين القدماء في البعث بعد الموت ، ومعاناتهم لظلم الرومان ، مما سهل لهم اعتناق المسيحية ، إذ رأوها تبشر بحياة أفضل من الوثنية .

### اضطهاد الرومان للمسيحيين في مصر

حين ظهرت المسيحية في مصر ، كانت روما لا تزال على الوثنية ، وكذلك أباطرتها ، فحاربوا المسيحيين واضطهدوهم في أنحاء الإمبراطورية الرومانية ، واضطهدوا الأقباط في مصر .  
وحين تولى الإمبراطور دقلديانوس Diocletien عرش روما سنة ٢٨٤ ميلادية شنّ على المسيحيين ( الأقباط ) اضطهاداً دام نحو عشرين عاماً قاست فيها مصر الشدائد والأهوال ، واستشهد خلالها الألوف من المصريين المسيحيين ( الأقباط ) .

ودقلديانوس هذا هو المقام له العمود المعروف بعمود السورارى أو ما يسمى خطأ عمود بومبيى ، وهو قائم إلى اليوم بالإسكندرية .

اشتهر عهد دقلديانوس باضطهاد المسيحيين ( الأقباط ) منذ أواخر القرن الثالث بعد الميلاد ، على نحو فاق كل ما أصابهم من قبل .

وسمى عهده ( عصر الشهداء ) لكثرة من استشهد فيه من المصريين المعتنقين للمسيحية .

وقد جعل الأقباط بداية التقويم القبطى سنة ٢٨٤ م . وهى السنة التى بدأ فيها حكم دقلديانوس ، وسمى عهده بحق عصر الشهداء .

وتخليداً لذكرى أولئك الشهداء جعلوا التقويم يبدأ بالسنة التى بدأ فيها هذا الاضطهاد الشديد .

وقد كان تمسك المصريين المسيحيين ( الأقباط ) بعقيدتهم ، من ضروب المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الرومانى .

قال المؤرخ القريزى عن اضطهاد دقلديانوس للأقباط ما يلى : « إنه أوقع بالنصارى فاستباح دماءهم ، وغلق كنائسهم ومنع من دين النصارى . وحمل الناس على عبادة الأصنام ، وبالغ فى الإسراف فى قتل النصارى » . إلى أن قال : « وكالت واقعته بالنصارى ، هى الشدة العاشرة وهى أشنع شدائدهم وأطولها ، لأنها دامت عليهم مدة عشر سنين لا يفتر يوماً واحداً يحرق كنائسهم ويعدب رجالهم ويطلب من استتر منهم أو هرب ليقتل ، يريد بذلك قطع أثر النصارى وإبطال دين النصرانية من الأرض ، فلهذا اتخذوا ابتداء دقلديانوس تاريخاً »<sup>(١)</sup> .

هذا . وقد كان لاضطهاد الرومان للمصريين أثره فى ارتياحهم للفتح العربى سنة ٦٤٠-٦٤٢ م ، إذ رأوا من عدل العرب وتسامحهم الدينى ما جعلهم يتقبلون هذا الفتح كمنقذ لهم من اضطهاد الرومان .

### اعتناق الإمبراطور قسطنطين للمسيحية

وفى عام ٣٢٤ ميلادية أعلن الإمبراطور قسطنطين اعتناقه للمسيحية ، وهو الذى اتخذ بيزنطة ( القسطنطينية ) ، عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية .

### عودة الفرس لاحتلال مصر ثم إجلاؤهم عنها

وفى سنة ٦١٤ م ، قبل الفتح العربى لمصر بسنوات ، هاجم الفرس الرومانى فى سورية وفلسطين ، واستولوا على دمشق وبيت المقدس سنة ٦١٥ م .

ثم هاجموا فى مصر ، وحاصروا الإسكندرية إلى أن فتحوها سنة ٦١٧ م وأخضعوا مصر سنة ٦١٨ ، وبلغوا فى فتوحهم أسوان ، وبقي الفرس نحو عشر سنوات محتلين البلاد<sup>(١)</sup> .

ثم لم يلبث هرقل إمبراطور الرومان أن أعاد الكرة ، فحارب الفرس وأجلاهم عن مواقعهم فى آسيا الصغرى ، وعن سورية وبيت المقدس ، ثم عن مصر سنة ٦٢٧ م .

وفى ذلك نزلت الآية الكريمة : ﴿ غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقد ظهرت دعوة محمد ﷺ ، إذ نزل عليه الوحى سنة ٦٠٩ ميلادية وهاجر من مكة إلى المدينة سنة ٦٢٢ ( أول سنة للتاريخ الهجرى ) فى الوقت الذى كان الرومان يحاربون فيه الفرس .

### استمرار الاضطهاد الدينى فى مصر

#### بعد اعتناق الرومان للمسيحية

بالرغم من اعتناق أباطرة الرومان للمسيحية ، فقد استمر الاضطهاد للمذاهب المسيحية فى مصر ، عدا مذهب الحكومة .

لقد تمسك المسيحيون المصريون ( الأقباط ) بمذاهبهم المناهض لمذهب الأباطرة ، فكان من شأن ذلك أن أسخ على الحركة المسيحية فى مصر طابعاً قومياً ، وأصبح رجال الكنيسة زعماء المصريين فى الحركة الروحية والوطنية معاً .

(١) هذه التواريخ قد حققها بتر فى كتابه ( فتح العرب لمصر ) بالملحق الثانى منه ص ٤٣٢ .

(٢) سورة الروم : الآيات من ٢ - ٤ .

(١) القريزى : الواظع والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج ١ ص ٢٦٢ .

فتح العرب مصر في القرن السابع الميلادي ( الأول للهجرة ) . وكان هذا الفتح ذكراً من

أدوار الوحدة العربية .

ولقد قلنا تفسيراً لهذه الظاهرة التاريخية ، « وراة كانت الرسائل الروحية من أركان الحضارة

البشرية ، فإن الشرق العربي هو أيضاً موطن هذه الرسائل .

« فيبراهيم الخليل ( أبو الأنبياء ) ، قد نبأ عربياً في جنوب العراق منذ نحو ألفي سنة قبل

الميلاد ، ودعا إلى التوحيد ، ورحل إلى فلسطين فمصر ، ثم إلى الحجاز ، ونشأ الكعبة في مكة

مع ليله إسماعيل » .

« إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للبائسين ، فيه آيات بينات تتلوا

إبراهيم <sup>(١)</sup> .

« وراة نرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل . ربنا تقبل منا أولك أنت السميع

العليم <sup>(٢)</sup> .

« وفي جبل سيناء كلم الله موسى تكليما .

« وفي فلسطين نشأ السيد المسيح الذي أصلمه من اضطهاد الرومان والإسرائيليين ما أصلمه ،

وعلى يده ظهرت المسيحية المسمحة ، الداعية إلى الإخاء والسلام ، لا إلى البغى والعدوان .

« وفي ظلال البيت الحرام نشأ محمد <sup>(ص)</sup> ، وزل عليه الرحي سنة ٦١٠٩ م ، ودعا إلى رسالة

الإسلام ، رسالة التوحيد والإيمان ، تفصلي له قومه وحاربه ، ومهاجراً إلى المدينة في السنة الأولى

للهجرة ( ٦٢٢ م ) وبهجرتيه يبدأ التاريخ الهجري .

« وفي السنة الثامنة للهجرة ( ٦٣٠ م ) ، سار لفتح مكة بعد أن تقضى أهلها عهد المدينة ،

فتم له فتحها ، وكان هذا الفتح أثره وقضيه في توحيد كلمة العرب .

« وقد انشر الإسلام أول ما انشر بين سكان الجزيرة العربية ، وما توفي الرسول ( محمد

(١) سورة آل عمران ( ٩٦ - ٩٧ ) .

(٢) سورة البقرة الآية ( ١٢٧ ) .

وجاء مسلك أباطرة الرومان مظهرًا من مظاهر التعصب اللدني ، وجاء دليلًا على أن اعتناقهم

المسيحية لم يكن له أثر في حملهم على التسامح اللدني حتى مع شركائهم في أصل العقيدة .

وكان التعصب اللدني شديدًا بقى عهد هرقل آخر أباطرة الرومان اللدني حكمها مصر .

فقد سعى هرقل جهده في توحيد المذاهب المسيحية ، وعقد الملاك مجتمعا في حلقينديونية <sup>(١)</sup> ،

حضره بطارقة الشام والقسطنطينية ، وأثروا مذاهبا مسيحية موحدا ، وأمر هرقل كل المواطنين في

الشام ومصر أن يتبعوا المذهب الموحد ، فكان من ذلك اضطهاد المسيحيين الأحرار ، وكانت

الكثيصة الشريفة من أجل ذلك موضع سخطهم وبتعتهم .

ومن مظاهر الاضطهاد أن عين هرقل سنة ٦٣١ قفوس ( القوقس ) <sup>(٢)</sup> بطرقًا بزاكندرية

وثابا عنه بمصر ، وطلب إليه أن يجعل أهل مصر على اعتناق المذهب المسيحي الموحد ، فأبى

الأبياط عليه ذلك .

وكان بيهامين <sup>(٣)</sup> كبير أساقفة الأقباط في مصر يقول بطرقة الإسكندرية ، فعارض المذهب

الجديد ، فاضطهده قفوس واضطره إلى الهجرة من الإسكندرية ، فتأدبا من اضطهاد ، وظل مختلفا

في أديرة الصعيد ، ولم يظهر إلا بعد الفتح العربي لمصر .

(١) مدينة قديمة تبثيا المصري على الساحل الآسيوي للبرشور .

(٢) ليس من شك في أن قفوس هو القوقس ، وقد بوهي خطر على هذه العقيدة بأداة مستغنية ذكروا في

للحق الثالث من كتابه ( فتح العرب مصر ) ص ٥٤٢ وما بعدها .

(٣) بسبب ابن عبد الحكم والقروبي ( أبو بيهامين ) .



مكة ( في السنة الحادية عشرة من الهجرة ( ٦٣٢ م ) ، خلفه أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين ، فوحد كلمة العرب في شبه الجزيرة واستخلص هذه الوحدة من أيدي المنتفضين عليها من البربر ، واتجه إلى توحيد كلمة العرب عامة ، فأنفذ إلى العراق سنة ١٢ هـ ( ٦٣٤ م ) جيشاً عهد بقيادته إلى قائد من خيرة قواده ، وهو خالد بن الوليد ، فاستخلص العراق من أيدي الفرس في حرب خاطفة ، جعلت اسمه في مصاف عظماء القواد في التاريخ ، وأنفذ جيوشاً أخرى إلى بلاد الشام ، وكانت تحت حكم الروم البيزنطيين ( الرومان ) ، وأمر خالد بن الوليد أن يسير إلى الشام ليقود هذه الجيوش ، فانتقل من العراق إلى الشام ، وقاد الجيوش العربية ، وهزم الروم البيزنطيين في واقعة ( أجنادين ) بين بيت المقدس وغزة ( سنة ٦٣٤ م - ١٣ هـ ) .

« وفي أعقاب هذه الواقعة زحف الجيش البيزنطي على مواقع الجيش العربي ، فالتحم الجيشان في واقعة ( اليرموك ) شرقي نهر الأردن ، وانتصر الجيش العربي بقيادة خالد بن الوليد انتصاراً ميبناً ( أول سبتمبر سنة ٦٣٤ م ) ، وبهذه المعركة الحاسمة قضى على دولة البيزنطيين في الشام .

« ولما توفي أبو بكر الصديق قبيل واقعة ( اليرموك ) ، تولى الخلافة من بعده عمر بن الخطاب ، وفي عهده تم فتح العراق على يد قائد عربي محنك هو سعد بن أبي وقاص الذي هزم الفرس في معركة ( القادسية ) بالعراق .

« وكانت معركة القادسية فاصلة لصالح العرب في العراق ، كما كانت واقعة اليرموك في الشام .

« وأنفذ عمرو بن العاص إلى مصر وكانت تحتكم البيزنطيين أيضاً ، فاستخلصها من أيدي البيزنطيين سنة ٦٤٠ - ٦٤٢ م ، وفتح بركة سنة ٦٤٣ م ، واستقبلت الشعوب دخول العرب هذه البلاد لا كغزاة فاتحين ، بل كمنقذين لهم من اضطهاد الفرس والروم البيزنطيين ، وخاصة لأن هذه الشعوب بحكم موقعها أقرب إلى العرب نسبياً وأصولاً وروابط اقتصادية وثقافية وروحية ، بل كان معظمهم عرباً من قبل ، فلا غرو أن انضموا إلى الوحدة العربية راضين مختارين ، وصاروا جزءاً من الدولة العربية ، وقد زاد في تعلقهم بها ما رآه من عدل الخلفاء الراشدين وولائهم ، ومساواتهم بين الناس ورفقهم بالأهلين »<sup>(١)</sup> .

### ماذا كانت عليه حال مصر قبل الفتح العربي

لكي نتفهم كنه الفتح العربي ، يحسن بنا أن نتعرف حالة مصر قبل هذا الفتح ، فإنها ولا شك تطالنا بحقيقته وغايته ، وأنه كان إنقاذاً لها من الاضطهاد الديني وفساد الحكم الروماني . فالرومان كانوا يعتبرون مصر مستعمرة لهم يستغلون خيراتها ، ويغصبون أموالها ، وكان

نوابهم فيها يعاملون الأهلين معاملة جائرة ، لا عدل فيها ولا إنصاف ، وحكام البلاد من رواد الاستعمار يرهقون الأهلين بالضرائب الفادحة لكي يملئوا خزائن الأباطرة الرومان ويشبعوا أهواءهم ، والاضطهاد الديني يعصف بحرية العقيدة ويزيد النفوس سخطاً ومرارة ، فنواب الرومان يعملون على إجبار الأهلين على اعتناق المذهب الرسمي المسيحي للدولة ، ولا يقبلون منهم أن يمارسوا عقيدتهم في حرية واختيار ، وكان من آثار هذا الاضطهاد أن حورب الأسقف ( بنيامين ) بطريق الإسكندرية ، لأنه رفض الإذعان لهذا الاضطهاد واضطره قيس ( المقوقس نائب هرقل ) كما سلف القول ، إلى الهجرة من الإسكندرية والاختفاء بأديرة الصعيد عدة سنوات ، ولم يظهر إلا بعد الفتح العربي الذي أطلق الحرية الدينية من عقابها .

يقول دييهل Diehl في كتاب ( مصر المسيحية والبيزنطية ) يصف هذه الحالة<sup>(١)</sup> :

« في أوائل القرن السادس للميلاد كانت الحالة في مصر خطيرة ، ففداحة الضرائب التي فرضها الرومان قد أقمرت البلاد ، وأوجدت سخطاً شديداً بين الأهلين ، واتترنت الأزمة الاقتصادية بأزمة اجتماعية ، وكانت الرشوة وفساد الحكام تزيد من هذا السخط ، وقد سعى الإمبراطور جوستينيان Justinien في القسطنطينية لإصلاح هذه الحال ، ودمغ الإدارة في مصر بالفساد » .

وقال عن الحالة فيها : « إن الفوضى قد تفاقمت لدرجة أنه لم يكن معروفاً في القسطنطينية ما يجري هناك ، وقد انتشر الفقر في مصر وازداد السخط على الحكم البيزنطي ، فصارت البلاد في حالة انتفاض على هذا الحكم تشبه الثورة » .

وفي أواخر عهد الحكم البيزنطي كانت الضرائب الباهظة ترهق الشعب ، وكانت الطبقات الفقيرة من الفلاحين تسام الخسف من هذه المعاملة ، وموظفو الحكومة يظلمونهم ويتساهلون مع الأغنياء .

وفي هذا الصدد يقول ( ألفريد بتلر ) Alfred Butler في كتابه ( الفتح العربي لمصر ) : « وفي الحق لم يكن في بلاد الدولة الرومانية ما هو أشقى حالاً من مصر ، فقد سعى « جستنيان » جهده ليجبر الأقباط الذين لبسوا على مذهب الدولة « الأرثوذكسي » فدخلهم في ذلك المذهب ، ولكن امرأته ( تيودورا ) ، عملت من جانب فأفسدت بعض سعيه ، إذ كانت تعطف على مذهب هؤلاء الأقباط عطفاً ظاهراً ، على أن ذلك العطف ما عتم أن قضى عليه الإمبراطور جستنيان وعفى أثره ، ومن ثم عاد الكفاح الشديد الذي ثار قديماً بين طائفتي ( الملكانيين<sup>(٢)</sup> ) والمونوفيسيين ( اليعاقبة وهم عامة أهل مصر ) وصار أشدَّ سعيراً ، ولم يكن عند أقباط مصر هم أكبر منه يملأ قلوبهم ويملك عليهم أمالهم ، فلم يكن عجباً أن يُسمع صليل السلاح بين حين وآخر في مدينة

(١) دييهل Diehl مصر المسيحية والبيزنطية L'Égypte Chrétienne et Byzantine - ص ٤٥٤ و ٥٢١ .

(٢) نسبة إلى الملك أو الإمبراطور البيزنطي .

(١) الوحدة العربية في خلال العصور - من كتاب ( ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ ) ص ٣٣٣ .

## المقوقس

وقد عين هرقل سنة ٦٣١م الأسقف قيرس ( المقوقس ) وهو روماني من أصل يوناني نائباً عنه في مصر ، وبطرقاً ملكياً للإسكندرية عاصمة البلاد وقتئذ .

وجاء المقوقس الإسكندرية في تلك السنة ، واضطهد الأقباط لإجبارهم على اتباع مذهب الحكومة الدينية . وكان من مظاهر هذا الاضطهاد هجرة البطرك بنيامين من الإسكندرية قبل فتح العرب لمصر بستين كما سلف القول .

يقول ألفريد في هذا الصدد :

« لا يذكر في ذلك العصر كله في أثناء الاضطهاد إلا شيء واحد ، وهو أن الزمان كانوا يخيرون الناس بين قبول مذهب خلقيدونية بنصه ، وبين الجلد أو الموت ، ولم يكن في عقول مؤرخي الأقباط إلا هذا الاعتقاد يدونونه في دواوينهم ، فيلوح من ذلك أن قيرس أحس بإخفاه في سعيه من مبدأ الأمر ، وكان يود أن يحمل الأقباط على المذهب الذي تقرر مهما تكلف في سبيل ذلك ، فلم يعأ بعد بما أدخله الإمبراطور على هذا المذهب من التهذيب ، بل كان يعرض على الناس أحد أمرين لا تعقيد فيهما ، وهما قبول الدخول في الجماعة أو الاضطهاد .

« وكانت البلاد كلها عند ذلك تحت يد قيرس ( المقوقس ) ، يصرفها كيف شاء ، وكان جيش الرومان مرة أخرى يملك مصر ، فكانت طرق الإسكندرية البراقة تتجاوب جوانبها بأصداء الكتاب البيزنطية إذ تسير فيها ، وعادت جنود الروم إلى الأسوار العظيمة أسوار المدينة وأطامها ووضعت عليها آلات حربها ، وبعثت المسالخ إلى مدينة الفرما ( بيلور ) وهي ثغر الطريق الآتية من فلسطين إلى مصر ، وإلى بلاد مصر السفلى مثل أثريب ونقيوس ، وكذلك إلى الحصن العظيم حصن ( بابلون ) بقرب منف ، ومن ثم عاد سلطان الروم فانتشر على بلاد الفيوم ووادي النيل ، حتى بلغ الحدود من الجنوب عند أسوان في أسفل الجنادل ، وكانت كل تلك الجنود والكتائب عند أمر ( قيرس ) ماثلة لإنقاذ أمره إذا مادعاها ، ولم يتحرك الأقباط بطبيعة الحال عندما عاد جند الروم إلى البلاد ، ولكنهم وجدوا بعد قليل أن حكم الفرس إن لم يكن مما يحب ويرغب فيه فإن حكم الروم الجديد لم يكن حدثاً يحمدهم ويفرحون من أجله ، فقد وجدوا فيه أنواع العقاب وصنوف العذاب فكانهم وقد خرجوا من حكم الفرس إلى حكم الروم ، قد رُفِع عنهم التعذيب بالسياط ليحل بهم تعذيب آخر من لسع العقارب ، إذ بينما كان غزاة الفرس بعد أن استقر بهم الأمر في البلاد لا يحولون على الأقل بين الأقباط وبين التندين بما يشاءون من الدين ، جاء ( قيرس ) المقوقس فعول على أن يحرمهم تلك الميزة الكبرى وينزعها من أيديهم . »

الإسكندرية نفسها ( العاصمة ) ، ولم يكن عجباً أن تضطرب الأحوال في مصر السفلى فتصبح ميداناً للشغب ، تتور بها فتن بين الطوائف. توشك أن تكون حرباً أهلية ، ولم يكن عجباً أن يكون هذا في بلاد أصبح الحكام فيها لا هم لهم إلا أن يجمعوا المال لخزائن الملك البيزنطي وحاشيته ، وأن تكون لذتهم اليد العليا بين أهل البلاد ، فصار الحكم على أيديهم أداة لا تؤدي إلا إلى الظلم ونشر الشقاء ، فالحق هو أن بلاد مصر إذ ذلك كانت جميعها تضطرب بنار الثورة ورغبة الخروج ، لا ينجبها إلا غطاء شفاف من الرماد<sup>(١)</sup> .

وقال بتلر في موضع آخر :

« أرسل الإمبراطور هرقل إلى نيقتاس يثبه في حكم الإسكندرية ، وإن شئت قلت إنه جعله نائباً عن الملك في مصر ، فكان هم ( نيقتاس ) أن يعيد للحكم المدني الروماني نظامه ، وأن يعيد للجيش الروماني كيانه ، وكان هذان أداتى الدولة الرومانية تحتفظ بها بملك مصر ، وكان الحكم المدني والجيش كلاهما في يد السادة الحاكمين ، ليس فيهما أحد من أقباط مصر أهل البلاد<sup>(٢)</sup> .

وقال أيضاً : « إن حكومة مصر - في عهد الرومان - لم يكن لها إلا غرض واحد ، وهو أن تبتز الأموال من الرعية لتكون غنيمة للحاكمين ، ولم يساورها أن تجعل قصد الحكم توفير الرفاهية للرعية وترقية حالة الناس والعلم بهم في الحياة ، أو تهذيب نفوسهم ، أو إصلاح أرزاقهم ، فكان الحكم على ذلك حكم الغبراء لا يعتمد إلا على القوة ، ولا يحس بشيء من العطف على الشعب المحكوم<sup>(٣)</sup> .

وكان في يد الحكام عاصمة البلاد الإغريقية ( الإسكندرية ) كما كان في يدهم العاصمة المصرية القديمة ( منف ) ، وحصنها العظيم ( حصن بابلون ) الروماني على الشاطئ الشرقي من النيل ، وكذلك كانوا يملكون مدائن عدة حصينة على بعضها بعضاً بين أسوان في الجنوب والفرما في الشمال ، وكان جند الحكومة وجباة ضرائبها ينتشرون بين تلك المدائن يظهرهم هيئة السلطان ويجمعون الأموال ، على حين كان تجار الروم واليهود يحلون حيث شاءوا تحميمهم جنود الربط ، يتنافسوا الأقباط في التجارة منافسة شديدة<sup>(٤)</sup> .

فالحالة في مصر كانت تمهيداً للفتح العربي وتفسيراً له .

- (١) ألفريد بتلر - فتح العرب لمصر - تعريب محمد فريد أبو حديد ص ٣ .  
 (٢) ألفريد بتلر - فتح العرب لمصر - المرجع السابق ص ٣٩ .  
 (٣) ألفريد بتلر - المرجع السابق ص ٣٩ ، ٤٠ .  
 (٤) ألفريد بتلر - فتح العرب لمصر - المرجع السابق ص ٤ .

## الاضطهاد الأعظم

« وابتدأ الاضطهاد الأعظم عند ذلك ، ويتفق المؤرخون جميعاً على أنه بقى مدة عشر سنوات ، أى أنه بقى كل مدة ولاية فيرس رياسة الدين ، فإن أكبر الظن أن مجمع الإسكندرية كان فى شهر أكتوبر من سنة ٦٣١ م ، وقد بدأ عهد الاضطهاد بعد ذلك بشهر واحد أو شهرين ، ولا يشك أحد فى فظاعة ذلك الاضطهاد وشناعته ، فقد جاء كتاب ( ساويرس ) : « لقد كانت هذه السنين هى المدة التى حكم فيها هرقل والمقوقس بلاد مصر ، وقد فنن فى أثنائها كثير من الناس لما نالهم من عسف الاضطهاد والظلم ، ومن شدة العذاب الذى كان يوقعه هرقل بهم ، لكى يحولهم على رغبتهم عن مذهبهم إلى مذهب ( خلقيدونية ) ، فكان يعذب بعضهم ويعد البعض أحسن الجزاء ، ويمكر بالبعض ويخدعهم ، وقد جاء فى ترجمة حياة البطريرق القبطى ( إسحق ) ، وكانت كتابتها سنة ٦٩٥ م أنه فى شبابه ، لقي قسا اسمه يوسف كان ممن شهروا بين يدي ( قيرس ) وجلد جلدًا كثيرًا ، لأنه شهد شهادة الحق ، وكذلك كان أخو ( بنيامين ) ممن علنوا ، ثم قتل غرقًا ، وكان تعذيبه بأن أوقدت المشاعل وسلطت نازها على جسمه ، فأخذ يحترق « حتى سال دهنه من جانبيه إلى الأرض » ولكنه لم يتزعزع عن إيمانه فخلعت أسنانه ثم وضع فى كيس مملوء من الرمل ، وحمل فى البحر حتى صار على قيد سبع غلوات من الشاطئ ، ثم عرضوا عليه الحياة إذا هو آمن بما أقره مجلس ( خلقيدونية ) ، فعلا ذلك ثلاثا وهو يرفض فى كل مدة ، فرموا به فى البحر فمات غرقًا »<sup>(١)</sup>

## التفكير فى فتح مصر

كان التفكير فى الفتح العربى لمصر أثناء الفتح العربى فى فلسطين .

فحين كانت ( بيت المقدس ) على وشك التسليم للعرب ، طلب أهلها بلسان البطريرق ( صقر نيوس ) ، أن يصالحهم عمر بن الخطاب على ما صالح عليه دمشق ، والمدن الأخرى التى تم للعرب فتحها ، وأن يأتى الخليفة بنفسه ليكتب لهم عهد الصلح ، فرضى عمر بن الخطاب بهذا الشرط تقديرًا لمكانة بيت المقدس . وكتب إلى قواد جنده أن يوافقوه بالجباية<sup>(٢)</sup> .

وهناك فى السنة ١٧ هجرية ( ٦٣٩ ميلادية ) ، جاءه وفد من أهل بيت المقدس فصالحهم وأمنهم .

ثم ذهب إلى بيت المقدس ، فاستقبله أهل المدينة المقتدسة بالبشر والارتياح وصلبى فى مكان قريب من الصخرة المقدسة ، وهو المكان الذى أقيم فيه للمسجد الأقصى فيما بعد .

(١) ألفريد بتلر . فتح العرب لمصر ص ١٦٢ .

(٢) فى معجم البلدان لياقوت الحموى أن الجباية قرية من أعمال دمشق . وباب الجباية بدمشق منسوب إلى هذا الوضع جـ ٣ ص ٣٣ .

وفى ( الجابية ) عرض عمرو بن العاص على عمر بن الخطاب ، فكرة فتح مصر ، وكان من قبل يعرضها عليه ، فتردد عمر فى قبول الفكرة ، إذ خشى عواقب تشتيت قوة العرب فى حين كانت جيوشهم تقاتل الرومان والفرس .

فلم يزل عمرو بن العاص يحسن إليه فتح مصر حتى اقتنع بالفكرة ، على أنه استمهله حتى يعود إلى المدينة ويكتب إليه .

## عمرو بن العاص

كان عمرو بن العاص من خيرة قواد العرب ، ومن أكثرهم خبرة وحكمة ومقدرة فى الحرب والسياسة كان راجح العقل ، نافذ البصيرة ، بعد الهمة ، ومن أشجع العرب ، وأبعدهم نظرًا ، ومن أبلغهم عبارة ، وأفصحهم لسانًا ، وكان أحد قواد الفتح العربى فى سورية وفلسطين . وقد مارس التجارة فى صباه ، فساعدته هذه المهنة على الاتصال بمختلف الأجناس والشعوب ، وكان لها أثرها فى اتساع أفقه وازدياد خبرته بالشئون السياسية والاجتماعية .

ومن البلاد التى زارها من قبل التجارة الشام ومصر والحيشة واليمن . وزار الإسكندرية حين مجيئه إلى مصر .

ولعله قد شاهد وهو فى مصر مبلغ ظلم الرومان للمصريين ، واضطهادهم فى عقائدهم الدينية ، وإكراههم على اتباع مذهب الحكومة الرسمى ( الملكانى ) ، وعرف سخط المصريين على هذا الظلم ، وما يؤدى إليه من ضعف مقاومة الزمان لم يجيء فاتحًا لمصر ، منقادًا لها من ظلم الرومان .

عهد عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص قيادة الجيش لفتح مصر ، وكان فى الخامسة والأربعين من عمره .

ولم يكن هذا الجيش يزيد فى بداية الأمر على أربعة آلاف مقاتل من الفرسان .

فسار عمرو بهذا الجيش فى جوف الليل من فلسطين قاصدًا مصر ، ولم يشعر به أحد .

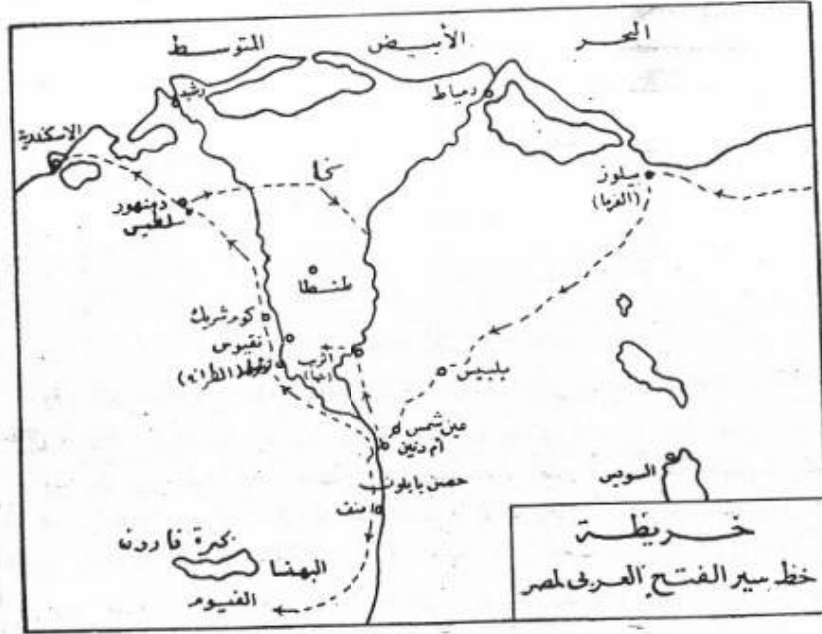
## تردد عمر بن الخطاب

على أن عمر بن الخطاب قد تردد بعد عودته إلى المدينة ، إذ كان جماعة من ذوى الرأى والمكانة ، وفى مقدمتهم عثمان بن عفان يرون غزو مصر مخاطرة لا تؤمن عواقبها .

فبعث عمر من المدينة كتابا إلى عمرو بن العاص يقول فيه : « فإن أدركك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئًا من أرضها فاتصرف . وإن كنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابى فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره »<sup>(١)</sup> .

(١) ابن عبد الحكم - فتوح مصر وأخبارها ص ٥١ .

حتى بلغوا بلبس ، وكانت بها حامية كبيرة من الرومان يقودهم أريطيون Ariteon<sup>(١)</sup> ، فقاوموا العرب مقاومة شديدة ، وضلت ممتعة نحو شهر ، وحدثت فيها واقعة كان النصر فيها حليف العرب ، وهزم فيها الرومان وكان ذلك سنة ٦٤٠م ( ١١٩هـ ) .



خريطة الفتح العربي لمصر ( سنة ٦٤٠ - ٦٤٢م )

### معركة أم دنين

ثم هبطوا قرية أم دنين على شاطئ النيل<sup>(٢)</sup> ، وكانت بلدة محصنة وتقع في الشمال من حصن بابلون ، وهو الحصن المنيع للرومان ، ويجاورها مرفأ على النيل فيه سفن كثيرة . فقاوم الرومان العرب في أم دنين قدر ما استطاعوا ، ولكن العرب هزموهم ، واستولوا على أم دنين بعد مقتلة كبيرة .

(١) يسميه المؤرخون العرب الأريطيون. وكان قائدا للرومان في بيت المقدس وفر منها إلى مصر قبل تسليمها للعرب .  
(٢) موقعها الآن في حي الأزبكية بالقاهرة في المكان الذي به جامع المقدس المعروف بجامع أولاد عثمان . وأم دنين هي التي صارت المقدس في عهد الفاطميين ( انظر موقعها على الخريطة ص ٢٦٠ ) .

ودفع بالكتاب إلى رسول يحمله إلى عمرو بن العاص . أدرك عمرو الكتاب وهو بعد في ( رفح ) التي لم تكن وقتئذ معدودة من أرض مصر ، فخشى أن هو أخذ الكتاب وفتح فيه الأنصراف كما عهد إليه عمر . فلم يأخذ الكتاب من الرسول . ودافعه وسار في طريقه حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش . فسأل عنها ، فقيل له إنها من مصر . فدعا بالكتاب ، وقرأه ، وقال لمن معه : أستم تعلمون أن هذه القرية من مصر ؟ . قالوا : بلى . قال : فإن أمير المؤمنين عهد إلى وأمرني إن لحقني كتابه ولم أدخل أرض مصر أن أرجع ، ولم يلحقني كتابه حتى دخلنا أرض مصر ، فسيروا وامضوا على بركة الله وعونه .

### وقائع الفتح العربي

استولى عمرو بن العاص على رفح في طريقه إلى مصر .

### فتح العريش دون قتال

( ١٢ ديسمبر سنة ٦٣٩م )

ثم بلغ العريش ، ولم يكن بها قوة من الرومان للدفاع عنها ، ففتحها دون عناء ، وكان ذلك في ١٢ ديسمبر سنة ٦٣٩م ، ( ١٠ ذى الحجة سنة ١١٨هـ ) يوم عيد الأضحى .

### فتح الفرما ( يبلوز )

( ٢ يناير سنة ٦٤٠م )

وبلغ الفرما ( يبلوز )<sup>(١)</sup> في يناير سنة ٦٤٠م ، وكانت بلدة محصنة ، وفيها قوة من الرومان دافعت عنها ، فهزمها العرب ، وفتحوا البلدة بعد أن حاصروها نحو شهر ، وكان استيلاؤهم عليها في أول المحرم سنة ١١٩هـ ، ( ٢ يناير سنة ٦٤٠م )<sup>(٢)</sup> .

### واقعة بلبس

( سنة ٦٤٠م )

واستمر العرب في زحفهم « لا يدافعون إلا بالأمر الخفيف » كتعبير ابن عبد الحكم<sup>(٣)</sup> ،

(١) شرقي بورسعيد الحالية ، والفرما هو الاسم العربي .  
(٢) في التوفيقات الإلهية للواء محمد مختار باشا أن أول المحرم سنة ١١٩هـ يوافق ٢ يناير سنة ٦٤٠م .  
(٣) ابن عبد الحكم فوج مصر وأخبارها ص ٥٤ .



فارتاح عمرو لهذه الحركة ، إذ رأى فيها فرصة سانحة ليشتبك بالرومان في العراء ، بخلاف ما إذا كانوا ممتنعين في حصن بابلون .

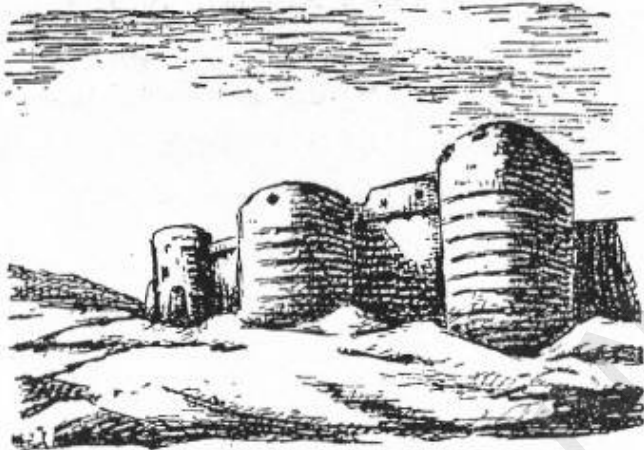
فرحف تيودور على عين شمس ، فوضع عمرو كميناً في موضع خفى من الجبل الأحمر ( شرقي العباسية الآن ) ، وآخر على النيل ، قريباً من أم دنين ، ولاقي تيودور بالفريق الأكبر من الجيش ، ونشب القتال ( يولية سنة ٦٤٠م ) في منتصف المسافة بين الجيشين تقريباً ( في حي العباسية الآن ) ، وأيقن الفريقان أن على النجاح في هذا الميدان يتوقف مصير مصر .

فحمى وطيس القتال ، ولما بلغ أشده خرجت قوة من العرب من الجبل ، وانقضت كالصاعقة على الرومان ، فاختل نظامهم ، وتراجعوا إلى الغرب نحو أم دنين ، فقابلتهم قوة أخرى من العرب ، وأصبحوا بذلك محصورين بين جيوش العرب الثلاثة التي سحقتهم سحقاً ، فلم يبق منهم سوى جزء يسير سار بعضهم إلى النيل ، وذهب البعض الآخر إلى حصن بابلون .

### حصار حصن بابلون واقتحامه

( سنة ٦٤٠ - ٦٤١م )

كان هذا الحصن قديماً ، بناه الفرس بعد غزو مصر ، وسموه باسم عاصمة دولتهم ( بابلون ) ، ثم جددّه ( تراجان ) إمبراطور الرومان ، فأقام أسواره الضخمة ، وزاد في بنائه . وموقعه شرقي النيل ( بمصر القديمة - قصر الشمع الآن ) ، وكان من أمنع حصون الرومان ، وفيه جيش قوى منهم .



حصن بابلون

الذي حاصره العرب سبعة أشهر وفتحوه في أبريل سنة ٦٤١م .

وتراجع الرومان إلى حصن بابلون يمتنعون به ، وكان موقعه شرقي النيل وتصل إليه السفن . وأدرك عمرو بن العاص من مقاومة الرومان في أم دنين أن فتح حصن بابلون ليس أمراً يسيراً ، ولا يكفيه الجيش الذي تحت قيادته ، فأرسل إلى عمر بن الخطاب يستعجل المدد<sup>(١)</sup> ، قبل فتح أم دنين .

### فتح الفيوم

وفي انتظار المدد ، أرسل يفتح بعض قرى إقليم الفيوم ( مايو سنة ٦٤٠م ) .

ولما تم لعمر بن العاص فتح هذه القرى عمد إلى حصار حصن بابلون ، فراه متمتعا عليه لكثرة تحصيناته ، وعلو أسواره ووفرة من فيه من جنود الرومان .

### وصول المدد إلى العرب

وفي شهر يونية سنة ٦٤٠م ، وصل أول مدد أرسله عمر بن الخطاب ، وعدته أربعة آلاف مقاتل .

ولما لبثاً فتح حصن بابلون كتب إلى عمر يستمده ، فأعده بأربعة آلاف آخرين ، وكتب إليه عمر بن الخطاب يقول : « إنى قد أمددتك بأربعة آلاف رجل على كل ألف منهم رجل مقام الألف : الزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد »<sup>(٢)</sup> . فصار عدة جيش العرب اثني عشر ألفاً ، وقال له عمر في كتابه : « اعلم أن معك اثني عشر ألفاً ، ولن تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة » .

وكان الزبير بن العوام هو الأمير على هذا المدد ، وهو ابن عمه الرسول عليه الصلاة والسلام وصاحبه ، وأحد رجال الشورى الستة .

### واقعة عين شمس

( يولية سنة ٦٤٠م )

بعد أن تلقى عمرو بن العاص المدد ، اتخذ عين شمس وقاً ما مركزاً لقيادته ، وشرع يستعد لمعركة عين شمس ، وكان جيش الرومان بقيادة تيودور القائد العام .

فعول تيودور على أن يسير بعشرين ألفاً من جنوده ، ليزحزح بهم جند العرب عن عين شمس .

(١) ابن عبد الحكم - فوج مصر وأخبارها - ص ٥٤ .

(٢) ابن عبد الحكم - فوج مصر وأخبارها ص ٥٦ . وفي رواية أخرى أن الراح خارجة بن حذافة .

الدنيا رغبة ولا نهيمة ، وإنما جلدتهم على التراب ، وأكلهم على ركبتهم ، وأبغروهم كواحد بينهم ، ما يعرف رغبهم من وضيقهم ، ولا السيد فيهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ، يسلمون أطرافهم بآله ، ويخشعون في صلاتهم»<sup>(١١)</sup> .  
وقد رأى قيرس ( القوقس ) خطورة الموقف إذا استوتف القتال ، فإن العرب وقفه حالمهم من الإيمان والشجاعة لا سبيل إلى ردهم عن قصدهم .  
فمالت نفسه إلى الصلح ، ورأى العرب تخبرهم حينذاك مياه النيل قبل أن يهبط الفيضان ، ثم إذا هبط يحمسن موقفهم ويستطهون السير وإنما شاوروا .

فأرسل إلى عمرو بن لبيد أن يبعث إليه جماعة من ذوى الرأي ليتفاوض معهم على ما عساه أن يكون صلحا .  
فبعث عمرو بمشيرة رجال أحدهم ( عبادة بن الصامت ) ، وكان أسود شديد السواد ، وأمره أن يكون للكلم في الوقت ، وألا يجيب الرومان إلى شيء دونه إليه إلا إحدى هذه الحصائل الثلاث .

فركب العرب السفن إلى جزيرة الروضة ، فلما دخل عبادة بن الصامت على قيرس ( القوقس ) ، هابه لسواده وفطر طوله وقال : « تجوا عني هذا الأسود وقتلوا غيره بكلمتي » .  
فقال العرب جميعا : « إن هذا الأسود أفضنا رأيا وطعنا ، وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا ، وإنما نزرع جميعا إلى قوله ورأيه . وقد أمره الأمير . وأمرنا أن لا نتخالف رأيه وقوله » .  
فدعس القوقس من هذا الجواب ، لأن الرومان قد اعتادوا على الفقرة المصرية ، ودهش من أن العرب لا يفترون بين الأسود والأبيض .

فتكلم عبادة وقال : « إن فئس خلفت من أصحاب ألف رجل أسود ، كلهم أتد سوادا مني ، ولقي محمد الله ما أعاب مائة رجل من عدوى لو استقبلوني جميعا ، وكذلك أصحابي ، وذلك إنما رغبنا وهنتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه وليس غزونا عدونا من حارب الله لرغبة في الدنيا ، ولا طلب الاستكثار منها لأن غاية أهدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعه لله في زياره ، وشمله بلمعها ، لأن نعم الدنيا ليس بنعم ، ورضاهما ليس برضاء ، وإنما النعم والرضاه في الآخرة » .

فقال القوقس لعبادة بن الصامت : « أيها الرجل الصالح ، قد سمعت مقاتلك وما ذكرت عنك وعن أصحابك ، ولمسرى ما بلغتم ما بلغتم إلا بما ذكرت ، وما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا جهم الدنيا ورغبتم فيها ، وقد توجه إلينا لقتالكم من جميع الروم ما لا يحصى عدده ، قوم معروفون بالجدة والسعدة ما يزال أحدهم من لقي ولا من قابل ، وما انعلم أنكم لن تقفوا عليهم ،

(١١) ابن عبد الحكم - المروج السابق - ص ٦٠ .

بدأ عمرو بن العاص في حصار حصن باليرن منذ سبتمبر سنة ٦٤٠م ، في زمن فيضان النيل ، وأخذ يقيق مياه الحناق ، وكان قيرس ( القوقس ) نائب هرقل يباذل الحصن مع الحماية الرومانية ، وقائد الحصن بسببه مؤرخو العرب ( الأعيوج )<sup>(١٢)</sup> ، ولعله تحريف عن اسم ( جورج ) ، وعدد الحماية الرومانية من خمسة آلاف إلى ستة آلاف مقاتل ، ولديه معدت القتال متوافرة .  
وكان تيودور Theodore القائد العام للرومان داخل الحصن أيضا ، يقول القيادة العليا للمناخ عنه .

### المفاوضات بين عمرو بن العاص والقوقس

كان قيرس ( القوقس ) يرغب أنه من الرومان ، يسبل إلى الصلح مع العرب ، لشعوره بضعف مركز قومه ( الرومان ) ، وما رآه من توالى هزائمهم أمام العرب في الشام وفلسطين ، فخرج ليلا من الحصن وذهب إلى جزيرة الروضة .  
وأرسل إلى عمرو وقتا برثمة أسقف باليرن ، لتقابلته واستملاخ رأيه في الصلح .

فقابل الرسل عمرا وقالوا له : « إنكم قوم قد ولجتم بلادنا ، وألجتم على قتالنا ، وقال مقاتلكم في أرضنا ، وإنما أقم عصية بسيرة ، وقد أظانلكم الرومان ) ، وجهزوا إليكم ومعهم من العملة والسلاح ، وقد أحاط بكم هذا النيل ، وإنما أقم أسارى في أيدينا ، فاجنوا إليها رجالا منكم نسحق من كلابهم ، فاعلمه أن يأتي الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب ، ويتشعل عا وعكم هذا القتال ، قول أن تتناكم جميع الروم ، فلا يتبعنا الكلام ولا تقدر عليه ، ولما لم أن تدمرا إن كان الأمر مخالفا لطلبكم ورجاكم»<sup>(١٣)</sup> .

فلم يبعث عمرو بجواب ما أقر به ، وحس الرسل عنده يومئذ حتى يروا حال العرب ، إذ أتيح لهم أن يسيروا في المسكر المرعى ويروا ما فيه .

ثم بعث عمرو برده مع الرسل وقال فيه : « ليس بيني وبينكم إلا إحدى خصال ثلاث : إما إن دخلتم في الإسلام نكتم إخواننا ، وكان لكم مالنا وإن أبيتتم فأصطبتم الجزية عن يدنا وأنتم صاغرون ، وإما إن جاهدناكم بالصر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين »<sup>(١٤)</sup> .

ففرح القوقس ( قيرس ) لعودة الرسل سائين ، وسألم عما شاهدوه في العرب فقالوا : « رأينا نوما الموت أسب إلى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم في

(١١) ابن عبد الحكم . المروج السابق ص ٥٣ .  
(١٢) ابن عبد الحكم - المروج السابق - ص ٥٩ .  
(١٣) ابن عبد الحكم - المروج السابق - ص ٦٠ .

## استئناف القتال

فما انتهت أيام المدينة الثلاثة حتى أخذ الرومان في الحصن يستعدون للحرب ، وخرجوا إلى العرب ثوب أسوار الحصن ، فأخذوا جند العرب على غرة ، غير أن العرب قابلوا الحرب بالحرب ووقع قتال شديد بين الرومان والحرب ارتد الرومان على أثره إلى الحصن .

فما فرقت القروس الحديت عن الصلح ، ورأى أن يعيد الاتصال بعمر بن العاص في شأنه ، فعرض عليه أن يخار الجزيرة ، على أن يعث القروس برأيه إلى الإمبراطور هرقل بالتسليمية ( استابول ) ، وأن يبقى الجنود من العرنيين في مواقمهم حتى يرد الرد من هرقل .

وكانت هذه مدينة قد يطول أمداها .

فسار القروس بطريق النيل إلى الإسكندرية ، ومن هناك بعث برأيه إلى هرقل .

فرض هرقل الصلح ، وأرسل يستدعي القروس ، ولعل ذلك كان في منتصف نوفمبر سنة ٦١٤ .

سار القروس إلى القسطنطينية ( استابول ) ، وأصر على رأيه في وجوب الصلح مع العرب ، فغضب عليه هرقل ، وبقائه من مصر طويلا .

وجاء الرد إلى مصر قرب نهاية سنة ٦١٤ ، وانتهت المدينة ، وعاد القتال بين العرب والرومان ، وهبطت مياه الفيضان وغاض الماء الذي كان يملأ الخندق المحيط بالحصن ، فضمف مركز الرومان ، واستمر القتال بينهم وبين العرب .

## وفاة هرقل

( فبراير سنة ٦١٤١ م )

وكان حجة الحصن يتظنون أن يصلهم المدد من القسطنطينية ، فلم يجدوا أثره .

ورأوا أن القدر قد نجح آمالهم ، إذ بلغهم أثناء الحصار نبأ وفاة هرقل إمبراطور الرومان ، فحارت لذلك نفوسهم .

وكان وفاة هرقل في فبراير سنة ٦١٤١ م . ( ٢٠ هـ ) ، أي قبل فتح حصن بلون بشهرين .

## فتح الحصن عنوة

( إبريل سنة ٦١٤١ م )

وبقي الحصن بعد ذلك شهرا لا يسلم ، فلما أبان الفتح ، تقدم الزبير بن العوام ، ووجه الله نفسه ، واعتزم أن يقتحم الحصن اقتحاما .

فجاءه إلى الحصن تحت جنح الليل ومعه جماعة من خيرة رجاله القداميين ، وكان الخندق

ول تطيقهم لضمتكم وقتاكم ، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن ترض لكل رجل منكم دينارين ، ولأمركم مائة دينار ، ولعالميتكم ألف دينار ، فقتضونها وتصرفونها إلى بلادكم ، بل إن بعشاكم مالا قوة لكم به» (١١)

فقال عبادة : يا هذا لا تنزل نفسك ولا أصحابك ، أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم ، وأنا لا تقوى عليهم : فلعمرى ما هذا بالذي تخوفنا به ، ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه ، وإن كان ما قلتم حقا فلذلك والله أرغب ما يكون في قتالكم ، وأشد عرصا عليهم ، لأن ذلك أعجز لنا عند ربنا إذا أقدمنا عليه إن قلنا من آخرنا كان أمكن لنا في رضوانه ورحمته ، وما من شيء أقر لأجبتنا ولا أحب لنا من ذلك ، ولما منكم حينئذ لعل إحدى المستين ، إما أن تطعم لنا غنيمة الدنيا إن ظفرتنا بكم ، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بناه ، وأنها لأحب المحصلين لبنا بعد الاجتهاد منا ، وإن الله عز وجل قال لنا في كتابه : «هكم من قوة قليلة غلبت قوة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين» (١٢) . وما لنا نرجل إلا وهو يدعو ربه صباحا ومساءً أن يرزقه الشهادة ، وإن لا يجرده إلى بلد ولا إلى أرضه ، ولا إلى أهله وولده ، وليس لأحبتناهم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده ، ولما معنا ما أماننا ، فانظر الذي تزيد فيه لنا ، فليس بيننا وبينك خصلة تقبلها منك ، ولا نجيت إليها إلا خصلة من ثلاث خصال . فاحذر أيها شفت ، ولا تطمع نفسك بالباطل ، بذلك أمرني الأكبر ، وبها أمره أمير المؤمنين ، وهو عهد رسول الله ﷺ من قبل البنا .

فلما وصل الحواري إلى هذا الحد ، أراد قبرس ( القروس ) أن يستنزل عبادة بن الصامت عن شيء أو يجعله يقبل شيئا مما عرضه عليه ، فلم يقبل على شيء ، بل وقع قوله على آذان صباه لا يقول . وقال عبادة يرد عليه بعد أن فقد صبره ورفع يديه إلى السماء : « لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض ورب كل شيء ما لكم عندنا من خصلة غيرها فاجتاروا لأنفسكم » .

## المدينة

فاجتمع القروس بأصحابه . فاجتلفوا رأيا ، وكان رأى القروس الإذعان وقبول الجزية ، وكان الجند يرون المقاومة وعلى رأسهم جوحج ( الأصميج ) ، ثم طلب الرومان أن يهادنهم العرب شهرا ليردوا فيه رأيهم ، فأجابهم عمرو جوريا قائما إذ قال لهم إنه لن يهادنهم أكثر من ثلاثة أيام .

(١) ابن عبد الحكم - المروج الذهب - ص ٦١ .  
(٢) سورة البقرة الآية ( ٢٤٩ ) .

ثم صمد لهم تيودور في الكربون ، وكانت آخر سلسلة من الحصون التي بين بابلون والإسكندرية وجزت ، بها موقعة كبيرة ارتد على أثرها الرومان إلى الإسكندرية .  
وبعد الاستيلاء على الكربون انفتح الطريق إلى الإسكندرية .

### حصار الإسكندرية وفتحها ( ٦٤١ - ٦٤٢ م )

بلغ العرب الإسكندرية ، وكانت قوة الرومان فيها أكبر من قوتهم في حصن بابلون .  
هذا إلى ما كانت عليه الإسكندرية من المنعة ، وأسوارها من لضخامة ، وحصونها وأبراجها من القوة .  
وكان يساعدهم فيها أن عددهم كان وفيراً ، وكانوا على اتصال بالبحر ، بخلاف ما كان عليه حماة حصن بابلون .

وكان بها من الجند نحو خمسين ألفاً<sup>(١)</sup> ، يقودهم الجنرال نيودور القائد العام .  
بدأ حصار الإسكندرية في يونيو سنة ٦٤١ م ، وأخذ عمرو حين قدم الإسكندرية يحمل على أسوارها ، فلم ينل منها مثلاً .

ورمت مجانيق الرومان من فوق الأسوار على جنده بوابل من الحجارة الضخمة ، فارتدوا مبتعدين عن مدى رميها ، وانتظروا حتى يخرج إليهم الرومان من خلف الأسوار ، فلم يخرجوا .  
ولم يكن الحصار محكما على الإسكندرية كما كان الشأن في حصن بابلون ، فإن البحر كان يمدّها بالحرية والموتنة .

ولم يكن للعرب سفن تهاجم الإسكندرية من جهة البحر .  
واستمر حصار الإسكندرية أربعة عشر شهراً .

وفي سبتمبر سنة ٦٤١ م ، عاد المقوقس إلى الإسكندرية ، وكان الأمر بنفيه من مصر صار كأن لم يكن بعد وفاة هرقل .

واستمسك برأيه السابق في أن الخير في مصالحة العرب .

### تسليم الإسكندرية ( نوفمبر سنة ٦٤١ م )

وفي نوفمبر سنة ٦٤١ م ، عقد الصلح بين عمرو والمقوقس على تسليم المدينة ، ومن شروطه

(١) الفريد بنار : فتح العرب لمصر ص ٢٥٥ .

قد جف ماؤه وطم جزء منه ، فاتفق معهم على أنه سيضع سلماً على السور ويصعد عليه إلى أعلى الحصن ، وواعدهم أن يتبعوه إذا سمعوا تكبيره .

ولما وصل البطل العربي إلى أعلى السور أخذ يكبر ويسفح في يده .

وتحامل الرومان عليه من داخل الحصن ، غير أن السهام أمطرتهم من العرب من الخارج .  
واستطاع أصحاب الزبير أن يصلوا فوق السلم إلى الحصن ويطفوا أسواره بأقدامهم ، وتحامل الناس على السلم ، فنهاهم عمرو بن العاص خوفاً من أن يتكسر<sup>(١)</sup> .

فعندئذ أدرك المقوقس أن العرب قد اقتحموا الحصن ، ولم يعد من سبيل إلى ردّهم عنه ، فعرض على عمرو أن يسلم الحصن على أن يأمن من كانوا به من الجند على أنفسهم .  
فقبل عمرو هذا العرض ، على أن يخرج الرومان من الحصن في ثلاثة أيام ، ويتركوا ما به من الذخائر وآلات الحرب .

واستولى العرب على الحصن وما فيه في أبريل سنة ٦٤١ م ، ( ربيع الثاني سنة ٢٠ هـ ) .  
فكأنه استمر يقاوم الحصار سبعة أشهر .

فتح سقوط حصن بابلون أمام العرب طريق الإسكندرية ، وطريق الوجه القبلي .  
فبدءوا بالزحف على الإسكندرية عاصمة البلاد وقتئذ ، وسار عمر وبجيشه على الشاطئ الغربي للنيل .

### في طريق الزحف على الإسكندرية

كانت أول مدينة فتحها العرب في زحفهم على الإسكندرية هي ترنوط<sup>(٢)</sup> بالشاطئ الغربي للنيل ، وأول ما التقوا بالرومان فيها ، فهزمهم العرب .

ثم استأنفوا السير إلى نقيوس<sup>(٣)</sup> ، وكانت حصناً متيناً ، ففتحوها ( مايو سنة ٦٤١ م ) .  
ثم عاد عمرو إلى الشاطئ الغربي للنيل ، وتابع الزحف إلى الإسكندرية .

وقاومهم الرومان في كوم شريك ، فهزمهم العرب ، وقاوموهم أيضاً في ( سلطيس ) جنوبي دمنهور فهزموهم .

(١) ابن عبد الحكم . فتوح مصر وأخبارها ص ٨٥ .

(٢) واسمها أيضاً ( الطرانة ) ، مركز كوم حمادة بحيرة ( انظر موقعها على الخريطة ص ٢٦٠ ) .

(٣) في المخطوط التوفيقية لعل مبارك باشا ( ج ٨ ص ١٥ ) أنها إيشادى الحالية ( مركز تلا ) وفي القاموس الجغرافي للبلاد المصرية لمحمد بك رمزي ( البلاد القديمة ) ص ٤٦٤ أنها زالت وحل محلها الكوم الأثرى الكائن بالبحيرة البحرية من ( زاوية رزين ) بمركز متوف ( انظر موقعها على الخريطة ص ٢٦٠ ) .



وفتح طرابلس في ذات السنة ، ثم استأذن الخليفة عمر بن الخطاب أن يستمر في زحفه غربا .  
فنهاه عن ذلك ، وأمره بالوقف عند هذا الحد .

### محاولة الرومان استرداد الإسكندرية وفشلهم ( سنة ٦٤٥ م )

عاودت الرومان المطامع في استرداد الإسكندرية ، إذ قد نسي إلى قسطنطين إمبراطور الرومان أن قوة العرب قد تضعفت فيها .  
فأنفذ عمارة بحرية كبيرة قصدت الإسكندرية ، وكانت سيادة البحر لاتزال ملكا للرومان .  
فنزلت الحملة إلى الإسكندرية سنة ٦٤٥ م ( ٢٥ هـ ) ، يقودها الجنرال منوبيل .  
ولكن عمرو بن العاص هزم الرومان ، وفتح المدينة مرة أخرى ، وهدم أسوارها .

### مسألة حريق مكتبة الإسكندرية ونفيه عن العرب

لاكت السنة بعض المؤلفين الإفرنج مسألة حريق مكتبة الإسكندرية ، إذ زعموا أنها أحرقت في أوائل الفتح العربي ، ونسبوا إلى عمر بن الخطاب أنه أمر عمرو بن العاص بإحراقها ، فأحرقها .  
وتلك لعمري تهمة لا تثبت أمام التحقيق العلمي ، ولا يلبث أرباب بطلانها بقليل من البحث المجرد عن الهوى .

أول ما وردت هذه القصة في كتاب لأبي الحسن القفطي عن ( تاريخ الحكماء ) ، ونقلها عنه أبو الفرج بن العبري في كتابه ( مختصر تاريخ الدول ) ، وكلاهما عاش في القرن الثالث عشر للميلاد أي بعد أن مضى أكثر من خمسة قرون على الفتح العربي لمصر ووقائمه .

فانقضت هذه القرون الطويلة قبل اختراع هذه القصة يجعلها ولاشك بعيدة عن الثقة ، إذ لو كان لها ظل من الحق لورد ذكرها على لسان شاهد عيان من المؤرخين المعاصرين للفتح العربي .  
أو ممن نقلوا عنهم في أعقاب هذا الفتح مباشرة .

وخلاصة هذه القصة كما أوردها أبو الفرج بن العبري أنه كان في وقت الفتح العربي رجل اسمه ( حنا النحوي ) ، من أهل الإسكندرية ومن قسوس الأقباط ، وأخرج من عمله لما نسب إليه من زيغ في عقيدته ، وكان عزله على يد مجمع من الأساقفة ، وأن هذا الرجل أدرك الفتح العربي للإسكندرية ، واتصل بعمرو بن العاص ، فلقى عنده لحظة ، فلما أتت الرجل من عمرو

عند هدنة نحو أحد عشر شهرا ، تنتهي في شهر سبتمبر سنة ٦٤٢ ، وأن يبقى العرب في مواقعهم مدة هذه الهدنة ، ولا يسعوا أي سعى لقتال الإسكندرية ، وأن يكف الرومان عن القتال ، وأن يجلو الجنود الرومان عن الإسكندرية بأسلحتهم ومتاعهم وأموالهم<sup>(١)</sup> ، وكان جلاء آخر فوج منهم في سبتمبر سنة ٦٤٢ .

ويفتح الإسكندرية وجلاء الرومان عنها دانت البلاد للفتح العربي وأذعن الصعيد للعرب دون قتال .

### فتح بعض المدن والقري

منذ واقعة عين شمس وجه عمرو بن العاص كثائب من الجند لفتح البلاد المجاورة ففتحت تريب ( بنها ) ومنوف .

وفي أثناء الزحف على الإسكندرية ، وحصارها فصلت كثائب أخرى وسارت إلى سخا وفتحتها .

ووجه عمرو بن العاص كثائب أخرى إلى إختناو بلهيب والبرلس ودمياط وتائيس ( صان الحجر ) وتونه ودميره وشطا ودقهلة وينا وبوصير ، فأخضعوها ، ولم تحلث مقاومات في معظم هذه البلاد إلا من الحاميات الرومانية .

وكان على دمياط أمير اسمه ( الهاموك ) ، يقال : إنه من أخوال المقوقس ، استعد لقتال العرب ، فلما جاءه المقاداد بن الأسود قاتله وقتل ابنه ، فانهزم وعاد إلى دمياط ، واستشار قومه فنصحه رجل حكيم بمصالحة العرب ، فلم يأخذ بنصيحة .

وسميت بلدة شطا باسم شطا بن الهاموك ( وهو ابن آخر للهاموك ) ، انضم إلى العرب وعاونهم ، وقتل شهيدا في معركة دارت لفتح تائيس .  
واستمرت المقاومة في المنزلة إلى ما بعد فتح الإسكندرية .

### فتح برقة

( سنة ٦٤٣ م )

بعد أن استقر مركز عمرو بن العاص في الإسكندرية ، وجلا الرومان عنها زحف على برقة سنة ٦٤٣ م ( ٢٢ هـ ) وكانت من بلاد الدولة الرومانية ، وكانت تسمى بنطابوليس Pentapolis ومن مدنها الشهيرة ( بنى غازي ) ، وصالح أهلها على الجزية .

(١) توفي المقوقس في مارس سنة ٦٤٢ .

هذا الإقبال قال له يوماً : « لقد رأيت المدينة كلها ، وختمت على ما فيها من التحف ، ولست أطلب إليك شيئاً مما تنتفع به بل شيئاً لا نفع له عندك وهو عندنا نافع » .

فقال له عمرو : « ماذا تعنى بقولك » . فقال : « أعنى بنفلى ما فى خزائن الروم من كتب الحكمة » فقال له عمرو : « إن ذلك أمر ليس لى أن أقطع فيه برأى دون إذن الخليفة » .

ثم أرسل كتاباً إلى عمر بن الخطاب يسأله رأيه ، فاجابه عمر قائلاً : « وأما ما ذكرت من أمر الكتب فإذا كان ما جاء بها يوافق ما جاء فى كتاب الله فلا حاجة لنا به ، وإذا خالفه فلا إرب لنا فيه ، وأحرقها » .

فلما جاء هذا الكتاب إلى عمرو بن العاص أمر بالكتب فوزعها على حمامات الإسكندرية فأحرقوها فى ستة أشهر .

ثم قال المؤلف بعد أن روى هذه القصة : « فاسمع وتعجب » . ولم يذكر أبو الحسن ، ولا أبو الفرج المصدر الذى أخذاه عن هذه القصة ، مع انقضاء أكثر من خمسة قرون على فتح الإسكندرية .

ويمنع من تصديقها أنها لم ترد إطلاقاً فى أى كتاب وضع فى خلال هذه القرون الخمسة . ولو أنها وقعت لما فات أصحابها أن يدونها ، وولد حوالى زمن الفتح العربى مثل ( حنا النقيوسى ) ، المؤرخ المصرى ، الذى عاش فى النصف الثانى من القرن السابع للميلاد ، ووضع كتابه بعد الفتح العربى بنحو خمسين عاماً ، وسعيد بن البطريق ( أوتيوخوس ) ، الذى عاش فى القرن التاسع ، وتحدث عن الفتح العربى ، وكلاهما مسيحي .

ولم يشر إليه قدماء المؤرخين ، كابن عبد الحكم والبلاذرى ، والطبرى والكندى ، واليعقوبى ، على أهمية هذا الأمر وخطره .

على أن المؤرخين السابقين على فتح العربى بعدة قرون ، يذكرون أن حريق مكتبة الإسكندرية حدث فى سنة ٤٨ قبل الميلاد ، حين حضر ( يوليوس قيصر ) فى ذلك العام إلى الإسكندرية .

فقد ذكر المؤرخ اليونانى بلوتارك Plutarque فى كتابه عن ( قيصر ) أن يوليوس قيصر ، حين بوغت بمهاجمته فى الإسكندرية ، وأحرق أسطول البطالمة فى الميناء الشرقى المجاور للحى الذى كانت فيه المكتبة ، فامتدت النيران إلى ذلك الحى ، والتهمت المكتبة بما فيها من الكتب .

وأيده فى ذلك سينيكا Senéque وديوكاسيوس Dio Cassius .

أى أن المكتبة أحرقت قبل الفتح العربى بستة قرون .

وفى ذلك كله يقول المؤرخ الإنجليزى ألفريد بتلر : « ولعلنا لا نكون مخطئين إذا نحن أجمعنا

فيسأل أدلة حجتنا ، فإن فصلنا أن نين حقيقة أمر مكتبة الإسكندرية ، ومقدار نهب إحراق العرب لها من الصحة أو الكذب ، وقد بينا فيما سلف الأمور الآتية :

١- أن قصة إحراق العرب لها لم تظهر إلا بعد نيف وخمسة عشر عاماً من وقت الحادثة التى نذكرها .

٢- أننا فحصنا القصة وحللنا ما جاء فيها ، فألقيناه سخافات مستعبدة ينكرها العقل .

٣- أن الرجل الذى تذكر القصة أنه أكبر عامل فيها ( حنا النحوى ) مات قبل غزو العرب بزمن طويل .

٤- أن القصة قد تشير إلى واحدة من مكتبتين : الأولى مكتبة المنصف ( دار العلم - الموزيون ) ، وهذه ضاعت فى الحريق الذى أحدثه يوليوس قيصر ، وإن لم تلتف عند ذلك كان ضياعها فيما بعد فى وقت لا يقل عن أربعين عاماً قبل الفتح العربى ، وأما الثانية وهى مكتبة السرايوم فلما أن تكوّن: قد نقلت من المعبد عام ٣٩١ م ، ولما أن تكوّن قد هلكت أو تفرقت كتبها وضاعت ، فتكون على أى حال قد اختضت قبل الفتح العربى بقرنين ونصف قرن .

٥- أن كتاب القرنين الخامس والسادس للميلاد ، لا يذكرون شيئاً عن وجودها وكذلك كتاب أوائل القرن السابع .

٦- أن هذه المكتبة لو كانت لاتزال باقية عندما عقد قيصر ( المقوقس ) صلحه مع العرب على تسليم الإسكندرية ، لكان من المؤكد أن تنقل هذه الكتب ، وقد أبيع ذلك فى شرط الصلح الذى يسمح بنقل المتاع والأموال فى مدة الهدنة التى بين عقد الصلح ودخول العرب فى المدينة ، وقدّر ذلك أحد عشر شهراً .

٧- لو صح أن هذه المكتبة قد نقلت ، أو لو كان العرب قد أتلّفوها حقيقة لما أغفل ذكر ذلك كاتب من أهل العلم كان قريب العهد من الفتح العربى مثل ( حنا النقيوسى ) ، ولما مر على ذلك بغير أن يكتب حرفاً عنه .

« ولا يمكن أن يبقى شك فى الأمر بعد ذلك ، فإن الأدلة قاطعة وهى تبرر ما ذهب إليه ( رينوود ) من الشك فى قصة أبى الفرج ، وما ذهب إليه ( جبون ) من عدم تصديقها ، ولابد لنا أن نقول إن رواية أبى الفرج لا تعدو أن تكون قصة من أقاصيص الخرافة ، ليس لها أساس فى التاريخ<sup>(١)</sup> .

وقال بتلر فى هامش ص ٣٧٠ : « لم نقصد فى هذا الأمر سوى إثبات الحقيقة ، ولم نقصد الدفاع عن العرب ، وليس الدفاع بضرورى ، ولو كان ضرورياً لما تعذر أن نجد شيئاً يلىق الاعتذار به عن ذلك ، فلاشك أن العرب عُنوا فيما بعد بجمع كثير من الكتب القديمة وغيرها مما وقع

(١) ألفريد بتلر - فتح العرب لمصر - تعريب محمد فريد أبو حديد ص ٣٦٨ .

في أيامهم ، وعُتوا بحفظها وترجموا منها في كثير من الأحوال ، وفي الحق إنهم أقاموا مثلاً يجدر  
بفانخي هذه الأيام ( يريد المستعمرين الأوروبيين ) أن يحذوا حذوه ، فقد نقل سديو Sedillot  
في كتابه ( تاريخ العرب ) أن الفرنسيين عندما فتحوا مدينة ( قسطنطينة ) ، في شمال إفريقيا  
أحرقوا كل الكتب والمخطوطات التي وقعت في أيديهم ، كأنهم من صميم الهمج ، ووجد الإنجليز  
عند فتح مدينة ( مجدلة ) مكتبة كبرى من الكتب الحيشية ، فحملوها معهم ، ولكنهم لم يلبثوا  
أن تركوا أكثرها في كنيسة على جانب الطريق ، إذ وجدوا في حملها عناء لم يقروا على احتماله ،  
ولقد كان اختيارهم للكتب التي أبقوا عليها خبطاً وسيراً مع الصدفة ، ولكن قيمة الكتب التي  
أنقذت وحفظت تدلنا على فداحة الخسارة التي لحقت العلم بضياح ماترك منها ، فقد كانت  
النسخة الخطية من كتاب ( حنا النقيوسي ) ، التي حفظت بالمتحف البريطاني إحدى تلك الكنوز  
التي أنقذت بهذه الطريقة الاتفاقية .

هذا . ومن العلماء المحققين الذين نفوا هذه القرية عن العرب جستاف ليون ، وارنست رنان ،  
وجيون ، ورينوود ، وسديو ، ويقول سديو : إن هذه القصة وضعها كتاب معادون للعرب  
والإسلام بيان الحروب الصليبية .

### عمرو بن العاص يتولى شؤون مصر

بعد أن تمّ لعمرو بن العاص فتح الإسكندرية تحول إلى القسطنطينة التي أنشئت بعد الفتح ،  
ومن هناك تولى شؤون مصر بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وكان بدء ولايته سنة ٢٩ هـ  
قبل فتح الإسكندرية .

فكان خير وال لشونها ، وعُرف بالحكمة والعدل ولين الجانب وإطلاقه الحرية الدينية  
للمواطنين ، والسعي في إقامة أعمال العمران التي عادت على البلاد بالخير ، وأجبه أهل مصر  
لما رأوا فيه احترام حرية العقيدة الدينية وتخفيف وطأة الضرائب ومن السماحة بعد الغلظة التي  
كانوا يشهدونها من الولاة الرومان .

وظل يتولى شؤون مصر حتى ولى الخلافة عثمان بن عفان . سنة ٢٤ هـ فعزله سنة ٢٦ هـ ،  
وولى بدله عبدالله بن سعد بن أبي سرح .  
وكان ولاية عمرو بن العاص على مصر نحو خمس سنوات .  
ثم وليها في زمن معاوية .

### إعادة البطريق بنيامين

ومن أعماله التي أكسبته حب المواطنين ، تأمينة البطريق ( بنيامين ) ، فقد كتب أماتاً له وردّه

إلى كرسي البطريقي ، وأعاد له سلطته بوصفه بطريقاً للأقباط بعد أن ظل مبعداً عن منصبه  
أكثر من عشر سنوات ، ودخل بنيامين الإسكندرية دخول الظافر .  
ولقى من عمرو الحفاوة والتقدير حتى قال عنه لأصحابه : « إني لم أر يوماً في بلد من البلاد  
التي فتحها الله علينا رجلاً مثل هذا بين رجال الدين » .

وعادت لبنيامين زعامته الدينية بين الأقباط .  
قال بتلر في هذا الصدد :

« وقد كان لعودة بنيامين إلى عرش الإسكندرية وأبنائها رنة طرب في قلوب أهل مصر  
جميعاً ، فعاد جل العامة إلى زعيمهم القديم والفرح يملؤهم ، ونادى البطريق ( بنيامين ) المطارنة  
الذين اتبعوا مذهب الدولة ( الملكاني ) أن يرجعوا إلى سابق عهدكم ومنكم ، فعاد بعضهم يذرفون  
الدمع السخين ندماً ولكن قبل إن واحداً منهم أتى يعود حتى لا يلحقه العار خوف أن يعرف  
عنه الردة الأولى ، ولعل الكثيرين كانوا مثله في هذا ، ومهما يكن من الأمر فقد نما أمر الأقباط  
وزاد أتباع ملتهم ، وكان هم بنيامين في أول الأمر أن يقدح فكره ليلاً ونهاراً في أمر رعيته ،  
وإرجاع من ضل منهم في أيام هرقل » (١) .

وظل في منصب البطريق حتى وفاته سنة ٦٦٢ هـ .

### وصف مصر

#### بقلم عمرو بن العاص

كان عمرو بن العاص من أبلغ كتّاب العرب ، وقد وصف مصر في كتاب بعث به إلى  
عمر بن الخطاب ، إذ طلب الخليفة ذلك منه ، قال : « ورد إلى كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه  
يسألني عن مصر ، أعلم يا أمير المؤمنين أن مصر تربة غبراء ، وشجرة خضراء ، طولها شهر ،  
وعرضها عشر ، يكتنفها جبل أغبر ، ورمل أعفر ، يخط وسطها نهر مبارك الغدوات ، ميمون  
الروحات ، تجرى فيه الزيادة والنقصان ، كجرى الشمس والقمر له أوان ، تمده عيون الأرض  
وينابيعها ، حتى إذا عَجَّ عجاجه ، وتعظمت أمواجه ، فاض على جانيه ، فلم يمكن التخلص  
من القرى بعضها إلى بعض إلا في خفاف القوارب ، وصغار المراكب ، فإذا تكامل في زيادته ،  
نكص على عقبيه ، كأول ما بدأ في جريته ، وطسى في ذروته ، فعند ذلك يخرج القوم ليجرثوا  
بطون أوديته وروايه ، يبدرون الحب ، ويرجون الثمار من الرب ، حتى إذا أشرق وأشرف ، وسقاه  
من فوقه الندى ، وغذاه من تحته الثرى ، فبينما مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة بيضاء ، إذا هي غبرة  
سوداء ، وإذا هي زبرجدة خضراء ، فتعالى الله الفعال لما يشاء ، والذي يصلح هذه البلاد ،

(١) ألفريد بتلر . فتح العرب لمصر ص ٣٨٥ .

وكان الشروع في تخطيط الفسطاط سنة ٢١هـ (٦٤٢م) ، بعد هزيمة الرومان في الإسكندرية .

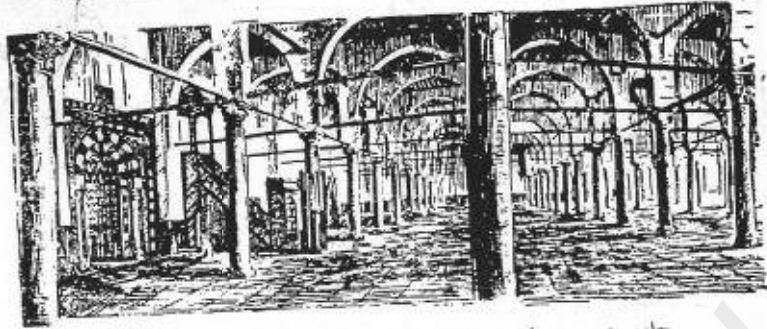
### تحديد الفسطاط

حدد الأستاذ يوسف أحمد في كتابه ( الفسطاط ) ، بأنها تقع في المنطقة التي حول جامع عمرو ، والتي تمتد شرقاً إلى سفح جبل المقطم ، وشمالاً إلى جهة ( مسجد أبو السمود ) ، وغرباً حتى النيل ، وجنوباً حتى ساحل أثر النبي ( وتعرف الآن بمصر القديمة ) .

### جامع عمرو بن العاص

شرع عمرو بن العاص في بناء المسجد الذي عرف باسمه منذ عودته من فتح الإسكندرية . وبدأ في بنائه سنة ٢١هـ ( ٦٤٢م ) بعد تخطيط الفسطاط .

وكان يسمى الجامع العتيق ، أو جامع الفتح ، أو تاج الجوامع ، وهو أقدم جامع فُشِيَ في مصر ويقع شمالي حصن بابلون ( قصر الشمع ) .



جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ( مصر القديمة ) قبل إصلاحه وتوسيعه  
أنشأه عمرو بن العاص سنة ٢١هـ ( ٦٤٢م )

وكان طوله في بداية عهده خمسين ذراعاً وعرضه ثلاثين ذراعاً ( ٢٩ × ١٧ متراً ) ، وله ستة أبواب .

وكانت تقام فيه الصلوات ، وتلقى فيه الدروس الدينية ، فصار مع الزمن معهداً علمياً ودراسياً لمختلف طبقات الشعب ، هذا إلى أنه كان مقراً لمجالس القضاء ، ومكاناً لبيت المال .

وينميتها ، ويقر قاطنيتها فيها ، أن لا يقبل قول خسيسها في رئيسها ، ولا يُستأدى خراج ثمرة إلا في أوتابها ، وأن يصرف ثلث ارتفاعها في عمل جسورها وترعها ، فإذا تقرر الحال مع العمال في هذه الأحوال ، تضاعف ارتفاع المال ، والله تعالى يوفق في المبدأ والمآل .

### عمرو بن العاص

### يؤيد تحديد النسل

كان عمرو بن العاص بعيد النظر ، واسع الأفق ، يعالج المسائل الاجتماعية بحكمة وحصافة ، فمن خطبة له يوم الجمعة يحث الناس على القصد والاعتدال ، ويرغبهم عن كثرة العيال ، ويؤيد تحديد النسل ، قال :

« يا معشر الناس ، إياكم وخلالا أربعاً ، فإنها تدعو إلى النَّصب بعد الراحة ، وإلى الضيق بعد السعة ، وإلى الذلة بعد العزة ، إياكم وكثرة العيال ، وإخفاض الحال ، وتضييع المال ، والقيل بعد القال ، في غير ذلك ولا نوال »<sup>(١)</sup> .

### انشاء الفسطاط عاصمة مصر

أراد عمرو بن العاص أن يسكن الإسكندرية ، ويتخذها عاصمة البلاد ، إذ رأى أن بيوتها مشيدة ، وأنها الأجدر بأن تظل الصدود : « مساكن قد كفيناها » .

فكتب إلى عمر بن الخطاب ليستأذنه في ذلك ، فسأل عمر الرسول : « هل يحول بيني وبين المسلمين ماء » . قال : « نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل ، فكتب إلى عمرو : « إني لأحب أن تنزل بالمسلمين منزلاً يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا في صيف » .

ولم يكن للعرب قوة بحرية في ذلك الحين ، ولذلك خشى الخليفة عمر بن الخطاب أن يحول البحر بين أجزاء الدولة العربية .

فأنشأ عمرو مدينة الفسطاط<sup>(٢)</sup> في السهل الذي يلي حصن بابلون ، بينه وبين جبل المقطم ، واتخذها عمرو بن العاص عاصمة البلاد ومقر الحكم .

وتقوم في الضفة المقابلة للنيل ، على بعد أميال جنوباً ، مدينة ( منف ) العظيمة ، عاصمة مصر القديمة .

(١) ابن تفرى بردى . النجوم الزاهرة ج ١ ص ٧٣ .

(٢) في « الصباح الثبير » أن كل مدينة جامعة فسطاط . وفي معجم البلدان ( ج ٦ ص ٣٨ ) أن الفسطاط أيضاً مجتمع أهل الكورة .





هذا إلى ما اتصف به عمرو بن العاص من حبه للعدل والرفق بالأهلين ، وما كان يوصيه به  
عمر بن الخطاب من حسن معاملتهم ، اعتبر ذلك في الكتاب الذي بعث به إليه وقال فيه :

« واعلم يا عمرو أن الله يراك ويرى عملك فإنه قال تبارك وتعالى في كتابه : ﴿ واجعلنا للمتقين  
إماما ﴾<sup>(١)</sup> يريد أن يقتدى به ، وإن معك أهل ذمة وعهد ، وقد أوصى رسول الله ﷺ بهم وأوصى  
بالقبض فقال : « استوصوا بالقبض خيرا فإن لهم ذمة ورحما »<sup>(٢)</sup> ، ورحمهم أن أم إسماعيل منهم .  
وقد قال ﷺ : « من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأننا خصمه يوم القيامة » ، احذر يا عمرو  
أن يكون رسول الله ﷺ لك خصما ، فإن من خصمه خصمه ، والله يا عمرو لقد ابتليت بولاية  
هذه الأمة ، وآنت من نفسى ضعفا وانتشرت رعبتى ورق عظمى ، فأسأل الله أن يقبضنى إليه  
غير مفرط ، والله إني لأخشى لومات جمل بأقصى عملك ضياعا أن أسأل عنه يوم القيامة .

ولقد رأى المصريون من إنسانية العرب ، وتسامحهم ما جعلهم يثقون بهم ويطمئنون إليهم ،  
وجاء توكيدا لقول الرسول ﷺ : إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبض خيرا فإنه لهم ذمة ورحما »<sup>(٣)</sup> .

والأمثلة على إنسانية العرب عديدة ، وقد وجد أهل العراق وفلسطين والشام مثل هذه  
الإنسانية .

فمن ذلك أنه في أوائل الفتح العربى حين فتح عمرو بن العاص ( بلبس ) كانت بها ابنة  
المقوقس ( أرمالوسة ) ، وقد نقل المقرئ عن الواقدي أن المقوقس زوجها القسطنطين بن هرقل ،  
فأكرمها عمرو وأرسلها معزة مكرمة ومعها جميع مالها حتى التقت بأبيها .

فسر المقوقس من هذه المروءة ، وكان لها ولا ريب أثر كبير في نفسه .

ولما أزمع عمرو الزحف على الإسكندرية بعد فتح حصن بابلون أمر الجند أن ينزعوا خيمته  
( الفسطاط ) ، فوجد في أعلاها عش يمامة باضت عليها فأمر عمرو أن تترك خيمة القائد  
مكاتها ، وقال في هذا الصدد : « لقد تحرم هذا اليمام منا بمتحرم ، فأقروا هذا الفسطاط في  
موضعه حتى يفرخ ويطيح » .

وعين على الفسطاط ( الخيمة ) حارسا يمنع تلك اليمامة أن يمسه أحد بأذى .

فإذا كانت الإنسانية قد بلغت هذا الحد وشملت الطير الذى اتخذ خيمة القائد العام عشًا  
له ، فإن هذا المثل جدير بأن يكسب العرب محبة المصريين وتقديرهم .

وبعد أن دانت البلاد للفتح العربى ، وجلا الرومان عنها رأى المصريون عمرو بن العاص يمنع  
لاضطهاد الدينى ، ويعلن ألا إكراه فى الدين وأن حرية العقيدة مبدأ مقدس .

(١) سورة الفرقان : الآية ( ٧٤ ) .

(٢) ابن عبد الحكم - فتوح مصر وأخبارها - ص ٢ .

(٣) سئل ابن إسحق : وما الرحم الذى ذكره رسول الله ﷺ فقال كانت هاجر أم إسماعيل منهم .

فأدرك المصريون الفارق الجوهرى بين عهد الرومان وعهد العرب  
كما شاهدوا عمرو بن العاص يخفف عنهم وطأة الضرائب ، ويساوى بين الناس من أدائها ،  
لا فرق بين كبير وصغير ، وقوى وضعيف ، ومسلم وكلى .  
وشاهد المصريون من تسامح العرب الدينى ، ما ذكرهم بالشدائد التى لاقوها من قاطرة  
الرومان ، سواء منهم من كانوا على الوثنية أو بعد اعتناقهم المسيحية ، فقد اضطهدوا المصريين  
المسيحيين اضطهادا دينيا .

وحتى بعد أن اعتنقوا المسيحية اضطهدوا المصريين لإكراههم على اتباع مذهبهم الرسمى ،  
بل خرب هؤلاء وأولئك كثيرا من الآثار المصرية القديمة .

فلما جاء العرب رعوا حرية العقيدة واحترموا ، كما احترمو آثار الفراعنة ولم يمسوها بسوء ،  
ولم يفعلوا مثلما فعل الرومان أو الفرس أو الآشوريون .

فلا غرو أن أقبل المصريون وقساوتهم على عهد العرب مبتهجين .

وكان من نتائج الحرية الدينية التى أقرها العرب أن انتهى كثير من المصريين على توالى السنين  
إلى قبول الإسلام ، فدخلوا فيه أفواجا .

ولم يكن دخولهم فيه كرها أو عن ضغط واضطهاد ، فإن المبدأ الذى اتبعه العرب هو حرية  
العقيدة .

وفى ذلك يقول مؤرخ أجنبى منصف ، وهو ألفريد بتلر فى كتابه ( فتح العرب لمصر ) :  
« إن بعض الأقباط أخذوا عند ذلك يختارون الإسلام ويفضلون الدخول فيه على دفع الجزية ،  
فقد رأى هؤلاء أن الإسلام يجعل لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين ، ويساويهم بالفاتحين  
فى شرف محلمهم ويجعلهم إخوانهم فى كل شىء ، يسهم لهم فى الفىء ، ولا يفرض عليهم الجزية ،  
فكان فى ذلك باعث قوى لكثير منهم على الدخول فى الإسلام ولاسيما وقد طحن المقوقس  
عقيدتهم طحنا وحطم يقينهم باضطهاده »<sup>(١)</sup> .

وقال فى موضع آخر : « ليس من العدل أن يقول قائل إن كل من أسلم من الأقباط إنما  
كان يقصد الدنيا وزينتها ، فإنه مما لا شك فيه أن كثيرا من أسلم لما كان يطمع فيه مساواة بالمسلمين ،  
الفاتحين ، حتى يكون له ما لهم ، وينجو من دفع الجزية ، ولكن هذه المطامع ما كانت لتدفع إلا من  
كانت عقائدهم غير راسية ، وأما الحقيقة المرة فهى أن كثيرا من أهل الرأى والحصانة قد كرهوا  
المسيحية لما كان فيها من عصيان لصاحبها ، إذ عصت ما أمر به المسيح من حب ورجاء فى الله .  
ونسيت ذلك فى ثوراتها وحروبها التى كانت تنشب بين شيعها وأحزانتها ، ومنذ بدا ذلك هؤلاء  
العقلاء ، لجثوا إلى الإسلام ، فاعتصموا بأمنه واستظلوا بوداعته وطمأنينته وبساطته »<sup>(٢)</sup> .

(١) ألفريد بتلر - فتح العرب لمصر - المرجع السابق ص ٢٤٣ .

(٢) ألفريد بتلر - المرجع السابق ص ٣٨٥ .

وقال لمناسبة الصلح الذى عقد على تسليم الإسكندرية للعرب :

« ولا نزال نسائل النفس عن السبب الذى حمل أهل الإسكندرية على قبول ذلك الصلح ،  
وإيادارة إلى الرضا عن قيرس ( المقوقس ) ، بعد أن كانوا قد وثبوا به وأرادوا أن يحصوه ، ولكنهم  
لم يكونوا صادقين عن نزع في اتصافهم عن دولتهم ( دولة الرومان ) ، وصدفهم عنها ورضائهم  
بالإذعان لحكم الإسلام ، وليس ثمت إلا رأى واحد فوق ما سبق لنا ذكره : نفس به ما كان  
منهم ، ذلك أنهم كانوا قد سئموا من كثرة ما أصابهم من الخدثان ، وكرهوا فساد الحكم الذى  
أثقل كواهلهم مدة أربعين عامًا ، وقالوا فى أنفسهم : لعلنا نجد فى حكم المسلمين استقرارًا  
واطمئنانًا نأمن فيه على ديننا فلا نكره فيه ، وعلى أموالنا فلا نتحمل من الخراج والجزية إلا قدرًا  
نطبقه ، ولعل أكثر ما حملهم على الرضا بحكم العرب رفع ما كان يهظهم من الضرائب ، فقد  
كان الرومان يحبون من مصر أموالا يتعذر علينا أن نعرف مقدارها ، ولكنها كانت بلا شك كثيرة  
الأنواع ثقيلة الوطأة ، شديدة الأذى ، فأحل العرب محلها الجزية وخراج الأرض ، ومهما يكن  
من مقدارها فقد كانت لها فضيلة البساطة ، وكانت ثابتة المقدار ومحدودة القصد ، وكانت أقل  
فى جملتها مما كان يجيه الرومان<sup>(١)</sup> .

هذا ، وإن ما شاهده المصريون أو استذكروه من مظالم البطالة ، ثم مظالم الرومان ، ومن  
قبلهم ظلم الفرس والآشوريين ، قد أثار بصائرهم وزاد من وعيهم ، وجعلهم يعتقدون بحق أن  
الحكم الأجنبي ، لا يمكن الاطمئنان إليه ، فلقد رأوا الإسكندر بادئ الأمر ، منقادًا لهم من ظلم  
الفرس ، ثم ما لبث حلفاؤه البطالة أن اتخذوا مصر مستعمرة لهم ، ثم رأوا من ظلم الرومان شرا  
مما رأوا من البطالة .

فهذه التجارب التى استمرت عدة قرون جعلتهم يفكرون فى ألا بد لهم من اتجاه جديد  
فى الروابط الدولية ، يجعلهم آمنين على حياتهم وعقائدهم ومستقبلهم واستقلالهم .  
فاعتزموا ، وقد ساءت ظنونهم فى المجموعة الأوروبية ، أن ينضموا إلى الكتلة العربية  
الشرقية ، إذ وجدوا فيها العدل والإنسانية ، والفضائل القومية ، فانضمت مصر إلى المجموعة  
العربية .

وفى الحق إن للمستعمرين من الإغريق والرومان أو الأعاجم من الشرقيين ، قد برهنوا على  
أنهم أقوام قساة القلوب ، غلاظ الأكباد ، لم تعرف الإنسانية إلى قلوبهم سيلا ، وهذا ما جعل  
المصريين ينظرون إلى الفتح العربى كمنقذ لهم من ظلم الرومان واليونانيين ، ومن قبلهم ظلم الأعاجم  
من الشرقيين ، كالفرس والآشوريين .

قد لا يكون هذا الاتجاه نتيجة تمحيص وتحقيق ، بل هو إلهام للشعوب فى الساعات الفاصلة

(١) ألفريد بتلر - فتح العرب لمصر - المرجع السابق - ص ٢٩٢ .

فى تاريخها ، وخاصة فى ظروف الانتقال ، وهو بالنسبة لمصر دليل على ما فطر عليه الشعب  
المصرى من إرهاب للحس ، وحسن بصير فى الأمور ، فالشعب المصرى يماضيه فى الحياة القومية  
والحضارة المجيدة ، قد أحس أنه أقرب للعرب جوارًا وصلات روحية وثقافية ، فاتحمت نفسه  
بفطرتة السليمة إلى أن يكون جزءا من الكتلة العربية ، بدلا من الكتلة الأوروبية أو الشرفية  
الأعجمية .

أضف إلى ذلك ما كان من تأثير عامل اللغة فى هذا التطور ، فإن انتشار اللغة العربية فى  
مصر على تعاقب السنين قد مهد لجعل المصريين عربًا ، لأن اللغة هى ولا ريب من أقوى الروابط  
بين الأمم والجماعات ، بل هى من أركان القوميات .

وزاد فى تأثير لغة الضاد أن اللغة المصرية القديمة ( الميروغليفية ) ، قد تراجعت وتقلصت  
قبل الفتح العربى بعدة قرون ، وحل محلها اللغة الديموتيقية أى اللغة العامية ، لغة الجمهور ، وجاء  
البطالة ، وأحلوا محل اللسانين لغتهم اليونانية ، وجعلوها لغة الدولة الرسمية ، وظلوا كذلك ثلاثة  
قرون متوالية ، وجاء الرومان من بعدهم فأبقوا على اللغة اليونانية ، واتخذوها أيضا لغة الحكومة  
ولغة التعامل فى مصر ، فلما جاء الفتح العربى ، وجدت اللغة العربية أن المجال مهيأ لانتشارها  
بين المصريين .

ولقد تم هذا الانتقال فى يسر وسهولة ، إذ كان وليد الفطرة والحس المرهف .

وهذا ما جعل الشعب المصرى يتطور من ناحية اللغة والثقافة والتفكير إلى حيث صارت مصر  
مع الزمن الدولة العربية الكبرى ، قاعدة العروبة وعلمها الخفاق ، ومصدر الإشعاع العربى للبلدان  
القرية والبعيدة .

### ٣ - قائمة الكرنك

ومن الآثار القديمة التي ظلت مصدرا لتاريخ مصرى القديم القائمة المعروفة بقائمة الكرنك .  
نقش عليها أسماء الملوك ، وقد أمر بنقشها عاهل مصر العظيم توتمس الثالث ، وهذه القائمة منقوش  
عليها أسماء المنك على جدران حجرة يطلق عليها حجرة الأجداد .

### ٤ و ٥ - قائمة العراة المدفونة ( أيدوس ) وقائمة سقارة

وهناك قائمة العراة المدفونة وقائمة سقارة .

ويرجع تاريخ الأولى إلى عهد سبتى الأول ، من ملوك الأسرة التاسعة عشرة ، فقد أراد أن  
يخلد ذكرى أجداده فنقش أسماءهم فى إحدى قاعات معبده بالعراة المدفونة ، وبدأ بالملك مينا ،  
وهى محفوظة بمتحف القاهرة .

وترجع الثانية إلى عهد رمسيس الثانى ، وهو موجودة بمتحف القاهرة .

### ٦ - بردية تورين

وعدا هذه القوائم المنقوشة على الأحجار توجد وثيقة أخرى يطلق عليها اسم ( بردية تورين ) ،  
وهى تشمل أسماء الملوك إلى الأسرة التاسعة عشرة .  
ومما يؤسف له أن هذه البردية قد مزقت قطعاً عدة ، ولم يتمكن العلماء من وضع كثير  
من قطعها فى مكانها الأصلى .

### المتاحف

ومن المصادر الهامة لتاريخ مصر القديمة المتاحف فى مصر والخارج ، فهى تزخر بآثار مصر  
القديمة ومظاهر حضارتها .

### كتابات المؤرخين القدماء

الذين كتبوا عن مصر فى العهود القديمة أو القرية منها

ثم تأتى الكتب التى وضعها المؤرخون أو الرحالة القدماء الذين عاصروا مصر القديمة ، أو  
كانوا قريبين من عصرها ، فكتابتهم ومشاهداتهم تعتبر من المصادر الأصلية الثانوية لتاريخ مصر  
القديمة نذكر منهم :

هيكاته Hecatus الملطى ، نسبة إلى ملطية إحدى مدن اليونان بآسيا الصغرى . وقد زار مصر

## مصادر التاريخ المصرى القديم ومراجع البحث

### ١ - الآثار المصرية القديمة

إن الآثار المصرية ، كالأهرام والمعابد والمقابر والمسلات ، وما تحويه من الصور والتمائيل  
والنقوش والكتابات ، وما تتضمنه أيضاً أوراق البردى ، هى أول مصدر لتاريخ مصر القديمة .  
هذا ، وأنا لم أرجع إلى هذه المصادر الأصلية ، لأن دراستها واستخلاص الحقائق منها  
يختص به علماء الآثار المبرزون الذين اكتشفوا محتوياتها على تعاقب السنين .

حقاً إننى زرت الآثار المصرية زيارة علمية سنة ١٩٣٤ ، لمناسبة قضية المقال محمود مختار  
التي ترافعت عنه فيها ضد وزارة الأشغال ، فقد نذبت المحكمة المسيو شارل نيراس مدير الفنون  
الجميلة بوزارة المعارف العمومية وقتئذ ، لمعاينة محاجر أسوان ، وصحبه فى هذه الرحلة ،  
وكان يمثل الحكومة فى المعاينة الأستاذ عبد الرحيم نجيم نائب قلم قضايا الحكومة فى ذلك  
الحين ؛ ( رئيس محكمة استئناف القاهرة فيما بعد والحامى الآن ) ، ومندوبين عن وزارة الأشغال .  
وقد زرنا مناطق الآثار فى الأقصر والكرنك وطيبة وأدفو وجزيرة أسوان ، وشرح لنا المسيو  
شارل نيراس الآثار القديمة شرحاً علمياً ، ومكثنا فى هذه الزيارة عدة أيام .

واستوفينا هذه الآثار بحثاً وتمحيصاً .

وفى سنة ١٩٦٣ زرت معابد النوبة ، وخاصة معبدى ( أبو سمبل ) ، وكنت برفقة نخبة  
من أعضاء لجنة التاريخ والآثار بمجلس الآداب والفنون ، وهم : الدكتور أحمد فخرى ،  
والدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، والأستاذ حسن عبد الوهاب . والدكتور جمال محرز ،  
وكان يصاحبنا أيضاً الأديب يوسف الشارونى والأستاذ محمد أحمد على سكرتير اللجنة ، وشاهدنا  
عظمة الفن والتاريخ فى هذه المعابد ، وشرح لنا الدكتور أحمد فخرى دقائقها وروائعها .  
على أنى لم أجعل اعتمادى على مشاهداتى ، بل رجعت إلى ما كتبه العلماء عنه .

### قوائم الملوك فى الآثار القديمة

### ٢ - حجر بالرمو

وهناك الحجر المعروف بحجر ( بالرمو ) ، وقد نسب إلى هذا البلد لأن الجزء الأكبر منه  
موجود إلى الآن فى متحف بالرمو بجزيرة صقلية ، وبقية بمتحف القاهرة ، وفيه أسماء الملوك  
من قبل حكم الأسرات إلى الأسرة الخامسة ، وقد نقش هذا الحجر فى عهد الأسرة الخامسة .



## عن عهد البطالة والرومان

- إبراهيم نصفي - تاريخ مصر في عصر البطالة في جزئين .
- بيتر جوجيه - مصر البطلمية .
- بوشيه اكنزيك - تاريخ اللاحقين ( البطالة<sup>(١)</sup>) - في جزئين وهو من أهم المراجع في تاريخ البطالة .

Bouche Lecterq-Histoire des Lagides

Bevan-Histoire des Lagides

- بيفان - تاريخ اللاحقين في جزئين .
- محمد عواد حسون - حركات المقاومة الوطنية في مصر البطلمية .

Victor Chapot-L'Égypte Romaine

Diehl-L'Égypte Chrétienne et byzantine

- بيكوز شليو - مصر الرومانية .
- ديبول - مصر المسيحية والبيزنطية .
- هارولد بل - H. Bell الحليبة في مصر - تعريب الأستاذ زكي على .
- ميلن - تاريخ مصر تحت الحكم الروماني .

Milne-History of Egypt under roman rule

- أدوار جيون - اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية .

Gibbon-Decline and Fall of the Roman Empire

## عن الفتح العربي لمصر

- ابن عبد الحكم - فتح مصر وأخبارها .
- البلاذري - فتوح البلدان .
- الطبري - تاريخ الأمم والملوك - ١٣ جزءا .
- ابن الأثير - الكامل في التاريخ - ١٢ جزءا .
- المقرئ - المواعظ والأخبار بذكر الحطاط والآثار - أربعة أجزاء .
- أبو الفداء - المختصر في أخبار البشر - أربعة أجزاء .
- ابن تينري يردى - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - ١١ جزءا .
- السوطي - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة .
- القلقشندي - صحیح الأضي في صناعة الإنشا - ٤ أجزاء .

(١) نسبة إلى لاجيون في بطلموس الأول .

• جون ويلسن John Wilson الحضارة المصرية The Burden of Egypt تعريب الدكتور

أحمد فخري .

• أداف أرميان Erman مصر والحياة المصرية في العصور القديمة . تعريب الدكتور عبد المنعم

أبو بكر وحكم كمال .

• ديوتون وفالديه Diron et Vendier شعوب شرق البحر الأبيض المتوسط ، الجزء الثاني

مصر .

Les Peuples de L'Orient méditerranéen

• هنري حوجويه ، الرجز في تاريخ مصر ، الجزء الثاني ( مصر الفرعونية ) .

H. F Gautier-Percis de L'histoire de Égypte pharaonique

• بوزر - التسلسل الفارسي الأول على مصر .

Posner-La premiere dominatisu perse en Egypte

Weigall-History of the pharaons

Flinders Petrie-A History of Egypt

L'Égypte ancienne-Champollion-Figeac

Chompollion le jeune-L'Égypte sous Les pharaons

Edwards-The Pyramids of Egypt

• ويغول - تاريخ الفراعنة .

• فلندرس بتري - تاريخ مصر .

• شامبلون فيجاك - مصر القديمة .

• شامبلون الشاب - مصر تحت حكم الفراعنة .

• عبد المنعم أبو بكر - مراكب الشمس .

• عبد المنعم أبو بكر - إجتاتون .

• أدوارد - أفرام مصر .

• تعريب مصطفى أحمد عثمان .

• تاريخ العالم - نشره بالإجليزية السويجون هلمز .

• تعريب إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية .

• ظهر من التعريب حتى الآن خمسة أجزاء .

• وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعوني ، لائحة من

المطابع .

• جاسون ماسيرو - تاريخ المشرق ، شعوب المشرق القديم .

• إسكندر شارف Alexander Sharff تاريخ مصر من فجر التاريخ حتى إنشاء ملية .

• الإسكندرية ، تعريب الدكتور عبد المنعم أبو بكر .

• عمر عدوح مصطفي - أصول تاريخ القانون .

## فهرس الكتاب

صفحة	الفصل الثاني	صفحة	مقدمة الكتاب
٤١	الثورة الاجتماعية في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد	١١	مقدمة الكتاب
٤١	الأسرة السادسة	١٥	سلسلة تاريخ الحركة القومية في العصر الحديث
٤١	نسى الأول	١٥	الفصل الأول
٤١	الحملة في فلسطين وسورية	٢٥	الوحدة القومية . والدولة القديمة
٤١	القائد أوني	٢٥	الثالث جيا وتأييد الوحدة القومية
٤٢	مرن رع	٢٥	طية عاصمة الدولة الموحدة
٤٢	نسى الثاني - أطول حكم في التاريخ	٢٦	تأسيس مدينة ( طف )
٤٢	الرحالة ( حرخوف )	٢٧	إخطارة الصرية قل الوحدة
٤٣	الأسرات السابعة إلى العاشرة	٢٨	الصعرون أول من اكتشفوا التقيم السنوي
٤٣	الثورة الاجتماعية الأولى	٢٩	وأول من اكتشفوا القراءة والكتابة
٤٥	سبون ملكا في سبعين يوما	٣٠	الأسرات الأولى والثانية
٤٥	هدف الثورة يحقق على يد رجل يوزع من صفوف الشعب وهو أصحاب	٣١	إيجحوب أبو الطب في عصر الإسلام
٤٦	تأجيل الثورة	٣٢	الأسرة الرابعة . بناء الأهرام
٤٦	انتهاء الدولة القديمة	٣٢	سيفرو
٤٧	النظرة في أعمال الدولة القديمة	٣٣	خوفو . باني الهرم الأكبر
٤٨	الدولة الحديثة	٣٣	نظرة في بناء الأهرام
٤٨	الأسرة الحادية عشرة وبداية الأسرة الثانية عشر	٣٧	خفرع باني الهرم الثاني
٤٨	أنط مؤسس الأسرة الحادية	٣٨	مكاروخ باني الهرم الثالث
٤٩	متوسط الثاني . وإعادة الأسرة الثانية	٣٨	أبو الهول
٤٩	الأسرة الثانية عشرة . أسرة ا	٤٠	الأسرة الخامسة
٢٢٩		٤٠	الحرية في عهد ساحورع

Gustave le Bon-La Civilisation des Arabes

جوستاف ليون - تمدن العرب .

حسن إبراهيم حسن - عمرو بن العاص .

رفيق العظم - أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والنسابة ، الجزء الثالث .

بيلر - فتح العرب لمصر - توثيق محمد فريد أبو حميد .

Burlet-The Arab conquest of Egypt

محمد حسن هيكل - الفاروق عمرو .

ستافلي لين بول - تاريخ مصر في العصور الوسطى .

A History of Egypt in the Middle Ages

ستافلي لين بول - سيرة القاهرة ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين .

Story of Cairo

Sedillot-Hist. Générale des Arabes

سدنيو - تاريخ العرب .

ياقوت الحموي - معجم البلدان - ١٢ جزءا .

على مبارك - المخطط التوفيقية - في عشرين جزءا .

محمد رزقي - القانوس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ .

	الفصل السابع
	إختاتون وثورته الدينية
٩٢	شخصية إختاتون
	تحريك الحثيين للفتن في سورية وسكوت
٩٢	إختاتون
٩٤	من أناشيد إختاتون الدينية
٩٨	التوحيد عند قدماء المصريين
١٠٠	الملكة ( نفرتي ) زوجة إختاتون
١٠٠	خلفاء إختاتون
١٠٠	سميح كارع
١٠٠	توت عنخ آمون
١٠١	آى
١٠١	حور محب
١٠٢	إصلاحات حور محب

### الفصل الثامن

	رمسيس الثانى . وحروبه الدفاعية
١٠٤	الأسرة التاسعة عشرة
١٠٤	رمسيس الأول
١٠٤	سيتى الأول
١٠٥	رمسيس الثانى
١٠٥	تحدى اخييين لمصر
١٠٧	معركة قادش
	معاهدة صلح وعدم اعتداء بين مصر
١١٠	وخيتا
١١٠	الترقى بين رمسيس الثانى وحموتس الثالث
١١٠	طيبة عاصمة العالم القديم
	ثورة ٢٣ بولية سنة ١٩٥٢ تكريم رمسيس
١١١	الثانى
١١١	أمجاد رمسيس الثانى البناية

٢٣١

٧٢	حروب قديمة ذفاية
٧٣	تقوية الجيش وإذكاء الروح الحربية
٧٤	خلفاء أحس الأول
٧٤	أنحوتب الأول
٧٤	حموتس الأول
٧٤	حموتس الثانى
٧٥	الملكة حتشبسوت
٧٦	اتجاهها إلى الإصلاح والتعمير
٧٧	رحلة بحرية إلى الصومال
٧٧	حموتس الثالث

### الفصل السادس أوج المجد . مصر فى عهد حموتس الثالث

٨٠	بداية عهد حموتس الثالث
٨٠	تحالف بين أعداء مصر فى سورية وليبان
٨١	معركة مجدو . وانتصار مصر فيها
٨٣	نتائج معركة مجدو
٨٣	سقوط قادش
٨٤	سقوط قرشمش
	اتساع حدود الدولة المصرية من أعالي
	القرنات شمالا إلى الشمال الرابع على النيل
	جنوبا
٨٤	نابليون الشرق
٨٦	بين مصر وسورية
٨٦	وفاة حموتس الثالث
٨٨	خلفاء حموتس الثالث
٨٨	أنحوتب الثانى
٨٨	حموتس الرابع
٨٩	أنحوتب الثالث
٨٩	الملكة ( تى ) زوجة أنحوتب الثالث

٤٩	ميزة أسرة أمنمحات
٥٠	أمنمحات الأول
٥١	خلفاء أمنمحات الأول
٥١	سنوسرت الأول
٥٢	جامعة عين شمس
٥٣	مسلة عين شمس
٥٤	أمنمحات الثانى
٥٤	سنوسرت الثانى
٥٤	سنوسرت الثالث
٥٤	لوحة سنوسرت الثالث . الكفاح الوطنى
	قيادة سنوسرت الثالث التى تصل النيل
	بالبحر الأحمر
٥٥	مصر والبلاد الآسيوية
٥٦	أمنمحات الثالث وأعمال الرى والعميران
٥٧	خزان بحيرة موريس
٦٠	قصر اللايرنت
٦١	أمنمحات الرابع
٦١	الملكة سيك نفر
٦١	الأسراتان الثالثة عشرة والرابعة عشرة
٦١	الأسرة الرابعة عشرة
	الفصل الرابع
	ثورة الشعب على الحكموس
٦٢	منشأ الحكموس
	تفكك الجبهة الداخلية من أسباب غزو
٦٢	الحكموس
	تخاذل الأسرة الثالثة عشرة والرابعة عشرة
٦٣	أمام الحكموس
	عاصمة الحكموس فى شرق الدلتا
٦٣	( أوريس )
٦٣	تاريخ الغزو الحكموسى وتاريخ التحرير منه
٦٣	الغزو الحكموسى والاحتلال البريطانى
٦٣	ومدة كليهما
٦٤	الأسراتان الخامسة عشرة والسادسة عشرة
	من الحكموس ولا يصح إحصاؤهما ضمن
٦٤	الأسرات المصرية
٦٤	سقن رع من ملوك الأسرة السابعة عشرة
٦٤	يبدأ حرب التحرير
٦٤	مقتل سقن رع فى حرب التحرير
٦٤	كاسم يخلف أباه سقن رع فى الجهاد
٦٤	مقتل كاسم فى حرب التحرير
٦٤	أحس يخلف أخاه فى حرب التحرير
٦٤	أحس يجر مصر من الحكموس
٦٥	أبطال الاستقلال من الرجال والنساء
٦٥	سقن رع
٦٦	الملكة تى شرى أم تفتن رع
٦٦	الملكة أياح حوتب
٦٦	كاسم
٦٦	أحس
٦٦	نفرتارى
٦٩	تمجيد البطولة وتخليدها
٧٠	ما هى الإلياذة وما هى الأوديسة
٧١	هل لنا فى هوميير الثورة على الحكموس

### الفصل الخامس

	الدولة الحديثة من الأسرة الثامنة عشرة
	إلى الأسرة الثلاثين
٧٢	الأسرة الثامنة عشرة
٧٢	أحس الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة





١٩٨	فتح القراما ( بيلوز )
١٩٨	واقعة بليس
١٩٩	معركة أم دنين
٢٠٠	فتح القيوم
٢٠٠	وصول المدد إلى العرب
٢٠٠	واقعة عين شمس
٢٠١	حصار حصن بابلون واقتحامه
٢٠٢	المفاوضات بين عمرو بن العاص والمقوقس
٢٠٤	الجدنة
٢٠٥	استئناف القتال
٢٠٥	وفاة هرقل
٢٠٥	فتح الحصن عنوة
٢٠٦	في طريق الزحف على الإسكندرية
٢٠٧	حصار الإسكندرية وفتحها
٢٠٧	تسليم الإسكندرية
٢٠٨	فتح بعض المدن والقرى
٢٠٨	فتح برقة
٢٠٩	محاولة الرومان استرداد الإسكندرية وقتلهم
٢٠٩	مسألة حريق مكتبة الإسكندرية ونفيه عن العرب
٢١٢	عمرو بن العاص يتولى شؤون مصر
٢١٢	إعادة البطريق بنيامين
٢١٣	وصف مصر بقلم عمرو بن العاص
٢١٤	عمرو بن العاص يزيد تحديد النسل
٢١٤	إنشاء القسطنطينية عاصمة مصر
٢١٥	تحديد القسطنطينية
٢١٥	جامع عمرو بن العاص
٢١٦	حفر خليج أمير المؤمنين
٢١٧	وفاة عمرو بن العاص

### الفصل الرابع عشر مقاومة مصر للاستعمار الروماني عصر الشهداء

١٨٣	الاحتلال الروماني لمصر
١٨٤	مظان الحكم الروماني
١٨٦	الثورات على الرومان
١٨٦	الثورة في منطقة طيبة
١٨٧	الثورة في الشمال الشرقي من الدلتا
١٨٧	الثورة في النوبة
١٨٧	عداء المصريين للرومان واليهود
١٨٧	ظهور المسيحية في مصر
١٨٨	اضطهاد الرومان للمسيحيين في مصر
١٨٨	عصر الشهداء
١٨٩	اعتناق الإمبراطور قسطنطين للمسيحية
١٨٩	عودة الفرس لاحتلال مصر ثم إجلاؤهم عنها
١٨٩	استمرار الاضطهاد الديني بعد اعتناق الرومان للمسيحية

### الفصل الخامس عشر الفتح العربي لمصر

١٩١	الفتح العربي والوحدة العربية
١٩٢	ماذا كانت عليه حالة مصر قبل الفتح العربي
١٩٥	المقوقس
١٩٦	الاضطهاد الأعظم
١٩٦	الشكيز في فتح مصر
١٩٧	عمرو بن العاص
١٩٧	تردد عمر بن الخطاب
١٩٨	وقائع الفتح العربي
١٩٨	فتح العريش دون قتال

## فهرس الصور والخرائط

صفحة	
٣١	هرم زوسر المدرج بسقارة
٣٤	خوفو . باتى اهره الأكبر
٣٤	الهرم الأكبر بالجيزة ( هره خوفو )
٣٦	الأهرام الثلاثة بالجيزة
٣٧	خفرع باتى اهره التالى بالجيزة
٣٨	مكاورع باتى اهره الثالث بالجيزة
٣٩	الهرمان الثانى والثالث بالجيزة . وتمثال ( أبو الهول )
٤٢	يسى الأول
٥١	سنوسرت الأول . مشيد مسلة عين شمس
٥٣	مسلة سنوسرت الأول بعين شمس
٥٥	سنوسرت الثالث
٥٧	أمنمحات الثالث
٥٨	بحيرة موريس القديمة
٥٩	موقع خزان بحيرة موريس
٦٧	الملك سقن رع . بطل حرب الاستقلال ضد الهكسوس
٦٧	الملكة تى شرى أم سقن رع
٦٨	الملكة البطلة إياح . حوتب زوجة سقن رع
٦٨	الملكة نفرتارى بنت إياح حوتب
٦٩	أجس الأول محرر مصر من الهكسوس
٧٥	معبد الدير البحرى . شيدته الملكة حسيبوت
٧٥	سفينتان من سفن احملة البحرية التجارية التى أنفذتها حسيبوت إلى الصومال
٧٦	تمثال الملكة حسيبوت فى شكل ( أبو الهول )
٧٨	إيريس والدة البطل العظيم تحوتمس الثالث
٧٩	تحوتمس الثالث
٨٢	خريطة معركة مجدو
٨٥	خريطة الدولة المصرية فى عهد تحوتمس الثالث
٨٩	الملكة تى زوجة أمنمحاب الثالث
٢٣٧	

## للمؤلف

- حقوق الشعب : كتاب وضعه سنة ١٩١٢ ، يتضمن شرح المبادئ والنظريات والقواعد الدستورية ، وحقوق الإنسان ، في قالب محاضرات لتعليم الشعب حقوقه .
- نقابات التعاون الزراعية : كتاب بسطنا فيه تاريخ التعاون الزراعي ومنشأته ونظمه في أوروبا . والشركات التي عادت منه على البلاد الأوروبية ، وتناولنا فيه نشأة التعاون في مصر ، وتاريخه ونظامه ونقائمه ومنشأته ومزاياه ، وعلاقته بالنهضة الاقتصادية والاجتماعية ، طبع سنة ١٩١٤ .
- كتاب الجمعيات الوطنية : يتضمن تاريخ الانقلابات السياسية والنهضات القومية في طائفة من البلدان مع شرح أصول الدساتير والنظم البرلمانية فيها ، والمقارنة بينها ، طبع سنة ١٩٢٢ .
- تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر :
- الجزء الأول : يتضمن ظهور الحركة القومية في تاريخ مصر الحديث . وبيان الدور الأول من أدوارها ، وهو عصر المقاومة الأهلية التي اعترضت الحملة الفرنسية في مصر ، وتاريخ مصر القومي في هذا العهد .
  - الجزء الثاني : من إعادة الديوان في عهد نابليون إلى انتهاء الحملة الفرنسية ومن جلاء الفرنسيين إلى ارتقاء محمد علي أريكة مصر بإرادة الشعب .
  - عصر محمد علي : يتناول تاريخ مصر القومي في عهد محمد علي .
  - عصر إسماعيل :
  - الجزء الأول : يشتمل على عهد عباس وسعيد وأوائل عهد إسماعيل .
  - الجزء الثاني : وفيه ختام الكلام عن عهد إسماعيل .
  - الثورة العرابية : والاحتلال الإنجليزي .
  - مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال : تاريخ مصر القومي من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٨٩٢ .
  - مصطفى كامل يبعث الحركة الوطنية : تاريخ مصر القومي من سنة ١٨٩٣ إلى سنة ١٩٠٨ .

٩٣	أختاتون . ملك مصر . وصاحب الثورة الدينية
٩٩	الملكة نفرتيتي زوجة أختاتون
١٠١	توت عنخ آمون
١٠٢	حور محب برز من صفوف الشعب وصار زعيماً وحاكماً ومصلاً اجتماعياً
١٠٦	رئيس الثاني في عتفوان شبابه
١٠٨	خريطة معركة قادش
١١١	معبد الرمسوم بالر الغربي للنيل
١١٢	البهو الكبير ذو العمدة العظيمة بالكركك
١١٤	النمطان المائلان لرئيس الثاني بمدخل معبد (أبوسمبل) الكبير
١١٥	واجهة معبد (أبوسمبل) الكبير
١١٥	واجهة معبد (أبوسمبل) الصغير
١١٦	معبد (أبوسمبل) الكبير والصغير
	الملكة نفرتاري . زوجة رئيس الثاني المفضلة
١١٧	كما تبدو منقوشة على جدران معبد (أبوسمبل) الكبير
١١٨	صخور التوبة على شاطئ النيل
١٢٠	مفتاح بن رئيس الثاني
١٢١	شيشق الأول
١٢٨	طهارة . بطل المقاومة ضد الغزو الآشوري
١٢٩	أسماتيك الأول . محرر مصر من الآشوريين
١٣٧	الملك الشهيد أسماتيك الثالث
١٤٢	نقشاتب الثاني . آخر ملوك الفراعنة في مصر
١٥٥	فروع النيل القديمة
١٥٨	خريطة الإسكندرية في عهد البطالمة
١٦٠	منارة الإسكندرية
١٩٩	خريطة الفتح العربي لمصر
٢٠١	حصن بابلون
٢١٥	جامع عمرو بن العاص
٢١٦	خليج أمير المؤمنين

- محمد فريد رمز الإخلاص والتضحية : تاريخ مصر القومى من سنة ١٩٠٨ إلى سنة

١٩١٩ .

- ثورة سنة ١٩١٩ : تاريخ مصر القومى من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١ :

٥ الجزء الأول : يشتمل على شرح حالة مصر وحوادثها التاريخية أثناء الحرب العالمية الأولى ( ١٩١٤ - ١٩١٨ ) . وبيان الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية للثورة وتطور الحوادث

من بعد انتهاء الحرب إلى شيوب الثورة فى مارس سنة ١٩١٩ ثم وقائع الثورة فى القاهرة والأقاليم .

٥ الجزء الثانى : وفيه الكلام عن مهادنة الثورة واستمرارها ، ومحاکمات الثورة ولجنة ملنر

واحوادث التى لا يستها ومفاوضات ملنر واستشارة الأمة فى مشروع ملنر والتبليغ البريطانى بأن

الحماية علاقة غير مرضية ، ونتائج الثورة فى حياة مصر القومية .

- مذكراتى ( ١٨٨٩ - ١٩٥١ ) : خواطرى ومشاهداتى فى الحياة .

- شعراء الوطنية فى مصر : تراجمهم ، وشعرهم الوطنى ، والمناسبات التى نظموا فيها

قصائدهم .

- أربعة عشر عامًا فى البرلمان : مجموعة أعمالى وأقوالى فى البرلمان ، فى مجلس النواب

سنة ١٩٢٤ - ١٩٢٥ ، وفى مجلس الشيوخ من سنة ١٩٣٩ إلى سنة ١٩٥١ .

- مقدمات ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ : الكفاح فى القتال سنة ١٩٥١ ، حريق القاهرة

سنة ١٩٥٢ ، وزارات الموظفين ، أسباب الثورة ، فاروق يمهد للثورة .

- ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ : تاريخنا القومى فى سبع سنوات ١٩٥٢ - ١٩٥٩ .

رقم الإيداع	١٩٩٨/١٥٦٧٩
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-5661-7

١/٨٩/٦٢

طبع بمطابع دار المعارف ( ج . م . ع . )



To:

**WWW.AL-MOSTAFA.COM**

www.alkottob.com